الويتشر
الأمنية الأخيرة



THE WITCHER
THE LAST WISH

أندجي سابكوفسكي



ترجمة: د. يوسف شحادة

الويتشر
الأمنية الأخيرة



تُرجِمت بدعم من برنامج الترجمة البولندي





إدارة التوزيع

00201150636428

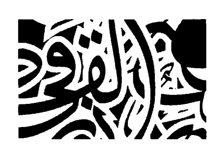
لمراسلة الدار:

email:P.bookjuice@yahoo.com

Web-site: www.aseeralkotb.com

- العنوان الأصلي:
Ostatnie Życzenie
- العنوان العربي: الويتشر، الأمنية الأخيرة
- حُقوق النشر:
Copyright © by Andrzej Sapkowski, Warszawa, 2023
- الطبعة الأولى: يناير/ 2024م
- حقوق الترجمة: محفوظة لدار عصير الكتب

- ترجمة: د. يوسف شحادة
- تحرير: مصطفى رزق
- تدقيق لغوي: كارم أحمد
- تنسيق داخلي: معتز حسنين علي
- رقم الإيداع: 2023/11827م
- الترقيم الدولي: 978-977-992-265-2



صوت العقل 1



جاءته في الصباح.

دخلتْ بحذر شديد، بصمت، تخطو دونما دبيب، منسابة عبر الغرفة مثل شبح، مثل طيف، والصوت الوحيد الذي رافق حركاتها هو ما أصدره احتكاك المعطف الفضفاض بالجلد العاري. ومع ذلك، فهذا الحفيف الخافت، الذي يكاد لا يُسمَع، هو ما أيقظ الويتشر[1]، أو ربما فقط هو ما قطع نصف إغفاءته التي كان يتمايل فيها برتابة، كما لو أنه كان معلَّقًا في هوَّة لا قاع لها، بين قعر بحر هادئ وسطحه، وسط أوراق الفوقس المتموجة بخفة.

لم يتحرك، بل حتى لم يتزحزح من مكانه. طارت الفتاة مقتربة منه أكثر، وألقت معطفها الفضفاض ببطء، وأرخت بتردد ركبتها المثنية على حافة السرير. راقبها من تحت رموشه المُسبلة، وهو لا يزال يُخفي أنه ليس نائمًا. صعدت الفتاة بحذر إلى الفراش، اعتلته واحتضنته بفخذيها. متكئة على ذراعيها المشدودتين، تلمَّست وجهه بشعرها الذي فاحت منه رائحة البابونج. انحنت عاقدة العزم، وكأنها فاقدة الصبر، ولمست بطرف نهدها جفنيه وخده

---

(1) الويتشر: هو لقب بطل هذه الرواية من سلسلة الروايات التي وُسمت باسمه، وبالبولندية هذا الاسم يلفظ: «فيدجمين، وهو مُتأت من كلمة «فيدجما» التي تعني «المشعوذة الساحرة»، التي تطير على مكنستها السحرية وتخيف الناس، واستخدم الكاتب هذه الكلمة بتذكيرها لتصبح ذات دلالات خاصة يتعدى المعنى الأولي، أي «الساحر أو المشعوذ». بيد أننا آثرنا استعمال كلمة «الويتشر» الإنجليزية، نظرًا إلى انتشار هذا العنوان في البلدان العربية، ولأن كلمة أخرى بمعنى «الساحر» تتردد في النص البولندي كثيرًا، ترجمناها إلى العربية كما هي، أي: «الساحر».

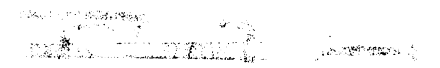
وشفتيه. ابتسم وأخذ ذراعيها بحركة بطيئة جدًّا، بحذر ولطف. اعتدلت هاربة من أصابعه، وضَّاءة، ملفوعة بالنور، مطموسة بوهجها في سطوع الفجر الضبابي. تحرك، لكنها منعته، بضغط حازم بيديها كلتيهما، من تغيير وضعيته، وطالبته بجواب بحركات من فخذيها، خفيفة ولكنها حازمة.

جاوبها. ولم تتراجع أمام راحتيه، ألقت رأسها إلى الخلف، وهزت شعرها. كانت بشرتها باردة، وملساء بقدْر داهش. وعيناها اللتان رآهما عندما قرَّبت وجهها من وجهه، كانتا كبيرتين وداكنتين كعيني الحورية روسالكا[1].

غرق، في حين كان يتأرجح في بحر البابونج الذي احتدَّ وهدر فاقدًا هدوءه.

(1) روسالكا: حورية الماء في الأساطير السلافية.

الويتشر



1

لاحقًا، قيل إن هذا الرجل جاء من الشمال من بوابة الحبَّالين. سار على الأقدام، وهو يقود حصانه المثقل ممسكًا باللجام. كان الوقت عصرًا متأخرًا، وبدت أكشاك صانعي الحبال والسروج مغلقة، والشارع فارغًا. كان الجو دافئًا، وظهر هذا الرجل وعليه معطف أسود، ملقًى على كتفيه. وقد لفت الانتباه.

توقف أمام نزل «ناراكورت القديم»، وقف لحظة، استمع لهمهمة الأصوات. كان النُّزل، كعادته في هذا الوقت، ممتلئًا بالناس.

لم يدخل الغريب إلى «ناراكورت القديم». استمر في جر الحصان إلى أسفل الزقاق. ثمة نُزل آخر أصغر يسمى «بود ليسيم»[1]. هنا، كان المكان فارغًا، فلم يكن النزل يتمتع بأحسن سمعة.

رفع صاحب النُّزل رأسه من فوق برميل مخلل الخيار، وصوَّب نظره إلى الضيف. وقف الغريب الذي كان لا يزال مرتديًا معطفه، أمام نضد البار بصلابة، ساكنًا دون حَراك، وظل صامتًا.

---

(1) «بود ليسيم»: تعني «عند الثعلب».

- ماذا أقدم لك؟

قال الغريب: «جعة».

لم يكن صوته لطيفًا. فرك صاحب النُّزل يديه بمئزره القماشي، وملأ كوبًا فخاريًّا كان مثلومًا.

لم يكن الغريب كبيرًا في السن، لكنَّ شعره، كله تقريبًا، بدا أبيض. كان يرتدي تحت معطفه جاكيت من جلد بالٍ، له أربطة تحت الرقبة وعلى الذراعين. عندما خلع معطفه، لاحظ الجميع أن لديه سيفًا على حزام خلف ظهره. ولا غرابة في ذلك، ففي فيزيما، يسير جُل الناس حاملين السلاح، لكن لم يحدث أن حمل أحدهم سيفًا على ظهره، كما لو أن السيف كان قوسًا أو جعبة.

لم يجلس الغريب إلى الطاولة بين الزبن القلائل، استمر في الوقوف عند نضد البار، طاعنًا صاحب النزل بعينين ثاقبتين. ثم ارتشف رشفة من الكوب.

- عن غُرَف للمَبيت أبحث.

صاح صاحب النُّزل، ناظرًا إلى حذاء الضيف المغبَّر والمتَّسخ: «لا يوجد. فلتسألوا في ناراكورت القديم».

- أفضِّل هذا المكان.

وأخيرا تعرَّف صاحب النزل لكنةَ الغريب. إنه من رِيفيا: «لا يوجد».

قال الغريب بهدوء، كما لو أنه كان غير واثق: «سأدفع».

عندئذٍ، تحديدًا، بدأت هذه القصة المقززة بأكملها. نهض الرجل الطويل المجدور الذي لم يرفع عينيه القاتمتين عن الغريب منذ لحظة دخوله، وتوجه إلى نضد البار. وقف اثنان من رفقائه في الخلف بعده بما لا يزيد على خطوتين.

هدر المجدور، وهو واقف إلى جانب الغريب: «لا يوجد مكان، أيها الرِّيفياوي الطائش المتسكع. لا حاجة لنا إلى أشخاص مثلك هنا في فيزيما. إنها مدينة محترمة!».

أخذ الغريب كوبه، وتنحى جانبًا. نظر إلى صاحب النُّزل، لكنَّ هذا الأخير تجنب نظراته. لم يكن في باله الدفاع عن ريفيا. وفي النهاية، من كان يحب الريفياويين؟

تابع المجدور الحديث، نافثًا رذاذ الجعة، والثوم، والغضب: «كل ريفياوي هو لص. أتسمع ما أقول، أيها الحشرة[1]؟».

نطق أحد اللذين كانا في الخلف، وقهقه الآخر: «هو لا يسمع؛ البراز يسدُّ أذنيه».

- زمجر ذو المنقار: «ادفع وانقلع!».

والآن فقط، صوَّب الغريب النظر إليه: «سأنتهي من الجعة».

نطق الرجل الطويل بعصبية: «سنساعدك».

دفع الكوب من يد الريفياوي، وفي الوقت نفسه، أمسك به من ذراعه، وغرز أصابعه في الحزام الذي كان يقطع صدر الغريب متعرجًا. رفع أحد الواقفين في الخلف قبضته ليضرب بها. تكوَّر الغريب في مكانه، مُفقِدًا المجدورَ توازنه. سُمِعَ صليل السيف منبعثًا من الغمد، ثم لمع هنيهة وجيزة في ضوء الفوانيس. ثارت الثائرة. صراخ. اندفع أحد الزبن الآخرين إلى المخرج. سقط الكرسي مدويًا، واصطكت الأواني الفخارية بصوت مخنوق على الأرضية. نظر صاحب النزل -وكانت شفتاه ترتجفان- إلى وجه الرجل المجدور، المهشَّم بطريقة مروِّعة، الذي تهاوى وهو يمسك بأصابعه طرف نضد البار، واختفى عن الأنظار، كما لو أنه قد غرق. ذلكما الاثنان كانا مرميين على الأرضية. أحدهما هامد لا يتحرك، والآخر راح يتلوَّى ويرتعش في بركة داكنة تتسع بسرعة. ارتج في الهواء صراخ امرأة هستيري، حاد، يصم الآذان. ارتجف صاحب النُّزل، أخذ نفسًا، وبدأ التقيؤ.

تراجع الغريب نحو الحائط. منكمشًا، متوترًا، يقظًا. أمسك السيف بكلتا يديه، محركًا طرف النصل في الهواء. لم يتحرك أحد. كالطين البارد، التصق الفزع بالوجوه، وشلَّ الأطراف، وخنق الحلوق.

اقتحم الحراس النُّزل محدثين ضجة وجلجلة، وكانوا ثلاثة. ولا بدَّ أنهم أتوا مندفعين من مكان قريب من هنا. كانت هراواتهم، المحزَّمة بالأربطة، على أهبة الاستعداد، لكنهم إذ رأوا الجثث، استلُّوا سيوفهم على الفور. ألصق الريفياوي ظهره إلى الحائط، واستلَّ بيده اليسرى الخنجر من ياقة حذائه.

---

(1) يستخدم الكاتب كلمة تعني: «الطويس القراصي»، وهو نوع من الحشرات.

صرخ أحد الحراس بصوت راجف: «ألقِ هذا الشيء! ألقِه أيها الساطي! ستذهب معنا!».

ركل الحارس الثاني الطاولة التي كانت تمنعه من الالتفاف حول الريفياوي من الجانب.

صاح للثالث الواقف أقرب إلى الباب: «اذهب وأحضر الرجال يا تريسكا!».

قال الغريب منكسًا سيفه: «لا حاجة. سأذهب من تلقاء نفسي».

زمجر ذاك الحانق: «ستذهب يا بذرة الكلب، ولكن مشدودًا بحبل! ألقِ السيف وإلا هشَّمتُ رأسك!».

عدَّل الريفياوي وقفته. التقط النصل بسرعة تحت إبطه الأيسر، وبإبطه الأيمن المرفوع إلى الأعلى، تجاه الحراس، رسم علامة معقدة وسريعة في الهواء. لمعت الأزرار الحادة، المغروزة بكثافة في ردَّتي كُمَّي القفطان الجلدي الطويلتين اللتين تصلان حتى المرفقين.

تراجع الحراس فورًا حاجبين وجوههم بأذرعهم. هبَّ أحد الزبن، وركض آخر نحو الباب مرة أخرى. راحت المرأة تصرخ، مجددًا، صراخًا متوحشًا فظيعًا.

كرر الغريب بصوت عالٍ ورنان: «سأذهب من تلقاء نفسي. وأنتم الثلاثة في الأمام. أوصلوني إلى آمر القلعة. فأنا لا أعرف الطريق».

تمتم الحارس منكسًا رأسه: «نعم يا سيدي».

تحرك نحو المخرج، ملتفتًا في حيرة من أمره. خرج الآخران وراءه على عجل، متراجعين إلى الخلف. تبعهم الغريب، داسًّا السيف في غمده، والخنجر في ياقة حذائه. وعندما تجاوزوا الطاولات، غطى ضيوف النُّزل وجوههم بأذيال معاطفهم.

2

حكَّ فيليراد، آمر قلعة فيزيما، ذقنه، وتفكَّر. لم يكن مؤمنًا بالخوارق، ولا خوَّافًا، لكنه لم يشعر برغبة تحثُّه على أن يبقى وحيدًا مع ذي الشعر الأبيض. وأخيرًا اتخذ قراره.

أمر الحرَّاسَ: «اخرجوا. وأنت اجلس. لا، ليس هنا. هناك أبعد قليلًا، إذا سمحت».

جلس الغريب. لم يعد لديه لا سيف، ولا معطف أسود.

قال فيليراد، وهو يلعب بصولجان ثقيل ممدد على المنضدة: «إني أستمع. أنا فيليراد، آمر قلعة فيزيما. ماذا لديك، يا حضرة الحرامي، كي تقوله لي، قبل أن تذهب إلى الزنزانة؟ ثلاثة قتلى، محاولة لإلقاء تعويذة سحر، ممتاز، ممتاز تمامًا. عندنا في فيزيما، يوضع المرء على الخازوق، من جرَّاء فعل مثل هذه الأشياء. لكنني رجل عادل، سأسمعك أولًا. تكلم».

راح الريفياوي يفك أزرار معطفه، وأخرج من تحته لفة من جلد الجدي الأبيض.

قال بصوت خافت: «عند مفترق الطرق، تدقون هذه في كل نزل. هل ما هو مكتوب صحيح؟».

تمتم فيليراد ناظرًا إلى الأحرف الرونية المدموغة على الجلد: «آها. هذه هي القضية إذن. كيف لم أخمن ذلك على الفور. أجل، هذه هي الحقيقة الحقَّة. وهذا هو التوقيع: فولتيست – الملك، سيد تيميريا وبونتار وماهاكام. هذا يعني أن الأمر حقيقي. لكنَّ الخطاب هو الخطاب، والقانون هو القانون. أنا هنا، في فيزيما، أحافظ على القانون والنظام! لن أسمح بقتل الناس! هل فهمت؟».

أومأ الريفياوي بإشارة أنه فهم. شهق فيليراد بغضب.

- ألديك علامة الويتشر؟

مرة أخرى مد الغريب يده إلى شق القفطان، وأخرج رصيعة مستديرة على سلسال فضي. وعلى الرصيعة صورة رأس ذئب له أنياب بارزة.

- ألديك اسم ما؟ يمكن أن يكون أي اسم، أنا لا أسأل من باب الفضول، بل فقط لتسهيل المحادثة.

- اسمي جيرالت.

- ربما أيضًا، جيرالت من ريفيا، كما أستنتج من طريقة النطق؟

- من ريفيا.

نقر فيليراد على الخطاب بكفه المفتوحة: «نعم. أتعلم يا جيرالت؟ دعْكَ، دعْكَ من هذا. هذا الأمر بالغ الأهمية. لقد حاول الكثيرون. هذا، يا أخي، هذا الشيء ليس هو الشيء نفسه، حين تذهب وتضرب أحد الوُضَعاء».

- أعرف. هذه هي حرفتي يا آمر القلعة. مكتوب: جائزة ثلاثة آلاف أورين.

زمَّ فليراد شفتيه: «ثلاثة آلاف. والأميرة تكون زوجة، كما يحكي الناس، مع أن فولتيست الكريم لم يضف ذلك في الخطاب».

قال جيرالت بهدوء، وهو يجلس ساكنًا ويداه في حِضنه: «لستُ مهتمًّا بالأميرة. مكتوب: ثلاثة آلاف».

تنهد آمر القلعة: «ما هذا الزمن. ما هذا الزمن الرديء! من كان يظن، قبل عشرين عامًا فقط، ولو كان سكران، أن مثل هذه المهن ستوجد؟ معشر الويتشر! قتلة البازيليسقيين الجوالون! الباعة المتجولون بين المنازل من مروضي التنانين وشياطين الماء! جيرالت؟ أمسموح شرب الجعة في نقابتك؟».

- بالتأكيد.

صفَّق فيليراد بيديه.

نادى: «جعة! وأنت يا جيرالت، اجلس واقترب أكثر. ما دخلي بهذا».

كانت الجعة باردة وتعلوها رغوة.

قال فيليراد مخاطبًا نفسه، وهو يرتشف من كوبه: «لقد حلَّت الأوقات العصيبة. تكاثرت كل أنواع القذارة. في الجبال، في ماهاكام، تجمعت حشود من أقزام الفرو. قديمًا، كانت الذئاب تعوي عبر الغابات، والآن بالضبط: الأشباح، وبعض فطور البوليط، وأينما تبصق تجد الإنسان الذئبي أو وباءً آخر. في القرى، تخطف حورياتُ روسالكا، والبواكي الأطفالَ، والآن صار هذا

الأمر بالمئات. أمراض لم يسمع عنها أحد من قبل، تجعل الشعر ينتصب في الرأس. ولم يكن ينقصنا إلا هذا!

دفع حشوة الجلد عبر سطح الطاولة: «لا عجب يا جيرالت، أنه يوجد مثل هذا الإقبال على خدماتكم».

رفع جيرالت رأسه: «هذا خطاب ملكي يا آمر القلعة. هل تعرفون التفاصيل؟».

حنى فيليراد ظهره إلى الخلف على الكرسي، وشبك كفيه على بطنه.

- أتقول تفاصيل؟ أعرفها. ليس مباشرة، ولكن من مصادر جيدة.

- وهذا بالتحديد ما أقصده.

ارتشف فيليراد الجعة، وخفض صوته: «أنت مصرٌّ. كما تريد. اسمع. لقد أظهر لنا كريمنا الرحيم فولتيست الذي كان ما يزال أميرًا في عهد والده، ميديل الشيخ، أظهر ما في وسعه، وكان في وسعه فعل الكثير. وكنا نأمل أنه سيتجاوز ذلك مع تقدمه بالعمر. في غضون ذلك، وبعد مدة وجيزة من تتويجه، إثر وفاة الملك الشيخ، تجاوز فولتيست كل حدود التوقعات. حتى إننا بُهتنا جميعًا، وباختصار: لقد أنجب طفلًا من شقيقته آدَّا. كانت آدَّا أصغر منه، وكانا دائمًا معًا ملتصقين، ولم يشكَّ أحد في أمرهما بتاتًا، اللهم ربما الملكة... باختصار: كنا ننظر، وإذ آدَّا هنا، ببطنها هذا، وأما فولتيست فأخذ يتحدث عن الزواج من شقيقته، انتبهت يا جيرالت؟ أصبح الوضع متوترًا كجحيم شيطانية، لأن فيزيمير من نوفيجراد كان قد خطط لتزويج ابنته دالكا من فولتيست تحديدًا، فبعث بوفد، وكان يجب إمساك الملك هنا من يديه وقدميه، لأنه أراد أن يهبَّ راكضًا ليهين المبعوثين إليه. ونجح الأمر، وهذا جيد، لأن فيزيمير، المستشيط غضبًا، كان سيمزق أحشاءنا. ثم أمكن، بمساعدة آدَّا التي كانت تؤثر في شقيقها، ثني الفتى الغرِّ عن زواج سريع. وبعد ذلك، وضعت آدَّا مولودها في الوقت الطبيعي المتوقع، أي نعم. والآن اسمع، فقد بدأ الشغل. هذا الشيء الذي وُلِدَ، لم يره كثير من الناس، لكن إحدى القابلتين قفزت من نافذة البرج ولقيت مصرعها، في حين أصيبت الأخرى بتشوش في صحتها العقلية، ولا تزال كالمغشي عليها حتى اليوم. لذلك، أعتقد أن هذا المولود، ابن الحرام الخارق، لم يكن وسيمًا وسامة خاصة. لقد كان بنتًا. وعلى أي حال، ماتت على الفور، وكما يبدو لي فلم يسرع أحد، كما ينبغي، ليربط

حبلها السري. آدًا، من حسن حظها، لم تنجُ وهي تلد. وبعد ذلك يا أخي، جعل فولتيست من نفسه أحمقَ مرة أخرى. كان لا بدَّ من حرق بنت الحرام الخارقة أو، وما أدراني، طمرها في مكان ما في الخلاء، وعدم دفنها في تابوت حجري في أقبية القصر.

رفع جيرالت رأسه: «فات الأوان لمداولة النقاش الآن. في كل الأحوال كان يجب استدعاء أحد ما من العارفين».

- تتحدث عن هؤلاء المختلسين الذين على قبعاتهم نجوم؟ طبعًا، وفد منهم قرابة العشرة، لكنهم لم يأتوا إلا بُعيْد أن اتضح ما كان في التابوت الحجري. وما يخرج منه في الليل. ولم يبدأ الخروج على الفور، لا، لا. فقد خيَّم الهدوء طوال سبع سنوات منذ الدفن. حتى إن كانت ليلة، بدا فيها بدر التمام، ودوَّى صراخ في القصر، صخب، ارتباك! وماذا يمكن القول هنا، أنت على دراية بهذا، وقرأتَ الخطاب أيضًا. كبر الوليد في التابوت، وبصورة لا بأس بها، وكذلك نمت أسنانه كبيرة كما يجب. وبكلمة واحدة، إنه مصاصة الدماء استريجا[1]. يا للخسارة أنك لم ترَ الجثث. مثلي أنا. على الأرجح كنتَ تجنبتَ فيزيما، مبتعدًا عنها قدر ما تستطيع.

ظل جيرالت صامتًا.

تابع فيليراد: «وكما قلتُ، عندئذٍ دعا فولتيست إلينا حشدًا كاملًا من السحرة. تصايحوا، كل واحد يصرخ على الآخر، وكادوا يتضاربون بتلك العصي التي يحملونها، على أغلب الظن لطرد الكلاب إذا ما شرَّسها أحد ما. وأعتقد أنهم يهيجونها بانتظام. عذرًا يا جيرالت، إذا كان لديك رأي آخر عن السحرة، وعلى الأرجح لديك مثله في مهنتك، لكن بالنسبة إليَّ فهم طفيليون وحمقى. أنتم، معشر الويتشر، تثيرون شعورًا بالثقة بمقدار أكبر بين الناس. أنتم على الأقل، كما يمكن هنا أن يقال، دقيقون».

ابتسم جيرالت ولم يعلق.

نظر آمر القلعة إلى داخل الكوب، وسكب الجعة لنفسه وللريفياوي: «حسنًا، ولكن لنعد إلى الموضوع. بدت بعض نصائح السحرة غير سخيفة

---

(1) استريجا: في الأساطير السلافية، هي وحش مسخ تمص دماء ضحاياها، وتأكل أحشاءهم، تسمى بالبولندية استشيجا، وكتبناها بالعربية استريجا.

تمامًا. اقترح أحدهم حرق استريجا، هي والقصر والتابوت الحجري، ونصح آخر بقطع رأسها بمسحاة، وما بقي منهم كانوا مؤيدين لدق أوتاد الحور الراجف في أجزاء مختلفة من جسدها، طبعًا خلال النهار، عندما تكون الشيطانة نائمة في التابوت، مرهقة بعد الحفلات الصاخبة الليلية. من سوء الحظ، ظهر شخص ما، وهو مهرج يعتمر قبعة حادة على جمجمة صلعاء، وناسك أحدب، كان يعتقد أن كل ذلك سحر، يمكن فكه، وأن استريجا ستعود من جديد ابنة لفولتيست، جميلة كلوحة. فقط يجب الجلوس في سرداب الدفن طوال الليل، فينتهي الصراخ حالًا. بعد ذلك، تصور يا جيرالت، أي بليد كان ذاك، الذي ذهب إلى القصر ليقضي الليل فيه. ويمكن التخمين بسهولة، أنه لم يتبقَّ الكثير منه، ربما فقط القبعة والعصا. لكن فولتيست تشبث بهذه الفكرة التي التصقت بدماغه دون فكاك. لقد منع كل المحاولات لقتل استريجا، وجرَّ جميع المشعوذين، من كل الأنحاء الممكنة من البلاد، إلى فيزيما، لإعادة استريجا بفك السحر إلى أميرة. ويا لها من حملة ذات أشكال وألوان كانت! ضمت نساءً ممسوسات غريبات الأطوار، وبعض العرجان، والقذرين، يا أخي، والمقملين، إنهم يثيرون الشفقة. وخذ سحرًا على سحر، وفي المقام الأول فوق الأطباق والأكواب. ويبدو أن فولتيست، أو المجلس، كشف أمر عدد منهم بسرعة، حتى إن بعضهم شُنِقَ على أوتاد مستدقَّة، لكن ذلك كان قليلًا جدًّا، قليلًا جدًّا. فلو قُيِّضَ لي لشنقتهم جميعًا. أظن أنني لست مضطرًّا إلى أن أضيف أن استريجا كانت تنهش حينذاك في كل لحظة شخصًا آخر، دون إيلاء أي اهتمام بالمحتالين وتعاويذهم. وأن فولتيست لم يعد يسكن القصر. ولم يعد أحد يسكن هناك الآن».

توقف فيليراد، وارتشف الجعة. ظل الويتشر صامتًا.

- ويستمر الأمر على هذا المنوال، يا جيرالت، ست سنوات، فهي ولدت منذ نحو أربعة عشر عامًا. في غضون ذلك، كانت لدينا بعض المخاوف الأخرى، لأننا تقاتلنا مع فيزيمير من نوفيجراد، ولكن لأسباب معتبرة ومفهومة، وصلنا إلى موضوع نقل أعمدة الحدود، وليس التحدث عن ابنة أحد ما أو عن مصاهرات وزواج. ويمكن القول، بين قوسين، إن فولتيست بدأ يتمتم عن الزواج، ويشاهد البورتريهات التي أرسلتها القصور المجاورة، والتي منذ زمن بعيد اعتاد رميها في المرحاض الخارجي. حسنًا، من حين إلى آخر، يعتريه هذا الهوس من جديد،

فيرسل الفرسان للبحث عن سحرة جدد. ويعد بجائزة، ثلاثة آلاف، بسببها توافد عدد من المختلين والفرسان المُطوِّفين، وحتى أحد الرعاة، وكان أبلهَ معروفًا في المنطقة كلها، فلترقد روحه بسلام. أما استريجا فحالتها جيدة. بيد أنها من وقت إلى آخر تنهش أحد الأشخاص. يمكن اعتياد هذا الأمر. وتأتي من هؤلاء الأبطال، الذين يحاولون فكها من السحر، على الأقل فائدة واحدة، أن الوحش يشبع من التهام أحدهم في مكانه، ولا يتسكع خارج المقر القديم. أما فولتيست، فلديه قصر جديد كامل الجمال.

رفع جيرالت رأسه: «خلال ست سنوات. خلال ست سنوات لم يُسوِّ الأمر أحد؟».

نظر فيليراد إلى الويتشر بإمعان: «كلَّا. لأن الأمر على الأرجح غير قابل للتسوية، وعلينا قبول ذلك. أتحدث عن فولتيست، حاكمنا الرحيم والمحبوب الذي لا يزال مستمرًّا بتثبيت هذه الخطابات على مفترق الطرق. إلا أن عدد الراغبين قلَّ كما يبدو. والحقيقة، أن شخصًا واحدًا، لا غير، كان هنا أخيرًا، لكنه أراد تلك الثلاثة آلاف سلفًا، ودون نقاش. لذلك أدخلناه في كيس، وألقيناه في البحيرة».

- لا ينقصنا محتالون.

- لا، لا ينقصنا، بل يوجد منهم الكثير.

وافق آمر القلعة، ولم يرفع عينيه عن الويتشر: «لذلك، عند ذهابك إلى القصر، لا تطلب الذهب مقدمًا. هذا إن ذهبتَ إلى هناك عمومًا».

- سأذهب.

- حسنًا، هذه قضيتك. لكن تذكر نصيحتي. أما إن أردنا الحديث عن الجائزة، فقد بدأ الكلام في الآونة الأخيرة عن الجزء الثاني منها، ذكرت لك ذلك. ستقضي الجائزة أن تُقدَّم الأميرة زوجة للفائز. لا أعرف من الذي اختلق ذلك، لكن إذا كانت استريجا تبدو كما يقولون، فإن ذلك سيكون دعابة قاتمة بطريقة استثنائية. ومع ذلك، لم يخلُ الأمر من المعاتيه الذين هُرِعُوا راكضين إلى القصر، بمجرد أن ذاع الخبر بأن ثمة فرصة للوصول إلى العائلة المالكة. وعلى وجه التحديد، هما اثنان

من الحذَّائين المتمرسين. لماذا صانعو الأحذية أغبياء إلى هذا الحد، يا جيرالت؟

- لا أعلم. ومعشر الويتشر، يا آمر القلعة؟ هل حاولوا؟

- بعض منهم، وكيف لا. وعلى الأغلب، عندما سمعوا أنه يجب فك السحر عن استريجا، وليس قتلها، هزوا أكتافهم ورحلوا. لهذا السبب زاد احترامي لمعشر الويتشر زيادة كبيرة، يا جيرالت. ثم جاء أحدهم، كان أصغر منك سنًّا، لا أتذكر اسمه، هذا إن كان قد ذكَرَه لي أساسًا. وهذا هو من حاول.

- حسنًا، و...؟

- الأميرة المسننة سحلت أحشاءه على مسافة طويلة. على مرمى نصف رمية من قوس.

أومأ جيرالت برأسه.

- وهل كان آخرون غيرهم؟

- كان ثمة شخص آخر.

صمت فيليراد لحظة. الويتشر لم يستعجله.

وأخيرًا نطق آمر القلعة: «نعم. كان هناك شخص آخر. في البداية، حين هدده فولتيست بالمشنقة، إذا ما قتل أو سبَّب عاهة لاستريجا، ضحك فقط وشرع في حزم الأمتعة. حسنًا، لكن بعد ذلك...».

خفض فيليراد صوته من جديد إلى حد الهمس تقريبًا منحنيًا فوق الطاولة.

- بعد ذلك تولى المهمة. أترى، يا جيرالت، ثمة بضعة أشخاص فهماء هنا في فيزيما، وحتى إنهم يشغلون مناصب مرموقة، يشمئزون من هذا الأمر برمته. تقول الشائعات إن هؤلاء الناس أقنعوا الويتشر خفية بأن لا يلهو بأي هرج ومرج، ولا بأي تعاويذ، وأن يقتل استريجا، ويقول للملك إن التعويذة لم تعمل عملها، وأن ابنته سقطت من على الدرج، وأن حادثًا قد وقع في أثناء العمل. طبعًا، سيغضب الملك، لكن الأمر سينتهي بأنه لن يدفع أورينًا واحدًا للجائزة. كان رد الويتشر الماكر على ذلك، أنه إذا كان الأمر بالمجان، فيمكننا اصطياد استريجا وحدنا.

حسنًا، ماذا كان بالإمكان... تشاركنا في الدفع، ساومنا... لكن لم ينتج عن ذلك شيء.

رفع جيرالت حاجبيه.

قال فيليراد: «أقول لك، لا شيء. في الليلة الأولى، لم يرغب ذلك الويتشر في الذهاب على الفور. كان يدب، ويترصد، ويدور في المنطقة. وأخيرًا، كما يقولون، رأى استريجا، كما يبدو، في أثناء اشتغالها، فالوحش لا يخرج من سرداب الدفن من أجل مد ساقيه وحسب. إذن رآها، وفي الليلة ذاتها هرب. دون وداع».

زمَّ جيرالت شفتيه قليلًا لتصبحا ما يفترض أن تكون ابتسامة.

بدأ القول: «الفهماء من الناس، لا تزال لديهم، على الأغلب، تلك النقود؟ معشر الويتشر لا يأخذون المال مقدمًا».

قال فيليراد: «حسنًا. لعلها لا تزال لديهم».

- ألا تقول الشائعة كم قَدْرها؟

كشف فيليراد عن أسنانه.

- بعضهم يقولون ثمانمائة...

أدار جيرالت رأسه.

تمتم آمر القلعة: «آخرون يتحدثون عن ألف».

- هذا ليس كثيرًا، إذا أخذنا بعين الاعتبار أن الشائعات تُضخِّم كل شيء. في النهاية، ما يقدمه الملك هو ثلاثة آلاف.

قال فيليراد ساخرًا: «لا تنسَ العروس. ثم إلامَ يجرنا الحديث؟ من المعلوم، أنك لن تحصل على الثلاثة آلاف تلك».

- وعلى أي أساس أن ذلك معلوم؟

خبط فيليراد بيده سطح الطاولة بقوة.

- جيرالت، لا تفسد تصوري عن معشر الويتشر! هذا الأمر لا يزال مستمرًّا منذ ست سنوات وأزيد! استريجا تقضي على ما يصل إلى نصف مئة شخص في السنة، الآن أقل، لأن الجميع يبقون بعيدين عن القصر. لا يا أخي، أنا أومن بالسحر، رأيت الكثير، وأومن، إلى حد ما، طبعًا، بقدرات السحرة ومعشر الويتشر. لكن ما يُسمَّى بفك السحر هو محض هراء،

اخترعه شيخ أحدب، يسيل من أنفه المخاط، أفقده طعام النساك صوابه؛ إنه هراء لا يصدقه أحد. ما عدا فولتيست. لا، يا جيرالت! أنجبت آدَّا استريجا، لأنها نامت مع شقيقها، هذه هي الحقيقة، ولن يفيد أي سحر هنا. استريجا تلتهم الناس كأي استريجا أخرى، ويجب قتلها، بطريقة طبيعية وببساطة. اسمع ما أقول، فقبل عامين، مضى جمع من الحراثين من إحدى الضيغ النائية، قرب ماهاكام التي التهم التنين أغنامها، وسحقوه بالقضبان، ولم يروا أن حتى التباهي بذلك كثيرًا، ليس أمرًا مجديًا. ونحن هنا، في فيزيما، ننتظر حدوث معجزة، فنغلق الأبواب في كل مرة يكتمل فيها القمر، أو نربط المجرمين على عمود أمام القصر، على أمل أن يشبع الوحش، ويعود إلى التابوت.

ابتسم الويتشر: «طريقة لا بأس بها. وهل انخفضت الأعمال الإجرامية؟».

- لا، بتاتًا.

- وما الطريق إلى ذاك القصر، القصر الجديد؟

- سأرشدك شخصيًّا. ماذا سيحدث للاقتراح الذي قدمه الناس الفهماء؟

نطق جيرالت: «يا آمر القلعة. لمَ العجلة؟ ففي الحقيقة، يمكن أن يقع حادث في أثناء العمل، بصرف النظر عن نيَّاتي. عندئذٍ على الفهماء أن يفكروا في كيفية إنقاذي من غضب الملك، وإعداد هذه الألف وخمسمئة أورين التي تتحدث الشائعات عنها».

- على أساس ما قيل، كانت ألفًا.

قال الويتشر بحزم: «لا، يا سيد فيليراد. هذا الذي أعطيتموه ألفًا، هرب بمجرد أن شاهد استريجا، حتى إنه لم يساوم. هذا يعني أن المخاطرة أكبر من قيمة الألف. فهل هي أكثر من ألف وخمسمئة، سنرى. طبعًا، قبل ذلك سأقول الوداع».

حكَّ فيليراد رأسه.

- جيرالت؟ ألف ومئتان؟

- لا، يا آمر القلعة. هذا ليس عملًا سهلًا. الملك يعطي ثلاثة آلاف، ويجب أن أخبركم أن فك السحر أسهل أحيانًا من القتل. في المحصلة، كان أي واحد من الذين سبقوني سيقتل استريجا، لو كان الأمر بهذا القدر

من السهولة. هل تظنون أنهم أُكِلوا نهشًا، لأنهم كانوا يخافون الملك، وحسب؟

هزَّ فيليراد رأسه بكآبة: «حسنًا، يا أخي. اتفقنا. لكن إياك أن تبقبق، ولو بكلمة، أمام الملك عن إمكان وقوع حادث في أثناء العمل. أنصحك بصدق».

3

كان فولتيست نحيفًا، ذا وجه جميل -جميل للغاية- ولم يكن قد بلغ الأربعين، كما قدَّر الويتشر. جلس على كرسي، له ذراعان، منحوت من خشب أسود، ورجلاه ممدودتان باتجاه الموقد، حيث كان يتدفأ كَلْبان. بجانبه على صندوق، جلس رجل كبير السن، ملتحٍ، وذو بنية ضخمة. ووقف آخر خلف الملك، مرتديًا ملابس باذخة، وتعابير متفاخرة تكسو وجهه. إنه من الأشراف.

قال الملك بعد اللحظة التي تلت خطاب فيليراد الافتتاحي: «الويتشر من ريفيا».

أحنى جيرالت رأسه: «نعم، يا سيدي».

- من أي شيء شابَ رأسك بهذا الشكل؟ من السحر؟ أرى أنك لست مسنًّا. حسنًا، تمام، حسنًا. هذه مزحة، لا تقل شيئًا. الخبرة، وأجرؤ على الافتراض أن لديك شيئًا منها؟

- نعم، سيدي.

- سيسرني الاستماع لك.

انحنى جيرالت إلى الأسفل أكثر.

- تعلمون تمامًا، يا سيدي، أن قانوننا يحظر الحديث عما نفعل.

- قانون مريح، حضرة الويتشر، مريح للغاية. لكن، دون الغوص في التفاصيل، هل تعاملت مع مارد الغاب؟

- نعم.

- مع مصاصي الدماء، مع عفريت الغاب؟

- أيضًا.

تردد فولتيست.

- مع... الاستريجات؟

رفع جيرالت رأسه، ونظر إلى عيني الملك.

- أيضًا.

أدار فولتيست نظره.

- فيليراد!

- نعم، يا سيدي الرحيم.

- هل أطلعته على التفاصيل؟

- نعم، يا سيدي الرحيم. هو يدعي أنه يستطيع فك سحر الأميرة.

- أعرف ذلك منذ مدة طويلة. بأي طريقة يا جناب الويتشر؟ آه، صحيح، لقد نسيتُ. القانون. حسنًا. لكن ثمة ملاحظة صغيرة. كان عندي هنا عدد من معشر الويتشر. هل قلت له يا فيليراد؟ حسنًا. ومن أين أعرف أن تخصصكم هو بالأحرى القتل، وليس فك سحر التعاويذ. هذا غير وارد. إذا سقطت شعرة من رأس ابنتي، فسوف تضع أنت رأسك على جذع شجرة. هذا كل شيء. أوستريت، وأنتم سيد سيجبيلين، ابقوا، زودوه بالمعلومات بالقدر الذي يريد. هم، معشر الويتشر، دائمًا ما يسألون كثيرًا. أطعموه، ودعوه يعيش في القصر. ولا يتسكع في الحانات.

نهض الملك، وصفَّر للكلاب، واتجه نحو الباب، ناثرًا القش الذي يغطي أرضية الحجرة. استدار عند الباب.

- ستنجح أيها الويتشر، الجائزة لك. من الممكن أن أزيدك عليها شيئًا آخر، إذا قمت بعمل جيد. طبعًا، حكايات الدهماء عن الزواج بالأميرة لا تحتوي كلمة حق واحدة. لعلك لا تعتقد أنني سأزوج ابنتي من أي متسكع كان؟

- لا، يا سيدي. لا أعتقد.

- حسنًا. هذا يثبت أنك فهيم.

خرج فولتيست، وأغلق الباب خلفه. جلس فيليراد والشريف اللذان حتى الآن كانا واقفيْن، جلسا على الفور إلى الطاولة. شرب آمر القلعة كأس الملك

التي كانت مملوءة إلى نصفها، ونظر إلى داخل الإبريق، وشتم. نظر أوستريت، الذي شغل كرسي فولتيست، إلى الويتشر من تحت الرأس، مُمسدًا براحتيه المسندين المنحوتين. أشار سيجيلين الملتحي إلى جيرالت.

- اجلسوا، جناب الويتشر، اجلسوا. سيحضرون العشاء حالًا. عن أي شيء تودون الحديث؟ لعل آمر القلعة، فيليراد، قد أخبركم كل شيء. أنا أعرفه، وأعلم أنه أخبركم أكثر مما قد يكون أقل بكثير.

- لديَّ بضعة أسئلة فقط.

- فلتسألوا.

- قال آمر القلعة إن الملك، بعد ظهور استريجا، استدعى الكثير من العارفين.

- هكذا كان. لكن لا تقولوا «استريجا»، بل قولوا «الأميرة». من الأيسر أن تتجنبوا مثل هذا الخطأ أمام الملك... وما يرتبط به من منغصات.

- هل كان بين العارفين شخص معروف؟ مشهور؟

- كان بعضهم على ذلك النحو، في ذلك الحين، وفي وقت لاحق. لا أتذكر الأسماء... وأنتم يا سيد أوستريت؟

قال الشريف: «لا أتذكر. لكنني أعلم أن بعضهم تمتعوا بالشهرة والتقدير. وقد قيل الكثير في ذلك».

- هل كانوا متفقين على أن رفع التعويذة ممكن؟

ابتسم سيجيلين: «كانوا بعيدين عن الاتفاق في كل موضوع. ولكن مثل هذا التأكيد حصل. كان من المفترض أن يكون الأمر سهلًا، ولا يتطلب أي قدرات سحرية، وكما فهمت، فقد كان كافيًا لكي يقضي أحدهم الليل، من غروب الشمس حتى الصياح الثالث للديكة، في سرداب الدفن بجوار التابوت الحجري.

شخر فيليراد: «حقًّا، الأمر سهل».

- أود سماع وصف... الأميرة.

هبَّ فيليراد من كرسيه واقفًا.

صاح: «الأميرة تبدو كمثل استريجا! كأكمل شكل لمصاصة دماء ماصَّة، قد سمعتُ عنها من قبل! صاحبة السمو ابنة الملك، بنت الحرام الخارقة

الملعونة، طولها أربعة أذرع، تشبه برميل الجعة، وبوزها من الأذن إلى الأذن، مملوء بأسنان كالخناجر، وعيناها حمراوان، وشعرها الأشعث أحمر! يداها مرقطتان كالقط البري، تتدليان منها حتى الأرض! أنا مدهوش أننا لم نبدأ بعد في إرسال مصغرات منها إلى القصور الصديقة! فليخنق البلاء الأميرة، صار لها من العمر أربعة عشر عامًا، حان الوقت للتفكير في تزويجها بأحد الأمراء!».

عبس أوسترِيت ناظرًا نحو الباب. ابتسم سيجيلين قليلًا: «على رسلك، يا آمر القلعة».

- كان الوصف دقيقًا نسبيًّا، مع أنه تصويري جدًّا، وهذا ما قصده جناب الويتشر، أليس كذلك؟ نسي فيليراد أن يضيف أن الأميرة تتحرك بسرعة لا تصدق، وهي أقوى بكثير مما كان يشي به طولها وبنيتها. أما أن لها من العمر أربعة عشر عامًا، فهذا حقيقة. إن كان ذلك مهمًّا.

قال الويتشر: «إنه مهمٌّ. هل تحدث الهجمات على الناس وقت اكتمال القمر فقط؟».

أجاب سيجيلين: «أجل. إذا هاجمت خارج القصر القديم. وتفعل ذلك في القصر، بصرف النظر عن أطوار القمر، ويلقى الناس حتفهم دائمًا. لكنها تخرج فقط عند اكتمال القمر، لكن هذا لا يحدث كل مرة وقت الاكتمال».

- هل وقع ولو هجوم واحد على الأقل في أثناء النهار؟

- لا. في أثناء النهار لا.

- أهي تلتهم الضحايا دائمًا؟

بصق فيليراد بقوة على القش.

- دعك يا جيرالت، سيحين العشاء بعد قليل. تفو! تلتهم، تنهش، تترك، الأمر يختلف، حسب المزاج على الأرجح. أحدهم قضمت رأسه فقط، واستخرجت أحشاء بعضهم، ونهشت بعضهم الآخر كاملًا حتى تعرى تمامًا، كما يمكن أن يقال. هكذا هي بنت الإبليسة!

همس أوسترِيت: «انتبه يا فيليراد. قل ما تشاء عن استريجا، لكن لا تهن آدّا أمامي، فلن تجرؤ أمام الملك على ذلك!».

سأل الويتشر، متظاهرًا أنه لم يعر انتباهه لهيَجان الشريف: «هل هاجمت أحدًا ونجا؟».

نظر سيجيلين وأوستريت، أحدهما نحو الآخر.

قال الملتحي: «نعم. في البدء، قبل ست سنوات، هجمت على جنديين كانا واقفين يحرسان عند سرداب الدفن. وتمكن أحدهما من الفرار».

قال فيليراد: «لاحقًا. كان الطحان الذي هاجمَتْه خارج المدينة. هل تذكرون؟».

4

في وقت متأخر من المساء، في اليوم التالي، جُلِبَ الطحان إلى حجرة صغيرة، فوق محرس القصر، حيث أُوِيَ الويتشر. أحضره جندي يرتدي معطفًا ذا غطاء للرأس.

لم تعطِ المحادثة نتائج كثيرة. كان الطحان مرعوبًا، يتلعثم ويتأتئ. ندوبه أخبرت الويتشر أكثر: كان لاستريجا قاعدة فكين باهرة، وأسنان حادة فعلًا، بينها أنياب علوية طويلة جدًّا - أنياب أربعة، اثنان على كل جانب. وكانت المخالب على الأرجح أكثر حدة من مخالب القط البري، مع أنها أقل اعوجاجًا. لهذا فقط تمكن الطحان من الإفلات.

أومأ جيرالت، بعد انتهائه من المعاينة، إلى الطحان والجندي أن يذهبا. دفع الجنديُّ الفلَّاحَ خارج الباب، وخلع غطاء الرأس. كان هذا فولتيست شخصيًّا.

قال الملك: «اجلس، لا تنهض. زيارة غير رسمية. هل أسعدتك المقابلة؟ سمعتُ أنك كنت في القصر قبل الظهر».

- نعم، يا سيدي.
- متى ستباشر العمل؟
- بقي أربعة أيام لاكتمال القمر، بعدها.

- أتفضل إلقاء نظرة عليها بنفسك مقدمًا؟
- لا حاجة إلى ذلك. لكن وهي شَبْعَى... الأميرة... ستكون أقل حركة.
- استريجا، يا معلم، استريجا. دعونا لا نلعب لعبة الدبلوماسية. هي لم تصبح أميرة بعد. على أي حال، جئت لأتحدث معكم عن ذلك. أجب، دون رسميات، باختصار ووضوح: سينجح الأمر، أم لن ينجح؟ فقط، لا تسترني بأي قانون.

فرك جيرالت جبهته.

- أؤكد، أيها الملك، أنه يمكن إبطال تعويذة السحر. وإذا لم أكن مخطئًا، فسيكون الأمر واقعًا خلال قضائي الليلة في القصر. الصياح الثالث للديك، بقدر ما يفاجئ استريجا خارج التابوت الحجري، سيبدد السحر. هكذا عادة ما يجري في التعامل مع الاستريجات.
- أبهذه البساطة؟
- إن الأمر ليس بسيطًا. يجب الصمود في هذه الليلة، هذا أولًا. ويمكن أن يحدث أيضًا خروج ما عن المعايير المتبعة. على سبيل المثال، لا يكون ذلك في ليلة واحدة، بل في ثلاث. الأمر التالي. ثمة حالات أيضًا... يعني... ميؤوس منها.

امتعض فولتيست: «نعم. طوال الوقت أسمع ذلك من بعض الأشخاص. فليُقتَل الوحش لأنه حالة لا علاج لها. يا معلم، أنا متأكد من أنهم قد تحدثوا إليك من قبل. أليس كذلك؟ لتدق عنق آكلة البشر، دون لغط، أولًا، ثم تخبر الملك أن الأمر لم يكن ممكنًا بغير ذلك. الملك لن يدفع، نحن سندفع. طريقة مريحة جدًّا. ورخيصة. لأن الملك سيأمر بقطع رأس الويتشر أو شنقه، ويبقى الذهب في الجيب».

عبس جيرالت: «الملك سيأمر بقطع رأس الويتشر دون قيد أو شرط؟».

نظر فولتيست لحظة طويلة إلى عيني الريفياوي.

وأخيرًا قال: «الملك لا يعرف. لكن على الويتشر أن يأخذ مثل هذا الاحتمال في الحسبان».

صمت جيرالت لحظة.

قال بعد لحظة: «سأسعى إلى بذل قصارى جهدي. لكن إذا سارت الأمور سيرًا سيِّئًا، فإني سأدافع عن حياتي. أنتم أيضًا، يا سيدي، يجب أن تأخذوا مثل هذا الاحتمال في الحسبان».

نهض فولتيست.

- أنت لا تفهمني. ليس هذا هو المقصود. هذا واضح أنك ستقتلها عندما يصبح الأمر ساخنًا، سواء أعجبني ذلك أم لم يعجبني. وإلا ستقتلك هي، بالتأكيد وبلا رجعة. أنا لن أذيع ذلك على الملأ، لكنني لن أعاقب أي شخص سيقتلها دفاعًا عن النفس. ولن أسمح بأن تُقتلَ دون أن أحاول إنقاذها. لقد حصلت محاولات لإشعال النار في القصر القديم، وأطلق بعضهم عليها السهام من الأقواس، وحفروا حفرًا، وراحوا ينصبون الفخاخ والمصايد إلى أن علَّقتُ عددًا منهم على المشانق. ولكن ليس هذا هو المقصود. اسمع، يا معلم!

- إني أستمع.

- بعد الصياح الثالث للديك، لن يكون ثمة استريجا، هذا إن فهمت الأمر على وجه صحيح. فماذا سيكون؟

- إذا سار كل شيء على ما يرام، فالذي سيكون: بنت ذات أربعة عشر عامًا.

- حمراء العينين؟ ذات أسنان كأسنان التمساح؟

- بنت طبيعية ذات أربعة عشر عامًا.. إلا إذا...

- ماذا؟

- جسديًّا.

- وهذا أول الرقص. ونفسيًّا؟ دلو من الدم على الإفطار كل يوم؟ أو فخذ فتاة؟

- لا. نفسيًّا... لا يمكنني أن أقول... أظن أنها بمستوى طفل، يعني لا أدري، بعمر ثلاث، أربع سنوات. ستطلب رعاية فائقة مدة طويلة.

- هذا واضح. يا مُعلم؟

- إني أستمع.

- هل يمكن أن يعود ذلك إليها؟ لاحقًا؟

صمت الويتشر.

قال الملك: «آها يمكن. وماذا عندئذٍ؟».

- إن ماتت بعد إغماء طويل، عدة أيام، وجب حرق جسدها. وبسرعة.
اكفهرَّ فولتيست.

أضاف جيرالت: «لكنني لا أعتقد أن الأمر سيصل إلى هذا الحد. وللتيقن من ذلك، أقدم لكم، سيدي، بعض الإشارات، حول كيفية تقليل الخطر».

- الآن حالًا؟ أليس هذا الأمر سابق أوانه، يا معلم؟ وإذا...

قاطعه الريفياوي: «الآن حالًا، فلا نعرف كيف تسير الأمور، أيها الملك. قد يحدث أن تجدوا في الصباح جثتي والأميرة وقد انفك عنها السحر في سرداب الدفن».

- إلى هذا الحد؟ رغم إذني بجواز الدفاع عن النفس؟ والذي، كما يبدو لي، أن أمره لم يهمك كثيرًا.

- هذا أمر خطر، أيها الملك. المخاطرة عظيمة، لذلك اسمعوا: على الأميرة أن ترتدي الياقوت حول رقبتها دائمًا، ويفضل أن يكون حرزًا على سلسال فضي. دائمًا. ليلًا نهارًا.

- ما هو الحرز؟

- ياقوت مع فقاعة هواء داخل الحجر. ما عدا ذلك، يجب حرق أغصان من العرعر واللزان والبندق، من حين إلى آخر، في الموقد، في الغرفة التي تنام هي فيها.

تفكَّر فولتيست في ذلك.

- شكرًا لك على نصائحك، يا معلم. سأطبقها، إذا ما... والآن استمع لي بانتباه. إذا كنت تؤكد أنها حالة ميؤوس منها، فاقتلها. إن أبطلت سحر التعويذة، ولم تصبح الفتاة... طبيعية... وإن لمست ذرة شك في أكنت قد نجحت تمامًا، أيضًا اقتلها. لا تخف، لن يمسَّك سوء من طرفي. سأصرخ عليك أمام الناس، وأطردك من القصر والمدينة، ولا شيء غير ذلك. طبعًا، لن أعطيك الجائزة. ربما يمكنك الحصول على شيء ما من المساومة، تعرف مِمن.

صمتا لحظة.

- جيرالت.

هذه أول مرة يخاطب فولتيست فيها الويتشر باسمه.

- إني أستمع.

- ما مقدار الحقيقة في قولهم بأن الطفلة كانت على تلك الهيئة، لا على غيرها، لأن آدَّا كانت أختي؟

- غير كبير. التعويذة يجب أن تُلقى، ولا يمكن لأي تعويذة أن تلقي نفسها بنفسها. لكني أظن أن علاقتكم بأختكم، كانت سبب السحر، وهذه هي العاقبة.

- كنت أظن ذلك. قال بعض العارفين ذلك، لكن ليس كلهم. جيرالت؟ من أين تتأتى مثل هذه الأمور؟ التعاويذ، السحر؟

- لا أعلم أيها الملك. يزاول العارفون البحث في أسباب هذه الظاهرات. بالنسبة إلينا، نحن معشر الويتشر، تكفينا معرفة أن الإرادة المركزة يمكن أن تسبب مثل هذه الظواهر. وتكفينا معرفة كيفية محاربتها.

- قتلًا؟

- في أغلب الأحيان. ومقابل ذلك يدفعون لنا في أغلب الأحيان. قليل مَن يطالب بإبطال التعاويذ، أيها الملك. كقاعدة عامة، يريد الناس ببساطة حماية أنفسهم من الخطر. وإذا كان في ذمة الوحش أناس، حضر دافع الانتقام أيضًا.

نهض الملك، سار بضع خطوات في الغرفة، وتوقف أمام سيف الويتشر المعلق على الحائط.

سأل، دون أن ينظر إلى جيرالت:

- بهذا؟

- لا. هذا للناس.

- لقد سمعتُ. أتعْلم، يا جيرالت؟ سأذهب معك إلى سرداب الدفن.

- لا يمكن.

استدار فولتيست، وقد ومضت عيناه.

- هل تعرف، أيها الساحر، أنني لم أرها؟ لا بعد ولادتها، ولا... بعد ذلك. كنت خائفًا. يمكن ألا أشاهدها مرة أخرى، أليس كذلك؟ على الأقل لديَّ الحق أن أراك عندما تقتلها.

- أكرر، لا يمكن. إنه موت مؤكد. وكذلك لي. فيما إذا ضعف انتباهي، وإرادتي... لا، أيها الملك.

استدار فولتيست وتوجه نحو الباب. ظن جيرالت، خلال لحظة، أنه سيغادر دون أن ينبس بكلمة، ودون إيماءة وداع، لكن الملك توقف ونظر إليه.

قال: «أنت تبعث في النفس الثقة. مع أني أعرف أي مشاغب أنت. قيل لي ما حدث في النُّزل. أنا على يقين من أنك قتلت هؤلاء الزعران، فقط من أجل إشهار الأمر، لصدم الناس، وصدمي. الأمر بالنسبة إليَّ بيِّن، فقد كنت تستطيع أن تهزمهم دون أن تقتلهم. أخشى ألا أعرف أبدًا، ما إن كنت ذاهبًا لإنقاذ ابنتي أم قتلها. لكنني أقبل ذلك. عليَّ أن أقبل. أتعرف لماذا؟

لم يُجب جيرالت.

قال الملك: «لأني أعتقد، أعتقد أنها تعاني. أليس كذلك؟».

ثبَّت الويتشر عينيه الثاقبتين على الملك. لم يوافق، ولم يطأطئ رأسه، ولم يُبدِ أي إيماءة، لكن فولتيست علم. عرف الجواب.

5

ألقى جيرالت نظرة أخيرة من خلال نافذة القصر. حلَّ الغسق سريعًا. راحت أضواء فيزيما الباهتة تومض خلف البحيرة. كانت تحيط بالقصر منطقة خالية، وهي شريط من أرض مشاع، فصلت به المدينة نفسها، في غضون ست سنوات، عن هذا المكان الخطر، ولم تُبقِ سوى عدد قليل من الخرائب، والدعامات الفاسدة، وبقايا حاجز مثلوم الأوتاد، التي لم يكن من المربح، كما هو واضح، تفكيكها ونقلها. وقد نقل الملك نفسُه مقرَّ إقامته إلى أبعد ما يمكن من هناك، أي إلى الطرف المعاكس تمامًا للحي. اسودَّ البرج المنفوخ لقصره الجديد في البعيد، على خلفية السماء الزرقاء الداكنة.

عاد الويتشر إلى الطاولة المغبَّرة، في إحدى الغرف الفارغة المنهوبة، حيث جلس يهيئ نفسه دون عجَلة، وبهدوء، وعناية. كان لديه متسع من

الوقت، كما كان يعلم. لن تخرج استريجا من سرداب الدفن قبل منتصف الليل.

كان أمامه، على المنضدة، صندوق صغير، مُلبَّس بالمعدن. فتحه. صُفَّت في داخله قوارير من زجاج داكن، في حيز ضيق داخل حُجيرات مغطاة بالعشب الجاف. أخرج الويتشر ثلاثًا منها.

التقط من الأرضية حزمة مستطيلة ملفوفة لفًّا سميكًا بجلد غنم، ومحزمة بقشاط جلدي. فكها، وأخرج سيفًا ذا مقبض مزين، من غمد أسود لامع مغطًّى بصفوف من العلامات والرموز الرونية. أظهر النصل الذي برق لامعًا كمرآة. كان حد السيف من الفضة الخالصة.

همس جِيرالت بالرقية، وشرب ما كانت تحتوي عليه قارورتان، واحدة تلو الأخرى، واضعًا يده اليسرى، بعد كل رشفة، على شفرة السيف. ثم جلس مُتلفِّعًا بمعطفه الأسود بإحكام. جلس على الأرضية. لم يكن أي كرسي في الحجرة. تمامًا كما في سائر أنحاء القصر.

جلس ساكنًا، وعيناه مغمضتان. فجأة أصبح تنفسه الذي كان ثابتًا في البداية متسارعًا، ومتحشرجًا، ومضطربًا. ثم توقف تمامًا. يتكون المزيج، الذي بوساطته صار الويتشر يتحكم بعمل جميع أعضاء جسمه، تحكمًا كاملًا، يتكون أساسًا من الخربق، والداتورا، والزعرور، واليتُّوع. لم تكن لمكوناته الأخرى أسماء بأي لغة بشرية. وسيكون سمًّا قاتلًا لرجل لم يتعوده، كما تعوده جيرالت، منذ نعومة أظفاره.

أدار الويتشر رأسه فجأة. أصبح سمعه الآن حادًّا ومشحوذًا إلى أقصى حد، فالتقط بيسر من الصمت دبيب خطوات على أرض الفناء المكسوة بالقراص. لا يمكن لهذه أن تكون استريجا. فالجوُّ لا يزال مشرقًا جدًّا. ألقى جيرالت السيف على ظهره، وأخفى صُرَّته في موقد المدفأة المتهدِّم، وركض بصمت كخفاش، نازلًا عبر السلَّم.

كان الضوء لا يزال ساطعًا في الفناء، بما يكفي ليستطيع الشخص المقترب أن يرى وجه الويتشر. تراجع ذاك الشخص -أوستريت- إلى الوراء فجأة، وقد أوسعت شفتيه تكشيرةٌ لا إرادية من الرعب والنفور. ابتسم الويتشر ابتسامة معوجَّة؛ كان يعرف كيف يبدو شكله. فبعد شرب مزيج من الأتروبا، والخربق، والعرقون، يكتسب الوجه لون الطباشير، وتشغل الحدقةُ القزحيةَ بأكملها.

لكنَّ هذا الخليط الممزوج يسمح للمرء بالرؤية في أعمق درجات الظلام، وهذا ما أراده جيرالت.

استعاد أوستريت رباطة جأشه بسرعة.

قال: «يبدو كأنك صرت جثة هامدة، أيها الساحر. ربما بسبب الخوف. لا تخف. سآتيك بالعفو».

الويتشر لم يرُدَّ.

زان أوستريت حقيبة كبيرة بيده، وألقى بها عند قدمي جيرالت: «ألا تسمع ما قلته، أيها الطبيب الدجال الريفياوي؟ أنت مصون. وغني. هذه ألف أورين. خذها، اركب حصانك وانصرف من هنا!».

ظل الريفياوي صامتًا.

رفع أوستريت صوته: «لا تفنجر عينيك نحوي! ولا تضيِّع وقتي. لا نية لديَّ أن أقف هنا حتى منتصف الليل. ألا تفهم؟ لا أتمنى أن تبطل السحر. لا، لا تظن أنك قد حزرت. أنا لستُ مرتبطًا بفيليراد وسيجيلين. لا أريدك أن تقتلها. ما عليك إلا أن تنصرف وحسب. يجب أن يبقى كل شيء كما كان في السابق».

لم يتحرك الويتشر من مكانه. لم يكن يريد أن يدرك الشريف، كم كانت حركاته وردود أفعاله متسرعة الآن. ازداد الظلام قتامة بسرعة، وكان هذا مفيدًا جدًّا، حتى إن شفق الغروب كان شديد السطوع على حدقتيه المتوسعتين.

سأل محاولًا نطق كل كلمة ببطء: «ولماذا، يا سيدي، يجب أن يبقى هذا كله كما كان في السابق؟».

رفع أوستريت رأسه باعتزاز: «وهذا يجب ألا يثير اهتمامك قيد أنملة».

- وإن كنتُ قد عرفتُ؟
- طريف.
- سيكون من الأسهل الإطاحة بفولتيست عن العرش، إذا كانت استريجا ستزعج الناس أكثر؟ وإذا ازداد الجنون الملكي ثقلًا، حتى الثمالة، على الشرفاء، وعلى الدهماء، أليس كذلك؟ أتيت إليكم عبر ريدانا، وعبر نوفيجراد. يقال الكثير هناك عن أن البعض في فيزيما ينظرون إلى الملك فيزيمير على أنه المنقذ، والملك الحقيقي. لكنني، يا سيد أوستريت، لا أبالي لا بالسياسة، ولا بتوارث العروش، ولا بالانقلابات

في القصر. أنا هنا كي أؤدي عملي. ألم تسمعوا من قبل عن الشعور بالواجب والاستقامة العادية؟ وعن أخلاق المهنة؟

صرخ أوستريت بغضب، واضعًا يده على مقبض سيفه: «احذر، مَن تكلم، أيها المتسكع! قد ضقتُ من هذا، أنا لم أعتدِ الدخول في نقاش مع أي كان! انظروا إليه، أخلاق، قوانين، قِيم؟! ومن يقول هذا؟ قاطع الطريق الذي ما كاد يأتي حتى بدأ يقتل الناس؟ الذي انحنى أمام فولتيست مقوسًا، وخلف ظهره تساوم مع فيليراد مثل سفاح مرتزق؟ وأنت تجرؤ على تصويب رأسك يا خدَّام؟ تتظاهر بأنك من العارفين؟ ساحر؟ مشعوذ؟ أنت، أيها الويتشر الشرير! اغرب من هنا قبل أن أشق بوزك بشفرة سلاحي!».

لم يحرك الويتشر ساكنًا، ظل واقفًا بهدوء.

قال: «بل أنتم اذهبوا من هنا، يا سيد أوْستريت، المكان يزداد ظلامًا».

تراجع أوستريت خطوة إلى الوراء، وسحب سيفه بلمح البصر.

- أنت من أراد ذلك أيها الساحر. سأقتلك. حِيَلك لن تساعدك. معي هنا حجر السلحفاة.

ابتسم جيرالت. كان رأي الناس في قوة حجر السلحفاة شائعًا، بقدر ما كان خاطئًا. لكن الويتشر لم يفكر في إهدار قوته على التعاويذ، ناهيك بتعريض نصل سيفه الفضي للاحتكاك بحديدة سيف أوستريت. اندس تحت النصل الذي كان يدور في الهواء، وبمعصمه والدبابيس الفضية التي تكسو الكمَّ ضرب الشريف على صدغه.

6

استردَّ أوستريت وعيه بسرعة، وأدار عينيه إلى كل اتجاه حوله في الظلام الدامس. أدرك أنه مقيَّد. لم يستطع رؤية جيرالت الذي كان يقف إلى جانبه. لكنه وعى أين هو، وتأوه تأوهًا مطولًا رهيبًا.

قال الويتشر: «اصمت، فإنك ستجذبها قبل أن يحين الوقت».

- أيها المجرم الملعون! أين أنت؟ فُكَّ قيدي في الحال، أيها الوغد! من أجل هذا ستشنق، يا ابن الكلبة!

- اسكت!

كان أوستريت يتنفس بمشقَّة.

سأل بصوت أخفض، مضيفًا شتيمة قميئة بِما يشبه الهمس: «تتركني لها لتلتهمني! مقيدًا؟».

قال الويتشر: «لا. سأطلق سراحك. لكن ليس الآن».

هسهس أوستريت: «أيها الخسيس. لكي تستدرج استريجا؟».

- أجل.

سكت أوستريت، وتوقف عن التخبط، واستلقى ساكنًا.

- ويتشر؟

- نعم.

- صحيح أنني أردت الإطاحة بـفولتيست. لم أكن الوحيد. لكنني أنا الوحيد الذي رغبتُ في موته، أردت أن يموت في عذاباته، أن يُجنَّ، أن يُعفِّن وهو حيٌّ. أتعرف لماذا؟

ظل جيرالت صامتًا.

- أحببتُ آدَّا. أخت الملك. عشيقة الملك. عاهرة الملك. لقد أحببتها... ويتشر، أنت هنا؟

- أنا هنا.

- أنا أعرف في ماذا تفكر. لكن الأمر لم يكن كذلك. صدقني، لم ألقِ أي تعويذات. لا أفقه في أي سحر. فقط مرة واحدة قلت بغضب... مرة واحدة فقط. ويتشر؟ أتسمع؟

- أسمع.

- إنها والدته، الملكة العجوز. بالتأكيد هي. لم تستطع أن تشاهد أنه هو وآدَّا... ليس أنا. مرة واحدة أنا فقط، هل تَعْلَم، حاولتُ النصح، لكنَّ آدَّا... يا ويتشر! ذهلتُ وقلتُ... يا ويتشر؟ هل أنا؟ أنا؟

- لم يعد لهذا أهمية الآن.

- يا ويتشر؟ منتصف الليل قريب؟
- قريب.
- أطلق سراحي في وقت أبكر. أعطني مزيدًا من الوقت.
- لا.

لم يسمع أوستريت صرير بلاطة القبر تنزلق جانبًا، لكن الويتشر سمعه. انحنى وقطع وثاق الشريف بالخنجر. لم ينتظر أوستريت أي كلمات، انفكَّ، ومشى يعرج بتثاقل، وركض. قد تعوَّد بصره الآن العتمة، لدرجة أنه تمكن من رؤية الطريق المؤدية من القاعة الرئيسة إلى المَخرج.

برزت من الأرضية البلاطة، التي كانت تسدُّ مدخل سرداب الدفن، وقد صحبها ضجيج. لاحظ جيرالت، المختبئ بحرص خلف درابزين الدرج، هيئة استريجا الغريبة، وهي تندفع برشاقة، وسرعة، وثقة تامة، متتبعة صرير حذاء أوستريت المبتعد. لم تصدر استريجا أي صوت.

شقَّ الليل صراخ مرعب وراجف وأهوج، هز الجدران القديمة، واستمر يعلو وينخفض، مهتزًّا. لم يستطع الويتشر أن يحدد المسافة بدقة -سمعه الحساس أخطأ- لكنه عرف أن استريجا قد أمسكت بأوستريت بسرعة. بسرعة كبيرة جدًّا.

خرج إلى وسط القاعة، ووقف عند مدخل سرداب الدفن. ألقى معطفه. حرك كتفيه، معدِّلًا وضعية السيف. سحب قفازيه. لا يزال لديه بعض الوقت. كان يعلم أن استريجا، مع أنها قد شبعت من الأكل بعد اكتمال القمر الأخير، لن تترك جثة أوستريت عاجلًا. فقلبه وكبده كانا، بالنسبة إليها، ذخرًا واحتياطًا ثمينين للطعام، في حال استمرار خمول السبات مدة طويلة.

انتظر الويتشر. بقي حتى بزوغ الفجر، وفق حساباته، قرابة ثلاث ساعات. لا يمكن لصياح الديك إلا أن يضلله وحسب. وعلى الأرجح، لم تكن أي ديوك في المنطقة.

سمعها. سارت ببطء، تتهادى عبر الأرضية. ثم رآها.

كان الوصف دقيقًا. الرأس كبير على نحو غير متناسب، متصل برقبة قصيرة، محاطة بهالة متشابكة ومتجعدة من الشعر المحمر. عيناها توهجتا في الظلام مثل ياقوتتين جمريتين. وقفت استريجا دون حَراك، محدقة إلى

جيرالت. فجأة فتحت شدقيها -كما لو أنها كانت تتباهى بصفوف أسنانها البيض الحادة- وبعد ذلك، أطبقت فكها السفلي مصدرة طقطقة، تشبه صوت إغلاق الصندوق. وقفزت على الفور، من مكانها دون أن تركض، طاعنة الويتشر بمخالبها الملوثة بالدماء.

ارتدَّ جيرالت جانبًا، والتفَّ بسرعة البرق، وهو يدور على أصابع قدم واحدة، فاحتكت به استريجا، وأخذت تدور أيضًا، ممزقة الهواء بمخالب يديها. لم تفقد توازنها، وانقضَّت فورًا، من جديد، بنصف دورة، مطبقة أسنانها أمام صدر جيرالت مباشرة. ارتدَّ الريفياوي قافزًا إلى الجهة الأخرى، وغيَّر اتجاه تحركه ثلاث مرات في دوران ملتفٍّ خفَّاق، فأربك استريجا. وإذ ارتد بقوة إلى الوراء، لكن دون أن يحرك أطرافه، ضربها على جانب رأسها بالدبابيس الفضية المغروزة في الجزء العلوي من القفاز، على مفاصل الأصابع. زأرت استريجا زئيرًا مروعًا، مالئة القصر بصدى هادر، وتساقطت على الأرض، همدت وراحت تعوي، عواء أجشَّ، وهائجًا، ينذر بالشر.

ابتسم الويتشر بخبث. جاءت المحاولة الأولى، كما كان يأمل، ناجحة. كانت الفضة قاتلة لاستريجا، كما هي كذلك لمعظم المسوخ التي استدعتها الأسحار إلى الحياة. الفرصة قد سنحت إذن: الوحش كان كغيره من الوحوش، وهذا ما يمكن أن يضمن فك السحر بطريقة ناجحة، أما السيف الفضي، وهو ملاذه الأخير، فيمكنه أن يضمن حياته.

لم تتعجل استريجا لشن الهجوم التالي. هذه المرة، راحت تقترب ببطء، مكشِّرة عن أنيابها، ولعابها يسيل بطريقة مقززة. تراجع جيرالت، وسار بنصف دائرة، واضعًا خطواته بحذر، وهو يبطئ حركاته ويسرعها، فشتَّتَ تركيز استريجا، وصعَّب عليها التحفُّز للانقضاض. مدَّد الويتشر، في أثناء سيره، جنزيرًا طويلًا رفيعًا ومتينًا، مثقلًا في نهايته. كان الجنزير من فضة.

في اللحظة التي تأهبت فيها استريجا وقفزت، أطلق الجنزير صفيرًا في الهواء، وإذ تلوى كثعبان التفَّ، برمشة عين، حول كتفيِّ الوحش، ورقبته، ورأسه. تهاوت استريجا في أثناء وثبتها، مُصدرة زعيقًا يخرق الآذان. راحت تتخبط على الأرضية، وتزمجر زمجرة رهيبة، ولم يُعرَف أكان ذلك بسبب الحنق العارم، أم بسبب الألم الحارق الذي ألحقه بها المعدن البغيض. كان جيرالت راضيًا، فلو أراد قتْلَ استريجا، لما شكَّل ذلك مشكلة كبيرة في هذه اللحظة. لكن الويتشر لم يستل سيفه. حتى الآن، لا شيء في سلوك استريجا

يقدم أسبابًا للافتراض أنها يمكن أن تكون حالة لا شفاء منها. تراجع جيرالت مسافة مناسبة، وفي الوقت الذي لم يرفع فيه عينيه عن ذلك الشكل الذي كان يتضوَّر على الأرضية، تنفس بعمق وركَّز.

تقطَّع الجنزير، وتناثرت الحلقات الفضية، كقطرات المطر، في جميع الاتجاهات محدثة رنينًا على الحجارة. انقضَّت استريجا مهاجمة، وهي تزعق، وقد أعماها الهياج. انتظر جيرالت بهدوء، ورافعًا يده اليمنى رسم **علامة آراد** أمامه[1].

جرت استريجا، كمن ضُربَ بمطرقة، عدة خطوات إلى الخلف، لكنها بقيت على قدميها ثابتة، مدَّت مخالب يديها، وكشفت عن أنيابها. انتصب شعرها ورفرف كما لو أنها كانت تسير مواجهة ريحًا هوجاء. بصعوبة، مشت ببطء، خطوة خطوة، وهي تلهث. كانت، رغم ذلك، تمشي.

قلقَ جيرالت. لم يكن يخمن أن تشلَّ هذه العلَامةُ البسيطة استريجا كليًّا، ولكنه لم يتوقع أيضًا أن يتغلب الوحش على المقاومة بهذه بسهولة. لم يستطع مسك العلامة طويلًا، فقد كان ذاك مرهقًا جدًّا، ولم يكن أمام استريجا أكثر من عشر خطوات لتنصرف. نكَّس العلامة فجأة، وقفز جانبًا. وكما توقَّعَ، فرَّت استريجا التي بوغتت، إلى الأمام، ثم فقدت توازنها، وتعثرت، فانزلقت على الأرض، متدحرجة على الدرج إلى الأسفل، إلى الثغرة الهاوية في الأرضية من مدخل سرداب الدفن. وانبعث من الأسفل زعيقها المروع.

قفز جيرالت إلى السلَّم المؤدي إلى الرواق، لكسب الوقت. ولم يكن قد بلغ نصف الدرجات، حتى اندفعت استريجا من سرداب الدفن، متسارعة مثل عنكبوت أسود ضخم. ترقَّب الويتشر انطلاقها وراءه صاعدة السلَّم، ثم عبر من فوق الدرابزين، ووثب إلى أسفل. التفَّت استريجا، وهي على الدرج، ثم ارتدَّت، ونطَّت نحوه في قفزة لا تصدق، امتدَّت أكثر من عشرة أمتار. لم يعد من السهل خداعها بدوراناته، وقد أحدثت مخالب يديها، مرتين، أثرًا في قفطان الريفياوي، المصنوع من الجلد. لكنه سدَّد، من جديد، إلى استريجا

(1) كتبنا عددًا من الكلمات بخط غليظ، وهي الكلمات التي يميزها الكاتب بكتابة أول حرف منها بحرف كبير، تمامًا كما تُكتَب أسماء العلم، وهي أصلًا لا تلزم ذلك في اللغة البولندية، إلا بقصد إظهارها كمصطلح اعتباري مهم. وقد اخترنا الخط الغليظ لتمييزها، وذلك لعدم وجود حروف كبيرة في العربية تستخدم لمثل هذا الغرض.

ضربة قوية مستميتة بدبابيس قفازه الفضية، جعلتها تترنح. وبينما أخذ جيرالت يشعر بحنق شديد متصاعد في داخله، تمايل وأحنى جذعه إلى الخلف، وبركلة شديدة الوقع، هوت على جنبها، أوقعها أرضًا.

كانت زمجرتها التي أطلقتها الآن، أعلى من كل سابقاتها. حتى إن جزءًا من المِلاط تساقط من السقف.

هبَّت استريجا راجفة من الهياج الجامح، وشهوة القتل. ترقَّب جيرالت. استلَّ سيفه، ورسم به دوائر في الهواء، ومشى، ثم طوَّق استريجا، متنبهًا إلى ضرورة توافق حركات سيفه مع إيقاع خطواته ووتيرتها. لم تثب استريجا، اقتربت ببطء، متتبعة بعينيها أثر النصل الساطع.

توقف جيرالت فجأة، جمد في مكانه وسيفه مرفوع. وكذا وقفت استريجا مضطربة. خطَّ الويتشر نصف دائرة بطيئة بحد السيف، وخطا خطوة نحو استريجا. ثم واحدة أخرى. وقفز بعد ذلك، دائرًا بسيفه فوق رأسها، دورانًا سريعًا.

انثنت استريجا متراجعة تراجعًا متعرجًا، وكان جيرالت مجددًا قريبًا منها، والنصل يبرق في يده. اشتعلت عينا الويتشر بتوهج مشؤوم، وتقطع من خلف أسنانه المشدودة هدير أجش. تراجعت استريجا من جديد، مدفوعة إلى الخلف بالقوة المتحفزة المتأتية من الكراهية، والغضب، والعنف، والمنبعثة من الرجل الذي يهاجمها، ويضربها بأمواج تخترق دماغها وأحشاءها. زعقت زعيقًا حادًّا، ومرتجفًا، وكانت مذعورة حتى النخاع، جرَّاء شعور لم تعهده من قبل؛ دارت في مكانها، ثم دفعت نفسها إلى فرار جنوني في ممرات القصر المتشابكة المظلمة.

وقف جيرالت في وسط القاعة، مرتعدًا بقشعريرة. وحيدًا. لقد طال الأمر، هكذا فكَّرَ قبل أن يحقق هذا الرقص على حافة الهاوية، هذا الباليه القتالي المروِّع، النتيجة المرجوة، ويسمح له ببلوغ التوحد النفسي مع خصمه، للوصول إلى بواطن الإرادة المركَّزة التي أُترعت بها استريجا. الإرادة الشريرة المهووسة، التي نشأت استريجا من صلب قوتها. ارتجف الويتشر من خضمِّ تذكُّر اللحظة، التي امتصَّ فيها شحنة الشر هذه، ليوجهها إلى الوحش، كانعكاس من مرآة. لم يسبق له أن واجه مثل هذا التركيز من الكراهية والجنون القاتل، حتى عند الباسيليقيين الذين تمتعوا بأسوأ سمعة وفق هذا المقياس.

كان الأمر أفضل، دار في خَلَده، وهو يسير نحو مدخل سرداب الدفن، الذي اسودَّ على الأرضية مثل بركة ضخمة. كان الأمر أفضل، كلما تلقت استريجا نفسها ضربة أقوى. سيمنحه هذا الأمر وقتًا أكثر قليلًا لمواصلة العمل، قبل أن يستفيق الوحش من صدمته. شكك الويتشر في أكان سيمكنه بذل جهد آخر مماثل ثانية. فقد ضعف تأثير الإكسير، والفجر لا يزال بعيدًا. لا يمكن لاستريجا الدخول إلى سرداب الدفن قبل الفجر، وإلا فإن كل الجهد المبذول حتى الآن سيغدو هباءً.

نزل عبر الدرَج. لم يكن سرداب الدفن كبيرًا، فهو يتسع لثلاثة توابيت حجرية. الأول من جهة المدخل كان عليه غطاء نصف مفتوح. أخرج جيرالت من سترته قنينة ثالثة، وشرب ما فيها بسرعة، دخل القبر وغاص فيه. وكما توقع، كان القبر مزدوجًا، للأم وابنتها.

لم يُغلِق الغطاء إلا عندما سمع صوت استريجا مجددًا، منبعثًا من الأعلى. استلقى على ظهره بجوار جثة آدًّا المحنطة، ورسم على البلاطة من الداخل **علامة يرْدِن**. ألقى سيفه على صدره، ووضع ساعة رملية صغيرة، مملوءة برمل فسفوري مشع. عقد ذراعيه. لم يعد يسمع صرخات استريجا التي كانت تزلزل القصر. توقف عن سماع أي شيء، لأن نباتي الفَنَاة[1] وعروق الصباغين[2] شرعا يعملان.

7

عندما فتح جيرالت عينيه، كان الرمل في الساعة الرملية قد نفد، ما يعني أن سباته كان أطول مما ينبغي له أن يكون عليه. أصاخ، فلم يسمع شيئًا. كانت حواسه قد صارت تعمل بطريقة طبيعية.

(1) الفَناة: فَنَاة أو باريس، جنس نباتات مُزهرة من فصيلة زهور حزمية.

(2) عُرُوق الصَبَّاغِين: نبات له زهور صُفر، يسمى أيضًا العروق الصُفْر، أو بَقْلَة الخَطَاطِيف.

تناول السيف بقبضته، ومرر يده على غطاء التابوت الحجري، متمتمًا الرقية، ثم دفع البلاطة قليلًا، بضع بوصات.

صَمْتٌ.

دفع الغطاء أكثر، وجلس ممسكًا بالسلاح في حالة استعداد، وأبرز رأسه فوق القبر. ساد الظلام في سرداب الدفن، لكنَّ الويتشر كان يعلم أن الفجر قد بزغ في الخارج. أضرم نارًا، وأشعل مصباحًا صغيرًا، ثم رفعه مُلقيًا ظلالًا غريبة على حيطان سرداب الدفن.

المكان فارغ.

انفكَّ من التابوت الحجري، متألمًا، خَدِرًا، مقرورًا. وعندئذ رآها. كانت مستلقية على ظهرها إلى جانب القبر، عارية وفاقدة الوعي.

كانت قبيحة، بالأحرى. نحيلة، وصدرها صغير، حاد الأطراف، وكانت متسخة. يمتد شعرها -الأحمر الكتَّاني- إلى ما يقرب من خصرها. جثا بجوارها، وضع الفانوس على بلاطة القبر، وانحنى. كانت شفتاها شاحبتين، وعلى عظم وجنتها جرح كبير مدمى، نتيجة ضربه إياها. خلع جيرالت قفازه، ألقى سيفه، ودون مقدمات مَطَّ بإصبعه شفتها العليا. كانت أسنانها طبيعية. دنا إلى يدها المدفونة في شعرها المتشابك. وقبل أن يلمس يدها، رأى عينين مفتوحتين.

لقد فات الأوان.

خبطته على رقبته بمخالب كفيها، محدثة جرحًا عميقًا، فنَزَّ الدم متطايرًا على وجهها. جأرت وهي تغرز يدها الأخرى في عينيه. هوى عليها، وهو يمسك بمعصمي يديها، مثبتًا إياها على الأرضية. صرَّت بأسنانها -التي صارت الآن قصيرة جدًّا- أمام وجهه. صدمها على وجهها بجبهته، وأخذ يخنقها بزخم أشد. لم تعد تمتلك القوة السابقة، وراحت تتلوى تحته وحسب، وتعوي باصقة دمًا -دمه- الذي غمر فمها. كان الدم ينزف بسرعة. لم يكن ثمة وقت. ألقى الويتشر السحر عليها، وعضَّ بقوة رقبتها أسفل الأذن مباشرة، وغرز أسنانه وضغطها إلى أن تحول العواء غير البشري، الوحشي، إلى صراخ رقيق يائس، ثم إلى عويل خانق؛ بكاء فتاة ذات أربعة عشر عامًا أصابها الأذى.

عندما لم تعد تتحرك، تركها، وقف على ركبتيه، سحب قطعة قماش من جيب كمه، وضغطها على رقبته. تلمَّس السيف الملقى بجانبه، وضع النصل

على حلق الفتاة فاقدة الوعي، وانحنى على يدها. كانت أظفارها متسخة، ومتشققة، ودامية، ولكنها... طبيعية. طبيعية، أتم التمام.

نهض الويتشر بصعوبة. تدفقت خطوط الصبح الرمادية، الرطبة، اللزجة. تحرك نحو الدرَج، لكنه كان يترنح، فجلس بتثاقل على الأرضية. سال الدم على يده من خلال القماش المبتل، منسابًا قطرات على كمه. فكَّ أزرار القفطان، شقَّ القميص، فتق الخِرَق ومزقها، ربطها حول رقبته، وكان يعلم أنه لم يبق لديه الكثير من الوقت، وأنه على وشك أن يُغمى عليه...

لحق. وأغمى عليه.

وراء البحيرة، في فيزيما، صاح الديك بصوت مبحوح مرة ثالثة، نافشًا ريشه وسط رطوبة باردة.

8

رأى الحيطان المبيَّضة، وسقف الحُجيرة ذا العوارض الخشبية فوق غرفة الحراسة. حرك رأسه عابسًا من شدة الألم، كان يئنُّ. رقبته مضمدة، تضميدًا سميكًا، ومتينًا، ومهنيًّا.

قال فيليراد: «استلقِ، أيها الساحر. استلق، لا تتحرك».

- سيفي...

- نعم، نعم. طبعًا أهم شيء هو سيفك الويتشري الفضي. إنه هنا، لا تخفْ. السيف والصندوق الصغير كلاهما هنا. وكذلك ثلاثة آلاف أورين. نعم، نعم، لا تقل شيئًا. أنا الأبله الشيخ، وأنت الويتشر الحكيم. إن فولتيست يكرر هذا منذ يومين.

- اثنين...

- أجل، يومين. لقد شقَّتْ عنقك جيدًا، وأمكن رؤية كل ما عندك هناك في الداخل. فقدتَ الكثير من الدم. من حسن الحظ، هُرِعْنا إلى القصر حالًا،

بعد صياح الديك الثالث. لم ينمْ أحد، في فيزيما، تلك الليلة. لم يكن ذلك ممكنًا. لقد أحدثتم ضجة كبيرة هناك. لا تتعبك ثرثرتي؟

- الأ... ميرة؟

- الأميرة كما هي الأميرة. نحيفة. وبلهاء بعض الشيء. تبكي دون توقف. وتتبول في السرير. لكن فولتيست يقول إن هذا سيتغير. ليس إلى الأسوأ، على ما أظن، أليس كذلك، يا جيرالت؟

أغلق الويتشر عينيه.

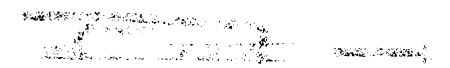
وقف فيليراد: «حسنًا، أنا ذاهب. خذ قسطًا من الراحة. جيرالت؟ قبل أن أذهب، قل لي، لماذا أردت أن تعضها؟ ها؟ جيرالت؟

نام جيرالت.





صوت العقل 2



1

- جيرالت.

رفع رأسه، مقتلعًا نفسه من النوم. أصبحت الشمس عالية، واخترقت البقع الذهبية التي تبهر الأبصار، مصاريع النوافذ بعنف، ونفذت إلى الغرفة بمجسات الضوء. حجب الويتشر عينيه بيده، بحركة غير ضرورية، لا إرادية، لم يتخلص منها قطُّ، فقد كان يكفيه أن يضيِّق حدقتي عينيه إلى أن تصيرا شقين رأسيين.

قالت نينِّيكي، وهي تفتح مصاريع النوافذ: «فاتنا الوقت. لقد نمتما طويلًا. إيولا، هيا اجري. اغربي من هنا في الحال».

نهضت الفتاة فجأة، ومالت عن السرير، ملتقطة الرداء الفضفاض من الأرضية. أحسَّ جيرالت بدفقة من اللعاب البارد على كتفه، حيث كانت شفتاها قبل لحظة.

قال بتردد: «انتظري...».

نظرت إليه، وأدارت رأسها بسرعة.

لقد تغيرتْ. لم يعد بداخلها أي شيء من حورية روسالكا، ولا شيء من طيف البابونج المضيء الذي كانت عليه عند الفجر. كانتِ عيناها شديدتي الزرقة، وليستا سوداوين. وكانت منمشة على الأنف، وعلى خط العنق، وعلى الكتفين. كانت بقع النمش هذه جذابة تمامًا، ناسبت لون بشرتها، وشعرها المُحْمرَّ. لكنه لم يكن قد رأى تلك البقع وقت الفجر، حين كانت هي حلمه. وزعم، بخجل وأسى، أن ما يشعر به هو مجرد تأسف عليها، تأسف لأنها لم تظلَّ حلمًا. وأنه لن يغفر لنفسه هذا التأسف أبدًا.

كرر: «انتظري. إيولا... أردت...».

قالت نينِّيكي: «لا تقل شيئًا لها، يا جيرالت. فلن ترد عليك بأي حال. اجري، يا إيولا. أسرعي يا بنت».

اندفعت الفتاة، متلفعة بالرداء الفضاض، تجاه الباب، وهي تخبط بقدمين حافيتين على الأرضية، مرتبكة، ومتوردة، ومحرجة. لم تعد في أي شيء تشبه...

يِنِّيفر.

قال، وهو يمد يده إلى قميصه: «نينِّيكي. آمل ألا تكون لديك ملامة... لن تعاقبيها، أليس كذلك؟».

نبرت الكاهنة، وهي تدنو من السرير: «أحمق. نسيتَ أين أنت. هذه ليست صومعة ناسك، أو ديرًا، إنه معبد مِليتيلي. إلهتنا لا تمنع عن الكاهنات... أي شيء. تقريبًا».

- لقد منعتِني من التحدث إليها.
- لم أمنعك، نبَّهتُ إلى عدم جدوى ذلك. إيولا تلتزم الصمت.
- ماذا؟
- هي تلتزم الصمت، لأنها نذرت نذرًا كهذا. إنه نوع من التخلي الذي بفضله... آه، لن تفهم ما سأشرح لك، على أي حال، ولن تحاول حتى فهمه. أنا أعرف آراءك في الدين. لا، لا ترتدِ ملابسك، ليس بعد. أريد أن أعاين كيف يلتئم جرح رقبتك.

جلست على طرف السرير، وحلَّت الضمادة الكتانية بمهارة، ولفت رقبة الويتشر لفة ثخينة. اعوجَّت شفتاه من الألم.

حال وصوله إلى إيلاندر، أزالت نينِّيكي القطب السميكة القبيحة من دُبارة الحذَّائين، التي خِيط بها في فيزيما، وفتحت الجرح، وضمدته من جديد. كانت النتيجة واضحة، لقد وصل إلى المعبد معافى تقريبًا، لكنه قد يكون جافًّا بعض الشيء. أما الآن، فقد مرض مجددًا، وغدَا يتألم. لكنه لم يكن يحتج. كان يعرف الكاهنة منذ سنين، ويعلم مدى اتساع معرفتها بالعلاج، ومدى ثراء، وتنوع الصيدلية التي كانت تحت تصرفها. لن يجلب له العلاج في معبد مليتيلي إلا الخير.

تحسَّست نينِّيكي الجرح، غسلته وراحت تكيل اللعنات، لقد صار يعرف ذلك عن ظهر قلب، فقد بدأت تلعن منذ اليوم الأول فورًا، ولم تنس أن تصرخ، في كل مرة كانت ترى فيها الذكرى التي خلفتها مخالب كفي الأميرة من فيزيما.

- شيء فظيع! أن تدع استريجا عادية تمزقك هكذا! العضلات، والأوتار، وكاد الشريان السباتي يذهب أيضًا! بحق مليتيلي العظيمة، ماذا يحدث لك، يا جيرالت؟ كيف حصل أن سمحت لها بهذا القرب منك؟ ماذا كنت تحاول أن تفعل بها؟ تركبها؟

لم يرد، وابتسم ابتسامة خفيفة.

نهضت الكاهنة، وأخذت حقيبة من الضمادات من الخزانة. ومع أنها كانت سمينة وقصيرة القامة، تحركت برشاقة وخفة: «لا تبتسم ببلاهة. لا شيء مضحك فيما حدث. أنت تفقد ردة الفعل، يا جيرالت».

- أنت تبالغين.

ألصقت نينِّيكي على الجرح عجينة خضراء، انبعثت منها رائحة نفاذة من الأوكالبتوس[1]: «أنا لا أبالغ إطلاقًا، يجب ألا تسمح بأن تجرح، وقد فعلت ذلك، وبطريقة شديدة الخطورة، بل فظيعة. حتى مع قدراتك المتجددة الاستثنائية، سيستغرق الأمر عدة أشهر، حتى تستعيد قدرة رقبتك على الحركة كاملة. أحذرك، لا تجرب قوتك، خلال هذا الوقت، في مقاتلة خصم متحرك».

---

(1) الأوكالبتوس: هو نوع من الأشجار يسمى أيضا الكَيْنَة، أو الكينا، أو القَنَقِينَة أو السنكونا.

- أشكركِ على التحذير. أعطيني المزيد من النصائح إن أمكن: من أي شيء عليَّ أن أعيش في هذا الوقت؟ من تجميع عدد من العذراوات، وشراء عربة، وتنظيم بيت متنقل للفجور؟

هزت نينِّيكي كتفيها، وهي تضمد رقبته بحركات سريعة وواثقة من يديها البضَّتين.

- أعليَّ تقديم النصائح والدروس الحياتية؟ ما هذا، أأنا أمك، أم ماذا؟ حسنًا، ضمادك جاهز. يمكنك ارتداء ملابسك. الإفطار في انتظارك بقاعة الطعام. أسرع، وإلا ستطبخ أكلكَ بنفسك. لا أنوي أن أبقي الفتيات في المطبخ حتى الظهر.

- أين يمكنني أن أجدكِ لاحقًا؟ في الحرم؟

نهضت نينِّيكي: «لا. ليس في الحرم. أنت هنا ضيف مرحب به، أيها الويتشر، لكن لا تقلقني بشأن الحرم. اذهب وتمشَّ. وأنا نفسي سأجدك».

- حسنًا.

2

تمشَّى جيرالت، مرة رابعة، عبر درب الحور، المؤدي من البوابة إلى المباني السكنية، وتجاه كتلة الحرم والمعبد الرئيس، المنزرعة في صخرة شديدة الانحدار. تخلى، بعد تفكير وجيز، عن فكرة العودة إلى تحت السقف، والتفَّ تجاه الحدائق والمباني الزراعية. كانت تعمل هناك أكثر من عشر كاهنات، ارتدين بدلات الشغل الرمادية، مجتهدات في تعشيب الزروع، وإطعام الطيور في المداجن. أغلبهنَّ من الشابات والفتيات الصغيرات اللواتي يمكن أن يكنَّ طفلات. كان بعض من يمرُرْنَ من جانبه يحيِّينه بإيماءة رأس أو بابتسامة. كان يرد التحية، لكنه لم يتعرَّف أيًّا منهن. مع أنه كان يزور المعبد كثيرًا، مرة، وأحيانًا مرتين في السنة، فلم يصادف قطُّ أكثر من ثلاثة أو أربعة وجوه يعرفها. كانت الفتيات يجئن ويذهبن - يصبحن عرافات في المعابد الأخرى، وقابلات، ومعالجات متخصصات في أمراض النساء والأطفال، وكاهنات

جوالات، ومعلمات، أو مربيات. لكنَّ قدوم الفتيات الجديدات لم ينعدم قطُّ، من كل صوب، حتى من أقصى الأماكن. كان معبد مليتيلي في إيلاندر معروفًا، ويحظى بالمجد المستحق.

كانت عبادة الإلهة مليتيلي واحدة من أقدم العبادات، وأكثرها انتشارًا في عصرها، وتعود أصولها إلى العصور الغابرة، قبل وجود البشر. إن كل عرق، على وجه التقريب، في عصر ما قبل الإنسان، وكل قبيلة بدائية ومتنقلة، ولكنها بشرية، كلها كانت تعبد إلهة ما من إلهات الخصب والحصاد، حامية المزارعين والبستانيين، راعية الحب والزواج. وقد تركزت جل هذه العبادات، وانخرطت في عبادة مليتيلي.

بدا الزمن، الذي تعامل مع الأديان، وفِرَق التعبد الأخرى، دون رحمة، وعَزَلها عزلًا فعالًا في معابد وبِيَع منسية، نادرًا ما تُزار، ومغمورة بين عمائر المدن، بدا كريمًا مع مليتيلي. ولا تزال مليتيلي لا تشكو نقصَ المؤمنين والراعين الممولين. اعتاد العلماء الذين قدموا تحليلًا لهذه الظاهرة شارحين فيه شعبية الإلهة، الرجوعَ إلى ما قبل عبادات **الأم العظيمة، الطبيعة الأم**، وأشاروا إلى روابطها بدورة الطبيعة، وانبعاث الحياة وغيرها من الظاهرات التي سُمِّيَتْ بهذا الاسم الطنان. وقد بَحَثَ صديق جيرالت، الشاعر التروبادور[1]، ياسكير[2]، الذي كان يحب أن يُعرَف بأنه متخصص في جميع المجالات الممكنة، بَحَثَ عن تفسيرات يسيرة. واستنتج أن عبادة مليتيلي كانت عبادة أنثوية نموذجية. وقبل هذا وذاك، تُعدُّ مليتيلي راعية الخصوبة والولادة، وهي التي تعتني بمَن يلِدْنَ. على المرأة أن تصرخ في أثناء المخاض. وما عدا صياحها العادي الذي عادة ما يكون محتواه وعودًا فارغة، بأنها لن تهبَ ما حيثْ نفسها، مرة أخرى، لأي فلاح أجرب، وإضافة إلى ذلك، على المرأة وهي تلد، أن تنادي إلهًا لينقذها، ومليتيلي مناسبة تمامًا لذلك. ولما كانت النساء

(1) تروبادور: هو الشاعر أو الموسيقي الذي كان يؤدي أدوارًا، منشدًا أشعارًا ألفها، ويعزف الموسيقى، متنقلًا بين القصور، في بعض ممالك أوروبا في القرون الوسطى. أصل هذا النوع الموسيقي هو أندلسي، اسم الكلمة مشتق من كلمتي طرب ودور العربيتين.

(2) ياسكير: اسم باللغة البولندية، يعني نبات أزهاره مختلفة الألوان، يسمى بالعربية: حوذان.

يلدن، ويلدن، وسوف يلدن، وكما أثبت الشاعر، فليس على الإلهة مليتيلي أن تخشى على شعبيتها.

- جيرالت.
- أنتِ هنا، يا نينِّيكي. كنت أبحث عنك.

نظرت إليه الكاهنة نظرة استهزاء: «عني؟ ليس عن إيولا؟».

اعترفَ: «عن إيولا أيضًا. هل لديك ما يمنع؟».

- الآن نعم. لا أريدك أن تزعجها، وتشتت انتباهها. عليك أن تتهيأ وتصلي، إن أردت أن يتأتى شيء من هذه الغشية.

قال ببرود: «لقد أخبرتكِ من قبل، أنني لا أريد أي غشية. لا أظن أن مثل هذه الغشية ستساعدني في أي شيء».

تجهَّمت نينيكي قليلًا: «أما أنا، فلا أظن أن مثل هذه الغشية ستؤذيك في أي شيء».

- لا يمكن تنويمي، لديَّ حصانة. أنا خائف على إيولا. قد يشكل هذا الأمر جهدًا كبيرًا جدًّا على الوسيط.
- إيولا ليست وسيطًا بتاتًا، ولا عرافة مريضة عقليًّا. هذه الطفلة تحظى بنعمة خاصة من الإلهة. فلا تفتعلْ ملامح بلهاء على وجهك، لو تكرمت. قلت لك إنني على دراية بآرائك في الدين، لم يزعجني ذلك إلى حد كبير، بتاتًا، ولعله لن يزعجني أيضًا في المستقبل. أنا لست متعصبة. لك الحق في الاعتقاد بأن من يحكمنا هي **الطبيعة** و**القوة** الكامنة فيها. لك الحرية أن ترى أن الآلهة، من بينها إلهتي مليتيلي، ليست إلا تجسيدًا لهذه القدرة التي اختُرِعَتْ لاستخدام البسطاء، حتى يتمكنوا من فهمها بسهولة أكبر، كي يتقبلوا وجودها. إن هذه القدرة، في رأيك، قوة عمياء. لكن بالنسبة إليَّ، يا جيرالت، فإن الإيمان يسمح أن أتوقع من الطبيعة ما تجسده إلهتي: النظام، والقانون، والخير. والأمل.
- أعلم.
- إذا كنت تعلم ذلك، فمن أين لك هذه التحفظات على الغشية؟ ممَّ تخاف؟ من أنني سآمرك بأن تضرب الأرض بجبهتك، أمام أحد التماثيل، وتغني أناشيد دينية؟ ببساطة، يا جيرالت، سنجلس هنيهة معًا، أنت، وأنا،

وإيولا. وسنرى أكانت قدرات هذه الفتاة تسمح بأن تستبصر في دوامة القوى التي تحيط بك. لعلنا نعلم شيئًا من المستحسن أن نعرفه. أو ربما لن نعلم أي شيء. وربما لن ترغب قوى القدر المحيطة بك في الكشف عن نفسها لنا، وستبقى مخفية وغير مفهومة. لا أعلم ذلك. لكن لمَ لا نحاول؟

- لأن ذلك لا معنى له. فأنا لا تحيط بي أي دوامة قدر. وحتى لو كان ذلك، فبحق الشيطان، لمَ علينا التفتيش في هذه الدوامة؟

- أنت مريض، يا جيرالت.

- جريح، أردتِ أن تقولي.

- أعرف ما أردت قوله. فيك شيء ليس على ما لا يرام، أحس به. أصلًا أنا أعرفك من يوم ما كنت صغيرًا هكذا، أعني مراهقًا، عندما تعرَّفت إليك، كانت قامتك تصل إلى حزام تنورتي. والآن أشعر أنك تدور في دوامة لعينة، مشبوكًا تمامًا، ومعقودًا بحلقة تضيق ببطء. أريد أن أعرف ما الأمر. وحدي لا أستطيع، لا بدَّ لي من الاعتماد على قدرات إيولا.

- أليس عميقًا جدًّا ما تريدين التوغل فيه؟ لمَ هذه الميتافيزيقيا؟ إن أردت، فسآتَمِنُك. سأملأ أمسياتك بحكايات عن أكثر وقائع السنوات القليلة الماضية إثارة للاهتمام. هيِّئي دُنًّا صغيرًا من الجعة كي لا يجف حلقي، ويمكننا أن نبدأ ومنذ اليوم. لكنني أخشى أني سأجعلك تضجرين، لأنك لن تجدي أي حلقات ودوامات هناك. إنها مجرد قصص ويتشرية عادية.

- سأستمع بكل سرور. لكن الغشية، أكرِّر، لا يمكن لها أن تجلب الأذى.

ابتسم: «ألا تظنين أن عدم إيماني بجدوى مثل هذه الغشية يمحو القصد منها مقدمًا؟».

- لا، لا أظن ذلك. أتعرف لماذا؟

- لا.

انحنت نينِّيكي، ونظرت إلى عينيه، وابتسامة غريبة على شفتيها الشاحبتين.

- لأن من شأن ذلك أن يكون أول دليل أعلمه على أن عدم الإيمان له قوة ما.



ذَرَّة حقيقة

1

شدَّت انتباه الويتشر نقاط صغيرة سود، ظهرت في أثناء تحركها، على خلفية السماء الزاهية، المعلَّمة بخطوط الضباب. كانت كثيرة العدد. حامت الطيور وهي تلتفُّ بدوائر بطيئة وهادئة، وفجأة خفضت من علوها، لتطير فورًا إلى الأعلى من جديد، مرفرفة بأجنحتها.

راقب الويتشر الطيور هنيهة طويلة، وقدَّر المسافة والوقت المفترض، اللازم لقطعها، آخذًا بعين الاعتبار تضاريس الأرض، وكثافة الغابة، وعمق الوادي ومساره، الذي كان يشك أنه يقع في طريقه. وأخيرًا، ألقى معطفه جانبًا، وشدَّ الحزام قدْرَ فتحتين، على طول صدره بطريقة مائلة. تراءى مقبض وقبيعة السيف المتدلي على ظهره، بارزًا من فوق كتفه اليمنى.

قال: «سنقطع مسافة قليلة من الطريق يا روش[1]. سنخرج عن المسار. إن الطيور، كما يبدو لي، لا تحوم هناك دونما سبب».

---

(1) اسم فرس البطل، وهو بالبولندية بووتكا، ويعني بالعربية سمكة الروش، والرَوْش سمك نهري.

طبعًا، الفرس لم تردَّ، لكنها تحركت من مكانها، مطيعة الصوت الذي اعتادت سماعه.

قال جيرالت: «من يدري، ربما ثمة موظ نافق هناك. وقد لا يكون موظًا. من يدري؟».

كان الوادي هناك فعلًا، في المكان الذي توقعه، في لحظة من اللحظات نظر الويتشر من الأعلى إلى تيجان الأشجار، التي تملأ الفجوة بإحكام. بيد أن منحدرات الأخدود كانت خفيفة، والقعر جافًا، دون خوخ شوكي، ودون جذوع متعفنة. قطع الوادي بسهولة. على الجانب الآخر، كانت أجمة بتولا فتيَّة، وخلفها فرجة غابية كبيرة، وشجرة عصفتها الريح، وبدت مادةً مجسات فروعها وجذورها المتشابكة إلى أعلى.

ارتفعت الطيور المُفزَعة من ظهور الفارس إلى أعلى، ناعقة بتوحش، وحِدَّة، وجُشَّة.

وسرعان ما وقع نظر جيرالت على الجثة الأولى - فقد بان بوضوح بياض سترة من جلد الخروف من بين لفيف نباتات السعادى المصفرَّة، ولاحت أيضًا زرقة فستان غير لامعة. لم يرَ الجثة الثانية، لكنه عرف أين تكون - وقد فضحت موضعَ الجثمان وضعيةُ الذئاب الثلاثة التي رمقت الفارس بهدوء، جالسة على أعجازها. حمحمت فرس الويتشر، فأدبرت الذئاب نحو الغابة، دون ضجيج، غير مسرعة، كما لو أنها تلقت أمرًا، وكانت من حين إلى آخر، تدير رؤوسها المثلثة صوب الوافد. قفز جيرالت عن فرسه.

لم يكن للمرأة ذات السترة الجلدية، والفستان الأزرق وجْهٌ، وحَلْق، ولم يتبقَّ من فخذها اليسرى إلا القليل. جاوزها الويتشر دون أن ينحني.

كان الرجل ملقى، ووجهه نحو الأرض. لم يقلب جيرالت الجثة، إذ رأى أن الذئاب والطيور، هنا أيضًا، لم تضيِّع الوقت. ولم تكن ثمة حاجة إلى معاينة الأشلاء بدقة كبرى - فقد غطى كتفي السترة الصوفية وظهرها شكلٌ متفرع، أسود من دم جاف. بدا واضحًا أن الرجل قد قُتِلَ من ضربة على عنقه، وأن الذئاب لم تبدأ تمزيق جسده إلا في وقت لاحق.

الرجل حامل جعبة جلدية على حزام عريض، إلى جانب سيف قصير في غمد خشبي. انتزعه الويتشر، وعلى التوالي، رمى على العشب، مقدحًا من الفولاذ، وقطعة طبشور، وشمعًا للختم، وحفنة من نقود فضية، وموسى

حلاقة قابلًا للطي بإطار من عظم، وأذن أرنب، وثلاثة مفاتيح على حلقة، وتميمة برمز القضيب. توجد رسالتان مكتوبتان على قماش، بللهما المطر والندى، فسالت الأحرف الرونية وتشوَّهت. وثالثة مكتوبة على رقعة، وقد خربتها الرطوبة أيضًا، لكنها كانت مقروءة. وهي خطاب اعتماد صادر عن بنك الأقزام في موريفيل باسم تاجر، يدعى رول أسبر، أو أسبن. لم يكن مبلغ الائتمان كبيرًا.

رفع جيرالت يد الرجل اليمنى بعد أن انحنى نحوه. وكما توقع، فإن الخاتم النحاسي، الذي قد حَزَّ الإصبع المتورمة المزرقَّة، كان يحمل علامة نقابة صانعي الأسلحة: وهي خوذة بتصميم خاص، لها قناع واقٍ، سيفان متصالبان، وحرف روني «A»، منحوت تحتهما.

عاد الويتشر إلى جثة المرأة. وعندما قلب الجسد، وخز إصبعه شيء ما. اتضح أنه وردة مثبَّتة على الفستان. كانت الزهرة ذابلة، لكنها لم تفقد لونها؛ بتلاتها زرقاء داكنة، تميل إلى الكحلي. هذه أول مرة في حياته يرى جيرالت فيها وردة مثل هذه. أدار الجسد بكامله وارتجف.

تراءت آثار أسنان واضحة على رقبة المرأة المكشوفة المشوهة. إنها ليست أسنان ذئاب.

رجع الويتشر إلى فرسه بحذر. اعتلى السرج، دون أن يغضَّ بصره عن حافة الغابة. دار حول فرجة الغابة مرتين، حانيًا ظهره، معاينًا الأرض بانتباه، متلفتًا حوله.

قال بصوت خافت، وهو يوقف فرسه: «نعم، يا روش. الأمر واضح، ولكن ليس للنهاية. من جهة تلك الغابة، جاء صانع السلاح والمرأة راكبين خيلًا. كانا في طريقهما من موريفيل إلى البيت، دون أدنى شك، لأن لا أحد يسير مدة طويلة، حاملًا معه خطابات ائتمان غير مصروفة. لا أعرف لماذا مرَّا من هنا، ولم يلزما الطريق الرئيسة. لكنهما أتيا راكبين، جنبًا إلى جنب، عبر البراح. ولا أعرف لماذا، وحينئذ، نزل كلاهما، أو سقطا عن حصانيهما. لقي صانع السلاح حتفه على الفور. وركضت المرأة، ثم وقعت، وهلكت مثله أيضًا، وذاك الشيء الذي لم يترك خلفه أثرًا، جرها على الأرض ممسكًا عنقها بأسنانه. حدث هذا قبل يومين، أو ثلاثة. فرَّ الحصانان متفرقين، فلن نبحث عنهما».

طبعًا، الفرس لم تردُّ، بل جلجلت بقلق، كردة فعل على نبرة الصوت الذي ألفته.

استأنف جيرالت، ناظرًا إلى طرف الغابة: «لم يكن ذاك الشيء الذي قتلهما، مخلوقًا مستذئبًا، ولا شيطانَ غاب. فلا الأول، ولا الثاني، كان سيترك هذا القدر الكبير لأكلة الجيف. لو كانت هنا مستنقعات، لقلتُ إن ذاك الشيء هو كيكيمورا[1]، أو فيبِّر[2]. لكن لا مستنقعات هنا».

انحنى الويتشر، وراح يبسط قليلًا البطانية التي كانت تغطي جنب الفرس، كاشفًا عن السيف الثاني، المربوط بخُرْج السرج، وواقية قائمه اللامعة المزخرفة، ومقبضه الأسود المحزَّز.

- نعم، يا روش. سنطوِّل طريقنا. فينبغي التحقق من أمر صانع السلاح والمرأة، لمَ سارا عبر غابة الصنوبر، وليس عبر الطريق الرئيسة. إذا تجاوزنا عن مثل هذه الأحداث دونما اكتراث، فلن نكسب مالًا لشراء حتى الشوفان من أجلك، أليس كذلك يا روش؟

تحركت الفرس طائعة إلى الأمام عبر مشجرة عصفتها الرياح، وتخطت حُفَر الجذور المقتلعة.

تابع الويتشر كلامه، وهو يخرج من حقيبة السرج طاقة مجففة من نبات الخربق، وعلقها إلى جانب الشكيمة: «مع أنه ليس مخلوقًا مستذئبًا، فلن نخاطر». جلجلت الفرس. حلَّ جيرالت، بعض الشيء، رباط القفطان تحت رقبته، وسحب إلى الخارج ميدالية عليها فم ذئب مكشر عن أنيابه. اهتزت الميدالية المعلقة على سلسال فضي، على إيقاع جري الحصان، كما الزئبق يومض لامعًا في ضوء الشمس.

(1) كيكيمورا: شبح شرير منزلي، حسب المعتقدات السلافية.

(2) فيبِّر: مخلوق متوحش يعيش في المستنقعات.

2

لاحظ القرميد الأحمر على سطح البرج المخروطي، أول مرة، من أعلى قمة المرتفَع الذي تسلقه، قاطعًا انحناءة المنعطف في مساره غير الواضح. لم يكن الجُرف المغطى بشجيرات البندق، المسدود بأغصان جافة، والمفروش بسجادة سميكة من الأوراق الصفر، آمنًا كثيرًا للنزول منه. تراجع الويتشر، نزل عبر المنحدر بحذر، وعاد إلى المسار. مضى ببطء راكبًا، وكان من حين إلى حين يوقف فرسه، وينثني من فوق السرج، متعقبًا آثار الأقدام.

هزت الفرس رأسها، وصهلت بتوحش، وتخبطت، ورقصت على الطريق، مُطيِّرة الغبار من الأوراق الجافة. وإذ طوَّق جيرالت رقبة الحصان بذراعه اليسرى، وراحة يده اليمنى، طاويًا أصابعه في **علامة أكسيا**، مرر يده فوق رأس الدابة، هامسًا بتعويذة.

تمتم متلفتًا حوله، دون أن يخلع **العلامة**: «أسيِّئ أمرك إلى هذا الحد؟ إلى هذا الحد؟ اهدئي يا روش، اهدئي».

بدأ السحر بالعمل سريعًا، لكن الفرس، مدفوعة بكعب قدمه، تحركت على مضض، ببلادة، وبطريقة غير طبيعية، فاقدة مرونة إيقاع سيرها. قفز الويتشر برشاقة إلى الأرض، واستمر في المشي على قدميه، ساحبًا الفرس من رسنها. ورأى سورًا.

لم تكن بين السور والغابة فجوة، أو فراغ واضح. اختلطت الأشجار الصغيرة الفتيَّة، وشجيرات العرعر أوراقها، مع اللبلاب المتسلق، ونبات الكَرْمة العَذْراء المتشبث بالجدار الحجري. رفع جيرالت رأسه. في اللحظة نفسها، أحسَّ كيف أن مخلوقًا صغيرًا رخوًا غير مرئي، كان يلتصق على قفاه، ثم يتحرك زاحفًا، فيثيره، جاعلًا شعره منتصبًا. وقد عرف ما هو.

شخص ما كان ينظر.

استدار ببطء، وسلاسة. جلجلت روش، وارتعشت عضلات رقبتها، وسرت تحت جلدها.

على جرف المرتفع الذي نزل منه قبل لحظة بنت كانت واقفة دون حَراك، متكئة بيد واحدة على جذع شجرة نغث[1]. كان فستانها الأبيض، الملامس للأرض مناقضًا لسواد شعرها اللامع الأشعث الطويل المتدلي على كتفيها. بدا لجيرالت أنها تبتسم، لكنه لم يكن متأكدًا؛ كانت بعيدة جدًّا.

قال وهو يرفع يده في لفتة ودية: «مرحبًا».

خطا خطوة نحو الفتاة. أما هي، فأدارت رأسها قليلًا، وراقبت حركاته. كان وجهها شاحبًا، وعيناها سوداوين ضخمتين. اختفت الابتسامة -هذا لو كانت حقًّا ابتسامة- من وجهها، كأنها مُسِحَتْ بخرقة. خطا جيرالت خطوة أخرى. انبعث من الأوراق حفيف. ركضت البنت عبر المنحدر، كما لو كانت وحيدة، وتوارت بين شجيرات البندق، ولم يبقَ منها سوى خط أبيض، حين اختفت في أعماق الغابة. لا يبدو أن الفستان الطويل يقيِّد حرية حركاتها، ولو قليلًا.

صهلت فرس الويتشر بتأوه، رافعة بعنف رأسها إلى أعلى. هدَّأها جيرالت **بالعلامة** تلقائيًّا، وكان لا يزال ينظر نحو الغابة. سار قُدُمًا ببطء محاذاة الجدار، شادًّا الفرس من الرسن، غائصًا حتى خصره وسط الأرقطيون.

كانت البوابة، المتينة، المؤطَّرة بالحديد، والمثبتة على مفصلات صدئة، مزودة بدقاقة كبيرة من النحاس الأصفر. بعد لحظة تردد، مد جيرالت يده ولمس الحلقة المغطاة بالبقع الباهتة. ارتد قافزًا إلى الوراء على الفور، ففي تلك اللحظة انفتحت البوابة، محدثة صريرًا، وصوت احتكاك، مفرقة على جانبيها خصيلات من العشب، والحصى، والأغصان. لم يكن أحد خلف البوابة؛ لم يرَ الويتشر سوى فناء فارغ، مهمل، مليء بنبات القراص. دخل جارًّا الفرس. لم تقاوم الفرس التي أفقدتها **العلامة** صوابها، لكنها جعلت ساقيها متصلبتين وغير واثقتين.

كان الفناء محاطًا من ثلاث جهات بجدار، وبقايا سقالات خشبية، أما الجهة الرابعة فمثَّلت واجهة الجوسق، مرقطة ببثور الملاط الساقط، والبقع المتسخة، ولفافات اللبلاب المتسلق. وكانت مصاريع النوافذ، التي انقشر منها الطلاء، مغلقة. والباب أيضًا.

---

(1) نغث: جنس شجري يتبع الفصيلة القضبانية، وقد يسمى بالعامية المصرية النوس.

رمى جيرالت عنان روش على العمود عند البوابة، وسار ببطء نحو الجوسق عبر ممشى الحصباء، المؤدي إلى جوار بطانة قصيرة لنافورة غير كبيرة، مليئة بالأوراق والقمامة. تمدد داخل النافورة، على قاعدة تمثال خيالية، دُلفين منحوت من حجر أبيض، ثانيًا ذيله المهشم إلى الأعلى.

بجانب النافورة، نمت شجيرة ورد جوري على شيء ما كان، قبل مدة طويلة جدًّا، حوض زهور. لم تختلف هذه الشجيرة بشيء عن شجيرات الورد الأخرى، التي تسنى لجيرالت مشاهدتها، لم تختلف إلا بلون أزهارها. مثَّلت الأزهار استثناءً؛ لونها نيلي، بمسحة خفيفة من اللون الأرجواني على أطراف بعض البتلات. لمس الويتشر إحداها، ثم قرَّب وجهه، وشمَّها. كان لتلك الزهور رائحة نموذجية، كتلك التي تفوح من الورد، لكنَّ عبقها كان أقوى.

فُتِحَ باب الجوسق -وجميع المصاريع، في الوقت نفسه- مُصدِرًا قرقعة. رفع جيرالت رأسه فجأة. وتجاهه مباشرة، اندفع وحش، ساحقًا الحصى على طول الممشى.

انطلقت يد الويتشر اليمنى إلى الأعلى فوق كتفه اليمنى بسرعة البرق، وفي اللحظة نفسها اندفعت اليد اليسرى بقوة، خلف الحزام على صدره، ما جعل مقبض السيف يقفز وحده إلى كفه. رسم النصل، والصليل ينبثق من غمده، نصف دائرة مضيئة قصيرة، وسكن مصوبًا سِنَّهُ نحو الوحش المهاجم. تباطأ المسخ عند رؤية السيف، وتوقف. تناثر الحصى في كل الاتجاهات. لم يحرك الويتشر ساكنًا.

كان المخلوق بشريًّا، يرتدي ملابس رثَّة قليلًا، لكنها من نوع جيد، لا تخلو من زينة أنيقة، مع أنها ليست عملية تمامًا. ومع ذلك، فإن الهيئة البشرية لم تكد تتجاوز قبة القفطان المتسخة، ففوقها ارتفع رأس ضخم، مشعر كرأس الدب، ذو أذنين عظيمتين، وعينين وحشيتين، وفك مروِّع، مليء بالأنياب المعوجَّة التي كان يلمع فيها لسان أحمر، بما يشبه لسان اللهب.

زأر الوحش ملوحًا بكفيه، لكنه لم يتحرك من مكانه: «اغرب من هنا، أيها الرجل الفاني! وإلا التهمتك! ومزقتك إربًا إربًا!».

لم يتحرك الويتشر، ولم ينزل سيفه.

زعق المخلوق، ثم أصدر صوتًا وسطًا بين قبوع الخنزير ونزيب ذكر الإيَّل: «أأطرش أنت؟ اغرب من هنا!».

تساقطت مصاريع النوافذ جميعًا وارتجت، مسببة انخلاع الحطام والملاط عن عتبات النوافذ. لا الويتشر تحرك، ولا الوحش.

هدر المخلوق، لكنه بدا كما لو كان أقل ثقة: «اخرج، ما دمت سالمًا! وإن لم تفعل، فـــ...».

قاطعه جيرالت: «يعني ماذا؟».

شهق الوحش بعنف، وأشاح رأسه الوحشي.

قال بهدوء مبرزًا أنيابه، ومحدقًا إلى جيرالت بعينيه المحمرتين دمًا: «انظروا، يا له من جريء. أنزلْ هذه الحديدة، لو تفضلتَ. ربما لم تدرك أنك موجود في فناء بيتي؟ أم إنكم، هناك في المكان الذي تنحدر منه، تتبعون عادة تقوم على تهديد صاحب المنزل بالسيف في عقر داره؟».

أكد جيرالت: «هو كذلك، لكن هذا يُفعَل فقط بالمضيفين، الذين يحيون الضيوف بجؤار، ويتوعدون بتمزيقهم إربًا إربًا».

اهتاج الوحش: «أيها البلاء. ويريد أن يهينني أيضًا، هذا الضال. يظن نفسه ضيفًا! يتسلل إلى الفناء، يدمر زهور الآخرين، ويتسيَّد ظانًّا أنهم سيحملون الخبز والملح إليه في الحال. تفو!».

بصق المخلوق، ثم شهق، وأغلق فمه. بقيت الأنياب السفلية في الأعلى، وهذا ما منحه شكل الرت[1].

قال الويتشر، بعد لحظة، منكسًا سيفه: «وماذا؟ أسنقف هكذا؟».

نخر الوحش ناطقًا: «وماذا تقترح؟ نستلقي؟ قلتُ، اغمد هذه الحديدة».

دسَّ الويتشر السلاح بخفة في الغمد على ظهره، ودون أن يخفض يده، راح يمسِّد قَبيعة السيف البارز فوق كتفيه.

قال: «أفضِّلُ، أن لا تفعل حركات مباغتة كثيرًا. هذا الحسام يمكن استلاله دائمًا، وبأسرع مما تظن».

تنحنح الوحش شاخرًا: «رأيتُ ذلك. لولاه، لكنتَ منذ فترة طويلة خارج البوابة، وأثر عقبي على ردفيك. ما الذي تريده هنا؟ كيف وصلت إلى هنا؟».

كذب الويتشر: «قد ضللتُ الطريق».

---

(1) الرت: ذكر الخنزير البري.

كرَّر الوحش مُعوجًا فمه بتكشيرة خطرة: «ضللتَ الطريق. فلتضلَّ إذن. أعني، بعيدًا وراء البوابة. يمِّمْ أذنك اليسرى شطر الشمس، واستمر هكذا، وستعود بعد قليل إلى المسار. فماذا تنتظر؟».

سأل جيرالت بهدوء: «هل ثمة ماء هنا؟ الفرس عطشى. وأنا كذلك، إذا كان ذلك لن يزعجك كثيرًا».

نقل الوحش جسده من قدم إلى أخرى، وحكَّ أذنه.

قال: «اسمع، يا أنت. أحقًّا لا تخافني؟».

- وهل عليَّ أن أخاف؟

نظر الوحش حوله، تنحنح، ورفع سرواله الفضفاض بحيوية.

- أيها البلاء، وما لي وهذا. ضيف في المنزل. من غير المعتاد أن تجد شخصًا لا يهرب، أو يغمى عليه عندما يراني. لكن، حسنًا. إن كنت مرتحلًا منهكًا، لكن صادقًا، فإني أدعوك إلى الداخل. أما إن كنت لصًّا أو قاطِع طريق، فأنا أحذرك: هذا المنزل يتبع أوامري. أنا من يحكم داخل هذه الجدران!

رفع كفه المشعرة. قعقعت جميع المصاريع على الحائط من جديد، وتحشرج صوت مكتوم في بلعوم الدُلفين الحجري.

كرر: «أدعوك، تفضل».

لم يتحرك جيرالت، ونظر إليه متفحصًا.

- تعيش وحدك؟

قال المخلوق بغضب، فاتحًا فكه، ثم قهقه بصوت عالٍ: «وما يهمك أنت مع من أعيش؟ آها، فهمت. أكيد أنك تقصد، إن كان عندي أربعون خادمًا يضاهونني جَمالًا. لا، ما عندي. فكيف تستفيد، أيها الوباء، من دعوة صدرت من قلب صدوق؟ وإذا كان الأمر ليس كذلك، فالبوابة هناك، خلف مؤخرتك تمامًا!».

انحنى جيرالت من غير مرونة.

قال بطريقة رسمية: «أقبلُ الدعوة. لن أسيء إلى حق الضيافة».

أجاب المخلوق، بطريقة رسمية أيضًا، وإن كانت دون اعتناء: «بيتي هو بيتك. مِن هنا، يا ضيف. والحصان قُدْهُ هنا، نحو البئر».

كان الجوسق من الداخل يتطلب أيضًا تجديدًا شاملًا، بيد أنه كان نظيفًا ومرتبًا نسبيًّا. والأثاث، على الأرجح، قد صنعته أيدي حرفيين جيدين، حتى إن كان ذلك قد حدث منذ مدة طويلة. علقت بالهواء رائحة غبار حادة. وساد الظلام.

شخر الوحش: «الضوء!».

ففاض المشعل، المثبت في الركيزة الحديدية، على الفور لهبًا ودخانًا.

قال الويتشر: «هذا ليس سيئًا».

فقهقه الوحش.

- هكذا فقط؟ في الواقع، أرى أن لا شيء يدهشك بتاتًا. أخبرتك أن هذا المنزل يتبع أوامري. مِن هنا، من فضلك. كن حذرًا، الدرج شديد الانحدار. الضوء!

استدار الوحش وهو على الدرج.

- ما الذي يتدلى على رقبتك يا ضيف! ماذا يكون؟

- انظر.

التقط المخلوق الميدالية بكفه، ورفعها إلى عينيه، شادًّا السلسال قليلًا على رقبة جيرالت.

- ملامح وجه هذا الحيوان ليست جميلة. ماذا يكون؟

- علامة النقابة.

- آها، لعلكَ تعمل في صناعة كِمامات الكلاب. من هنا، من فضلك. الضوء!

تبوأت منضدة ضخمة من خشب البلوط منتصف الغرفة الكبيرة، الخالية كليًّا من النوافذ، وكانت فارغة تمامًا، باستثناء شمعدان كبير من النحاس الأصفر المخضر، المغطى بإكليل من الشمع الصلب. بأمر تالٍ من الوحش، ضاءت الشموع، ولمعت، جاعلة ما في داخل المكان مشرقًا نوعًا ما.

عُلِّقت على أحد جدران الغرفة أسلحة - تدلت هنا أطقم من التروس المستديرة، والحراب المتصالبة، الرماح القصيرة، والأسنَّة المسنودة، والسيوف الطويلة الثقيلة، والفؤوس. كان الموقد الضخم الذي أطلت من فوق عتبته صفوف من الصور المتشققة والمتهرئة، يشغل نصف الجدار المتاخم. كان الحائط المقابل للمدخل مزدحمًا بغنائم الصيد - فقد ألقت قرون الموظ

والأيائل المتفرعة ظلالها المديدة على رؤوس الحلاليف، والدببة، والأوشاق، البارزة الأنياب، وعلى الأجنحة الملبدة والمتآكلة للعقبان والصقور المحشوة. أما صدر المكان المشرَّف، فتبوأه رأس تنين صخري متهالك، فاقد حشوته، لونه ضارب إلى البني. اقترب جيرالت أكثر فأكثر.

قال الوحش، وهو يدسُّ حطبة ضخمة في فم الموقد: «لقد اصطاده جَدِّي. ولعله آخر واحد، أمكن اصطياده في المنطقة. اجلس يا ضيف. جائع أنت، على ما أظن؟».

- لا أنفي ذلك، يا مُضيف.

جلس الوحش إلى المائدة، خفض رأسه، وشبكَ كفيه المشعرين على بطنه، ثم تمتم، خلال لحظة، شيئًا ما، وهو يدوِّر المطحنة بإبهاميه الهائلتين، ثم هدر بصوت خافت، ضاربًا بكفه المنضدة. قرقعت الصحون والأطباق قرقعة قصديرية وفضية، ورنَّت الكؤوس رنينًا كريستاليًّا. فاحت رائحة الثوم المشوي، والمردقوش، وجوزة الطيب. لم يُبدِ جيرالت أي دهشة.

فرك الوحش كفيه: «نعم. هذا أفضل من عمل الخدم، أليس كذلك؟ تفضل تذوق، يا ضيف. هنا فرُّوج، وهنا شرائح من لحم الخنزير البري، وهنا فطيرة باتيه من... لا أعرف من أي شيء. هي من شيء ما. هنا لدينا لحم من طيهوج البندق. لا، أيها البلاء، إنه حجل. أخطأتُ في التعويذات. كُلْ، كُلْ. إنه طعام أصلي حقيقي، لا تخفْ».

مزق جيرالت الفرخة إلى قسمين: «لست خائفًا».

شخر الوحش: «لقد نسيتُ أنك لست من الخوافين. بأي اسم، يعني، أخاطبك؟».

- جيرالت. وبمَ أخاطبكَ يا مُضيف؟

- نيفيلين. لكنهم في هذه الأنحاء، يطلقون عليَّ اسم طافر أو أبو ناب. وبي يخوِّفون الأطفال.

سكب الوحش في بلعومه كل ما احتوته كأس ضخمة، ثم غمس أصابعه في فطيرة الباتيه، مقتلعًا ما يقرب من نصف محتويات الزبدية دفعة واحدة.

كرر جيرالت وفمه ملآن: «هم يخوِّفون الأطفال. وبالتأكيد، دون سبب وجيه؟».

- تمامًا. صحتك، يا جيرالت!

- وصحتك، يا نيفيلين.

- كيف هذا النبيذ؟ هل لاحظت أنه من العنب، وليس من التفاح؟ ولكن، إن لم يعجبك، فسأستحضر بالسحر نبيذًا آخر.

- شكرًا لك، لا بأس به. هل وُلِدَتْ قدراتك السحرية معك؟

- لا. لقد حزتها حين كبرتُ. اللعنة، يعني. لا أعرف، أنا نفسي، من أين أتتني، لكنَّ منزلي يحقق كل ما يحلو لي. الأمر هَيِّن، يمكنني بالسحر استحضار الطعام، والشراب، والملابس، والأغطية النظيفة، والماء الساخن، والصابون. أي امرأة تستطيع فعل ذلك، ودون سحر. أفتح وأغلق النوافذ والأبواب. أشعل النار. الأمر هَيِّن.

- دائمًا ثمة شيء ما. وهذا... كما تقول، اللعنة، حصل لك منذ وقت طويل؟

- منذ اثني عشر عامًا.

- كيف حدث هذا؟

- وما يهمك ذلك؟ صُبَّ لنفسك شرابًا من جديد.

- بكل سرور. ذلك لا يهمني في شيء، أسألك من باب الفضول.

ضحك الوحش بصوت عالٍ: «سبب مفهوم ومقبول. لكنني لن أقبله. لا دخل لك بذلك، وانتهى الأمر. ومع ذلك، لإرضاء فضولك ولو جزئيًّا، سأريك، كيف كان مظهري قبل ذلك. انظر هناك، إلى البورتريهات. الأول، من جهة الموقد، فيه بابا. الثاني، البلاء وحده يعرف من فيه. أما الثالث، فأنا فيه. هل ترى؟».

من تحت الغبار، وبيوت العنكبوت، أطل من البورتريه شخص بدين بنظرة مائية، ووجه ممتلئ وحزين ومبثور. أومأ جيرالت برأسه، بحزن، ولم تكن نزعة امتداح الزُّبن، المنتشرة بين رسامي البورتريه، غريبة عليه.

كرر نيفيلين، مبرزًا أنيابه: «هل ترى؟».

- أرى.

- من أنت؟

- لا أفهم.

https://t.me/fantazynov

رفع الوحش رأسه إلى الأعلى، وعيناه تلمعان كقط: «لا تفهم؟ البورتريه، الذي أنا فيه، معلق خارج نطاق ضوء الشموع، يا ضيف. أنا أراه، لكنني لست من البشر. على الأقل، ليس في هذه اللحظة. لكي يشاهد الإنسان البورتريه، عليه أن ينهض، ويدنو منه أكثر، وربما يضطر أيضًا إلى أن يأخذ الشمعدان. أنت لم تفعل ذلك. والاستنتاج بسيطٌ. لكني أسألك دون مواربة: أنت من البشر؟».

لم يغضَّ جيرالت بصره.

أجاب بعد لحظة صمت: «إذا كنتَ هكذا تطرح المسألة، فهي ليست بهذه الصورة تمامًا».

- آها. ربما لن يكون ثمة إحراج، إن سألتك من أنت إذن؟

- ويتشر.

كرر نيفيلين بعد لحظة: «آها. إن كنت أتذكر جيدًا، فإن معشر الويتشر يكسبون رزقهم بطريقة مثيرة. يقتلون وحوشًا مختلفة مقابل أجر من المال».

- أنت تتذكر جيدًا.

ساد الصمت من جديد. كانت قبسات الشموع تنبض، تدق في الأعلى بذؤابات النار الرفيعة، لامعة في بلور الكؤوس المنثلمة، في شلالات الشمع المتدفقة على الشمعدان.

جلس نيفيلين ساكنًا، محركًا أذنيه الضخمتين قليلًا.

وأخيرًا قال: «لنفترض أنك تلحق أن تستل سيفك قبل أن أنقضَّ عليك. ولنفترض أنك ستلحق أن تقطعني نصفين. لن يوقفني ذلك، سأوقعك بوزني من قدميك بزخم الاندفاع وحده. وبعد ذلك، فإن الأسنان تقرر. ما رأيك يا ويتشر، من منا، نحن الاثنين، لديه فرصة أكبر، إذا وصل الأمر إلى قضم الحلْق؟».

صبَّ جيرالت لنفسه نبيذًا، ممسكًا غطاء الغَرَّافة الزنكي بإبهامه، ورشف رشفة، ثم أحنى ظهره على مسند الكرسي. نظر إلى الوحش مبتسمًا، وكانت هذه الابتسامة غاية في البشاعة.

قال نيفيلين ببطء، وهو ينقر بكفه في زاوية بوزه: «نعععم. يجب الاعتراف أنك تقدر أن تجيب عن السؤال، دون استخدام كثير من الكلمات.

أتساءل كيف ستتمكن من التعامل مع سؤالي التالي، الذي سأطرحه عليك. من دفع لك مقابلي؟».

- لا أحد. أنا هنا مصادفة.
- ألست تكذب؟
- ما اعتدت الكذب.
- وما اعتياداتك؟ حُدِّثْتُ عن معشر الويتشر. تذكرت أن الويتشريين يخطفون الأطفال الصغار، ويطعمونهم بعد ذلك الأعشاب السحرية. وأولئك الذين ينجون من هذا، يصبحون هم أنفسهم ويتشريين، سحرة بقدرات غير بشرية. يُدرَّبون على القتل والقضاء على الشعور الإنساني كله وردود الأفعال. يُصيَّرون وحوشًا لغاية قتل الوحوش الأخرى. سمعتُ ما يقال عن أن الوقت قد حان لكي يبدأ أحد ما في مطاردة معشر الويتشر. فقد أخذ عدد الوحوش بالتناقص باطِّراد، وعدد الويتشريين في ازدياد. كُلِ الحَجَلة قبل أن تبرد تمامًا.

أخذ نيفيلين الحجلة من الطبق، ودسها كاملة في فمه، وقرمشها كما البقسماط، مفرقعًا بأسنانه المفاصل التي قد طُحِنَتْ.

سأل بطريقة غير واضحة، وهو يبتلع: «لماذا لا تقول شيئًا؟ ما الحقيقي مما يقولونه عنكم؟».

- لا شيء تقريبًا.
- وما المختلق؟
- أن عدد الوحوش في تناقص.

أبرز نيفيلين أنيابه: «حقًّا. عددهم ليس قليلًا. أحدهم يجلس أمامك الآن، ويتساءل أكان قد فعل الصواب حين دعاك. لم تعجبني علامة نقابتك فور رؤيتها، يا ضيف».

قال الويتشر بجفاف: «أنت لست وحشًا البتة يا نيفيلين».

- أيها البلاء، هذا أمر جديد. إذن، في رأيك من أكون؟ هلامًا من العنبية حادة الخباء[1]؟ سربَ إوزٍّ بري، يطير جنوبًا في صباح حزين من

(1) عنبية حادة الخباء: نبات صغير ثمره أحمر، يتبع الفصيلة الخلنجية، يستخدم في صناعة الهلام (الجيلي).

نوفمبر؟ لا؟ ربما، إذن، فضيلةً خسرتها ابنة طحان ناهدة الثدي، عند النبع؟ هيا، يا جيرالت، أخبرني ما أكون. ألا ترى أنني أرتجف من الفضول؟

- أنت لست وحشًا. وإلا، فلم يكن بمقدورك أن تلمس هذه الصينية الفضية. ولم تكن لتأخذ بيدك ميداليتي تحت أي ظرف من الظروف.

هدر نيفيلين حتى إن قبسات الشموع اتخذت، في لحظة، وضعًا أفقيًا: «ها! من الواضح أن اليوم يوم الكشف عن أسرار عظيمة ومخيفة! وسأعرف الآن أن أذنيَّ هاتين نمتا، لأنني لم أحبب عصيدة الشوفان بالحليب، عندما كنت طفلًا!».

قال جيرالت بهدوء: «لا، يا نيفيلين. لقد حدث هذا نتيجة سحر. أنا متأكد من أنك تعرف من ألقى هذا السحر».

- وإن كنت أعرف، فماذا؟

- يمكن إبطال السحر. في كثير من الحالات.

- أنت، كونك ويتشرًا، تقدر طبعًا أن تبطل الأسحار. في كثير من الحالات؟

- أقدر. هل تريد مني أن أحاول؟

- لا. لا أريد.

فتح الوحش فمه، ودلى لسانه الأحمر الطويل حتى شبرين.

- أُفحِمْتَ، أليس كذلك؟

اعترف جيرالت: «أُفحِمْتُ».

قهقه الوحش، وأوسع جلسته في مقعده.

قال: «كنت أعرف أنك ستُفحَم. صُبَّ لنفسك المزيد، واجلس بطريقة مريحة. سأقص عليك القصة كاملة. سواء كنت ويتشرًا، أم لم تكن، تبدو لي أنك طيب، وأنا لديَّ الرغبة في التحدث. صبَّ لنفسك».

- لم يتبقَّ شيء أصبه.

شخر الوحش: «آه، أيها الوباء».

ثم خبط بيده على الطاولة مجددًا. ظهرت من العدم، إلى جانب الغرافتين الفارغتين، خابية فخارية كبيرة في سلة من الخوص. مزَّق نيفيلين الختم الشمعي بأسنانه.

بدأ يقول، وهو يصب الخمر: «لعلك لاحظت على الأرجح، أن المنطقة منعزلة إلى حد كبير. الطريق طويلة جدًّا إلى أقرب حي من المستوطنات البشرية. لأن بابا، وكذلك جدي، كما ترى، لم يهيئَا في زمنهما دوافع لتقديم شيء من المحبة، لا للجيران، ولا للتجار، الذين كانوا يسافرون عبر الطريق. وكل من تاه هنا، فقد ثروته في أحسن الأحوال، إذا شاهده بابا من البرج. وقد احترقت بضع مستوطنات قريبة، لأن بابا قرر أن الخراج يُدفع بتباطؤ. قليلون من أحبوا بابا. ما عداي طبعًا. وذات مرة، بكيتُ بشدة، عندما جُلِبَ ما تبقى من بابا على عربة، بعد ضربه بسيف ذي مقبضين. لم يكن الجد وقتئذٍ يزاول السطو النشط، لأنه منذ اليوم الذي تلقى على جمجمته حديدة مورجنشتيرن المسننة، صار يتلعثم بطريقة رهيبة، ولعابه يسيل، ونادرًا ما كان يصل إلى المرحاض الخارجي في الوقت المناسب. وبصفتي الوراث، اقتضى الأمر أن عليَّ قيادة الفريق».

تابع نيفيلين: «كنت فتيًّا في ذلك الوقت، بغوًا حقيقيًّا، لذا تمكن شبان الفريق، وبلمح البصر، من توجيهي كما كان يطيب لهم. قدتهم، كما يمكن أن تخمن، بقدر ما يمكن لخِنَّوص سمين أن يقود حشدًا من الذئاب. سرعان ما بدأنا في فعل أشياء ما كان لبابا، لو عاش، أن يسمح بها مطلقًا. سأوفر عليك التفاصيل، وسأدخل مباشرة في الموضوع. ذات يوم، توغلنا حتى بلغنا جيليبول، بالقرب من ميرت، ونهبنا المعبد. وما زاد الطين بلة، أن كاهنة شابة كانت أيضًا هناك».

- أي معبد كان هذا، يا نيفيلين؟
- وحده البلاء يعلم، يا جيرالت. لكن، لا بدَّ أنه كان معبدًا سيئًا. أذكرُ أن على المذبح كانت جماجم وعظام، ونار خضراء مشتعلة. كانت رائحتها كريهة كالفجيعة. لكن لندخل في الموضوع. تغلب الشبان على الكاهنة، وجردوها من ملابسها، ثم قالوا إن عليَّ أن أصبح رجلًا. وصرت رجلًا، أنا الغرُّ الأحمق. في أثناء اكتساب الرجولة، بصقتِ الكاهنة في فمي، وصرختْ ناطقة بشيء ما.

- ما هو؟

- أنني وحش في جلد بشر، وأنني سأكون وحشًا في شيء وحشي، شيء عن الحب، عن الدم، لا أذكر. كان لديها خنجر صغير جدًّا مخبأ، ربما، في شعرها. قتلت نفسها، وعندئذ... انطلقنا فارين من هناك، يا جيرالت، أقول لك، كدنا ننهك الخيول. لقد كان معبدًا سيئًا.

- استمر في الكلام.

- بعدئذٍ، كان كما قالت الكاهنة. بعد بضعة أيام، أستيقظ صباحًا، يأتي الخدم إليَّ، وكل من يراني منهم، يلوذ على أعقابه بالفرار صارخًا. أتجه إلى المرآة... أترى، يا جيرالت، ذُعِرْتُ، واعترتني نوبة، أتذكر ذلك وكأنني كنت وسط الضباب. باختصار، سقط قتلى. بضع جثث. استخدمتُ كل ما وقع في يدي، وفجأة صرت قويًّا جدًّا. وقد ساعدني المنزل قدر ما استطاع: صُفِقَت الأبواب، وطارت الأدوات في الهواء، وشبَّت النار. كل من أسعفه الوقت، هرب في هلع شديد، العُميمة، وبنت العم، وشبان الفريق، ماذا أقول أنا، حتى الكلاب فرَّت عاوية ومنكسة أذنابها. وهربت قطتي نهَّامة. حتى ببغاء عُميمتي ركب رأسها الجن من شدة الفزع. سرعان ما أصبحتُ وحيدًا، أصرخ، أعوي، ينتابني الجنون، وأكسر كل ما يبرز لي، وعلى الأخص المرايا.

توقف نيفيلين، وتنهد، واستنشق.

تابع بعد لحظة: «عندما انتهى الهجوم، كان قد فات الأوان لفعل أي شيء. كنت وحدي. لم يعد في إمكاني أن أشرح لأي شخص كان، أن مظهري هو الذي تغير وحسب، ومع أن هيئتي كانت فظيعة، فلم أكن سوى مراهق أحمق، منتحب في قصر فارغ فوق أجساد الخدم. ثم حلَّ الخوف الرهيب: سيعودون ويضربون، قبل أن أتمكن من الشرح. لكنَّ أحدًا لم يعد».

صمت الوحش لحظة، ومسح أنفه بكمه.

- لا أريد أن أعود إلى تلك الأشهر الأولى، يا جيرالت، فلا تزال الرعدة تأخذني حين أتذكرها اليوم. سأدخل في الموضوع. جلست مدة طويلة، طويلة جدًّا، في القصر كفأر تحت مكنسة، دون أن أظهر أنفي إلى الخارج. إن ظهر أحد ما، ونادرًا ما كان يحدث ذلك، لم أكن أخرج، يعني، كنت آمرُ المنزلَ بإغلاق مصراع النافذة مرتين، أو أصيح بشدة من خلال

جرجول[1] المزراب، وكان ذلك عادةً كافيًا ليثير الضيف سحابة هائلة من الغبار خلفه. ظلَّ الأمر كذلك حتى حل اليوم الذي نظرت فيه من النافذة، في الفجر الشاحب، فماذا رأيتُ؟ رجلًا سمينًا يقطع الورود من شجيرة عُميمتي. وعليك أن تعلم أن هذا الفعل ليس كأي فعل، فالورود الزرق من نازير[2]، جلب شتلاتها الجد أيضًا. أخذتني فورة الغضب وقفزت إلى الفناء. وحين استعاد السمين صوته، الذي فقده عندما رآني، صأى ناطقًا بأنه أراد بضع زهرات فقط لابنته، طالبًا أن أعفو عنه، وأهبه الحياة والسلامة. كنت تهيأت لرميه خلف البوابة الرئيسة، عندما لمع في داخلي شيء ما، تذكرت الحكايات الخرافية التي قصتها عليَّ فيما مضى، مربيتي العجوز الشمطاء لينكا. أيها البلاء، فكرتُ، على ما يقال فإن الفتيات الجميلات يحولن الضفادع إلى أمراء، أو العكس أيضًا، إذن ربما... ربما توجد ذرة حقيقة في هذه الأقوال، فرصة ما... وثبتُ مقدار قامتين[3]، صرختُ إلى درجة أن الكرمة العذراء انزاحت عن السور، وصرختُ «إما ابنتك، وإما حياتك!»، لم يخطر في رأسي ما هو أفضل من ذلك. راح التاجر، فهو تاجر، يبكي بشدة، ثم اعترف لي أن ابنته عمرها ثماني سنوات. ماذا، تضحك؟

- لا.

- فأنا لم أكن أعرف، أأضحك أم أبكي على مصيري الخرائي. شعرت بالأسف على ذاك التويجر، ولم أستطع النظر إليه وهو يرتعد، فدعوته إلى الداخل، ورحبت به ضيفًا، ولدى مغادرته أفرغت الذهب والأحجار الكريمة في الكيس. عليك أن تعلم أن الكثير من الخيرات بقي في القبو، منذ زمن بابا. لم أعرف تمامًا ما أفعل به، فكان في وسعي السماح لنفسي بمنح مكرمة. وقد أشرقت أسارير التاجر، وراح يشكرني حتى انهمر اللعاب من فمه. لا بدَّ أنه قد تباهى بمغامرته في مكان ما، فلم

---

(1) الغرغول، أو الجرجول، في العمارة هو شكل لحيوان منحوت، أو مصنوع، مع صنبور مصمم لنقل مياه السطح بعيدًا عن جانب المبنى، فيمنع مياه الأمطار من الجريان على جدران البناء.

(2) نازير: في عالم الويتش، هي أرض تقع جنوب جبال أميل، وتحدها من الشمال سينترا.

(3) القامة: وحدة طول تساوي ياردتين، أو ستة أقدام.

يمر شهران حتى جاءني إلى هنا تاجر آخر. كان معه كيس ضخم. و...
ابنة. ضخمة أيضًا.

مد نيفيلين ساقيه تحت المائدة، إلى حد أن الكرسي أصدر صريرًا.

وتابع: «اتفقت مع التاجر بسرعة. اتفقنا على أن يتركها لي عامًا واحدًا. اضطررت إلى مساعدته في تحميل الكيس على البغل، فلم يكن ليقدر أن يحمله وحده».

- والبنت؟

- ظلت تنتابها، خلال مدة من الزمن، حالات تشنج عند رؤيتها لي، كانت مقتنعة أنني لا بدَّ سآكلها. ولكننا بعد شهر تناولنا الطعام إلى مائدة واحدة، وتجاذبنا أطراف الحديث، وذهبنا في نزهات طويلة. ومع أنها كانت لطيفة، وذكية ذكاءً يثير أعظم الإعجاب، فقد كان لساني ينعقد عند الحديث إليها. أترى، يا جيرالت، لقد كنتُ دائمًا خجولًا أمام الفتيات، ودائمًا ما تعرَّضت للسخرية، حتى مع البنات العاملات في حظائر المواشي، الملطخة سيقانهن بالروث، اللواتي كان شبان الفريق يديرونهنَّ على كل الجهات كما يحلو لهم. حتى هؤلاء كنَّ يسخرن مني. فما بالك، فكَّرتُ، وأنا بمثل هذا البوز. لم أستطع أن أطوِّع نفسي حتى للتلميح بأي شيء عن السبب الذي دفعتُ من أجله ثمنًا غاليًا مقابل عام واحد من حياتها. استمر العام في مسيره أشبه ما يكون برائحة كريهة، سرتْ خلف جيش النفير العام، إلى أن ظهر التاجر أخيرًا وأخذها. أما أنا، فحبستُ نفسي في المنزل مستسلمًا، وخلال عدة أشهر لم أستجب لأي من الضيوف الذين كانوا يتوافدون إليَّ، هنا، مع بناتهم. لكنني بعد عام قضيته في العمل صحبة البنت، أدركتُ كم هو صعب، أن لا يكون حولك من تفتح أمامه بوزك.

خرج من الوحش صوت، يُفترَض أن يكون تنهيدة، لكنه انطلق مصوتًا كالفَواق.

قال بعد لحظة: «التالية، كان اسمها فينِّي. كانت صغيرة، وذكية، ومغردة، وحقيقة هي صعوة صفراء العرف[1]. لم تكن تخاف مني على الإطلاق. في

(1) الصعو أصفر العرف، أو صَعْوة متوجة بالذهب، اسم لطائر صغير.

أحد الأيام، وكان هذا بالتحديد في ذكرى قص شعري[1]، أسرف كلانا في شرب العسل و... هيا. بعد ذلك على الفور، قفزتُ من السرير إلى المرآة. إني أعترفُ، قد شعرت بخيبة أمل وكآبة. ظل وجهي كما كان، ولكن ربما بقسمات أكثر حمقًا بعض الشيء. ويقولون إن في الحكايات الخرافية حكمة الشعب! تلك الحكمة قيمتها كالخراء، يا جيرالت. حسنًا، لكنَّ فينِّي سارعت في بذل مساعيها من أجل أن أنسى مخاوفي. كانت فتاة مرحة، أؤكد لك. أتعرف ماذا ابتدعت؟ كنا معًا نخوِّف الضيوف غير المرغوب فيهم. تخيل هذا: يدخل أحدهم إلى الفناء، يتلفت حوله، إلى أن أهجم عليه مزمجرًا، مندفعًا على أطرافي الأربعة، أما فينِّي، فجالسة على ظهري، عارية تمامًا، وتنفخ في قرن الصيد الذي كان لجدي».

ارتجف نيفيلين من الضحك، وهو يلمع ببياض أنيابه.

تابع: «مكثت فينِّي معي عامًا كاملًا، ثم عادت إلى عائلتها بمهر ضخم. وتهيأتْ للزواج من أحد أصحاب الحانات، وكان أرمل».

- استمِر في الحديث، يا نيفيلين. إنه مثير.

قال الوحش وهو يحكُّ ما بين أذنيه مصدرًا صريرًا: «هكذا تقول؟ حسنًا، إذن. التالية، كانت بريمولا، ابنة فارس أصابه الفقر. عندما قدم هذا الفارس إلى هنا، حلَّ ومعه حصان هزيل ودرع صدئة، وعلى كاهله ديون لا تُحصى. كان كريهًا، أؤكد لك يا جيرالت، كان ككومة من الروث، ونشر رائحة مماثلة في كل الجهات. أقطع ذراعي إن لم تكن بريمولا، قد بُذِرَتْ في رحم أمها، عندما كان هو في الحرب، لأنها كانت جميلة كاملة مكملة. أنا لم أبثَّ الخوف في نفسها، ولا عجب في ذلك، فبالمقارنة بوالدها، يمكن أن أبدو وسيمًا دون منازع. وكما اتضح، فحرارتها جامحة لا تفتر، وبعد أن اكتسبتُ الثقة بنفسي، اغتنمت رياحي حين هبت. بعد أسبوعين فقط، صرت على علاقة وثيقة جدًّا ببريمولا، كانت خلالها تحب أن تشدني من أذني وتصيح: «عضني، أيها الوحشي!»، «مزقني، أيها الوحش!» وما شابه ذلك من أنواع البلاهة. كنت أجري إلى المرآة في أثناء الاستراحات، لكن تصور، يا جيرالت، تطلَّعت إليها بقلق متزايد. تناقص توقي، أقل فأقل، للعودة إلى تلك الشخصية الأقل مقدرة. أترى، يا جيرالت، قبل ذلك كنت هزيلًا، صرت رجلًا ضخمًا متين البنية. قبل

(1) من العادات التي كانت متبعة قديمًا في أوروبا حفلة قص الشعر.

ذلك، كنت دائم المرض، أسعل ويسيل المخاط من أنفي، والآن لا ينتابني شيء. وأسناني؟ لن تصدق كم كانت أسناني تالفة! والآن؟ يمكنني أن أقضم رجل الكرسي. أتريد أن أقضم رجل الكرسي؟».

- لا. لا أريد.

فتح الوحش فمه واسعًا: «ولعل هذا أمر جيد. وكانت السيدات يستمتعن عندما كنت أتباهى بذلك، حتى لم يبقَّ في المنزل سوى القليل جدًّا من الكراسي السليمة الكاملة».

تثاءب نيفيلين، وفي الوقت ذاته تكور لسانه، فصار كالبوق.

- أتعبتني هذه الثرثرة، يا جيرالت. باختصار: بعد ذلك ظهرت اثنتان أخريان، إيلكا وفينيميرا. حدث كل شيء على الشاكلة نفسها، حتى الملل. في البداية، مزيج من الخوف والتحفظ، ثم خيط من التعاطف، معزز بهدايا صغيرة، لكنها باهظة الثمن، ثم «عضني، كلني كلي كاملة»، ثم عودة الأب، ووداع رقيق، ونقص ملحوظ، أكثر فأكثر، في الخَزانة. فقررت أخذ استراحات أطول، أخصصها للعزلة. طبعًا، كففتُ منذ وقت طويل عن تصديق أن قبلة من عذراء ستغير شخصيتي. وتقبلتُ هذا الأمر. وأكثر من ذلك، توصلتُ إلى استنتاج مفاده أن الأمر يكون جيدًا، حينما يكون كما هو في الواقع، وما من حاجة إلى أي تغييرات.

- ولا أي تغيير، يا نيفيلين؟

- أجل، ليتك تعلم. لقد قلتُ لك، صحتي في هيئتي هذه، كصحة الحصان تلازم شخصيتي هذه، هذا أولًا. ثانيًا: إن اختلافي عن الآخرين له مفعول المنشط الجنسي على الفتيات. لا تضحك! أنا أكثر من متأكد أنني، كإنسان، سيجب أن أركض كثيرًا حتى أتمكن من الوصول إلى مثل فينيميرا هذه، على سبيل المثال، وهي التي كانت عذراء بالغة الجمال. يتراءى لي أنها لم تكن حتى لتنظر إلى مثل ذاك الشخص في هذا البورتريه. وثالثًا: الأمان. كان لبابا أعداء، نجا بضعة منهم. ولأولئك الذين أرسلهم الفريق إلى تحت الأرض أقرباء، وكان ذاك الفريق تحت إمرتي المثيرة للشفقة. الذهب في الأقبية. لولا الخوف الذي أثيره في هؤلاء، لأتى أحدهم من أجل أخذه. وعلى الأقل لجاء بعض القرويين مع مذاريهم.

قال جيرالت وهو يلهو بالكأس الفارغة: «يبدو أنك واثق تمامًا من أنك في هيئتك الحالية لم تتعرض لأي شخص. لا لأي أب، ولا لأي ابنة. لا لأي قريب، أو خطيب للابنة. أليس كذلك، يا نيفيلين؟».

امتعض الوحش: «دعك من هذا، يا جيرالت. عمَّ تتحدث أنت؟ لقد شعر الآباء بفرح غامر، قد قلتُ لك ذلك، كنتُ كريمًا بقدر يفوق الخيال. والبنات؟ لم تشاهدهنَّ كيف كنَّ يأتين إلى هنا، بأثواب خشنة رثة، وأيديهن مبللة من الغسل، وظهورهن محدودبة من حمل القدور. لقد بقيت على ظهر بريمولا وفخذيها آثار الحزام الذي كان يسوطها به أبوها الفارس، بقيت واضحة حتى بعد أسبوعين منذ قدومها. أما عندي، فكن يمشين مثل الأميرات، ولم يضعن في اليد سوى المروحة، ولم يعرفن حتى مكان المطبخ. كنت ألبسهن الثياب، وأحليهن بزينة براقة. وكنت أستحضر بالسِّحر الماء الساخن، عندما يطلبنه، إلى حوض الاستحمام المعدني، الذي سطا عليه بابا من قبل، من أجل ماما في أسينجارد. هل تتخيل؟ حوض استحمام معدني! من النادر ما يكون لدى أي أمين ناحية، عفوًا ماذا أقول، من النادر ما يكون لدى أي حاكم حوض استحمام معدني. لقد كان هذا البيت، بالنسبة إليهنَّ، يا جيرالت، منزلًا من الحكايات الخيالية. أما ما يخص السرير، فإن... يا للوباء، الفضيلة في هذه الأيام أندر من التنين الصخري. لم أجبر أي واحدة منهنَّ، يا جيرالت».

- لكنك شككتَ في أن أحدهم دفع لي مالًا مقابلك. من هذا الذي يمكنه أن يدفع؟

قال نيفيلين بوضوح قاطع: «هو وغد، أراد ما بقي في قبو منزلي، ولم يعد لديه بنات. إن جشع البشر لا حدود له».

- وليس أحدًا آخر؟

- وليس أحدًا آخر.

صمت كلاهما، وراحا يحدقان بتوتر إلى أقباس الشموع الوامضة.

قال الويتشر فجأة: «نيفيلين. أأنت وحيد الآن؟».

رد الوحش بعد لحظة إبطاء: «يا ويتشر، أفكر بيني وبين نفسي أن عليَّ أن أشتمك الآن بكلمات غير لائقة، وآخذك من عنقك وألقي بك من على الدرج. أتعرف لماذا؟ لمعاملتك لي كمغفل. منذ البداية، رأيتُ كيف تنصبُ أذنيك،

حينما تلقي نظرة إلى الباب. فأنت تعلم جيدًا أنني لا أسكن وحدي. ألستُ محقًّا؟».

- أنت محق. اعذرني.
- فليأخذ اعتذاراتك الوباء. هل رأيتَها؟
- نعم. في الغابة حول البوابة. هل هذا السبب الذي من أجله، منذ وقت معين، يغادر كل تاجر مع ابنته هذا المكان، خالي الوفاض؟
- إذن، قد عرفتَ ذلك أيضًا؟ نعم، هذا هو السبب.
- اسمح لي أن أسأل...
- لا. لن أسمح.

حل الصمت مجددًا.

وأخيرًا قال الويتشر، وهو يهم بالوقوف: «طيب، كما تشاء».

- أشكرك على حسن الضيافة، يا مضيف. حان الوقت للمضيِّ في طريقي.

وقف نيفيلين أيضًا: «هذا عين الصواب. نظرًا إلى أسباب معينة، لا يمكنني أن أعرض عليك المبيت في القصر، وإني لا أشجعك على قضاء الليل في هذه الغابات. منذ أن فرغت المنطقة من السكان، لم يعد الوضع هنا في الليل جيدًا. ينبغي أن تعود إلى الطريق الرئيسة قبل حلول الغسق».

- سآخذ ذلك بعين الاعتبار، يا نيفيلين. هل أنت متأكد أنك لست في حاجة إلى مساعدتي؟

نظر الوحش إليه بطرف عينيه.

- وهل أنت متأكد أنك ستقدر على مساعدتي؟ أتستطيع أن تخلع هذا عني؟
- لم أقصد مثل هذه المساعدة فقط.
- لم تجب عن سؤالي. مع أنك... أظنك قد أجبتَ. لا. لن تستطيع.

صوَّب جيرالت نظره إلى عينيه مباشرة.

قال: «وقتذاك، أصابكم النحس. من بين جميع المعابد في جيليبول ووادي نيمنار، لم يقع اختياركم إلا على معبد كورام آغ تيرا، عنكبوت رأس الأسد.

من أجل رفع اللعنة التي ألقتها كاهنة كورام آغ تيرا، يحتاج المرء إلى معرفة وقدرات، لا أمتلكها أنا».

- ومن يمتلكها؟

- إذن، الأمر يهمك؟ قلتَ إن الأمر يكون جيدًا، حين يكون كما هو في الواقع.

- كما هو في الواقع، نعم. لكن ليس كما يمكن أن يكون عليه. أنا أخشى...

- ماذا تخشى؟

توقف الوحش عند باب الحجرة، واستدار.

- زهقتُ، يا ويتشر، من أسئلتك التي تطرحها، دون توقف، بدلًا من أن تجيب عن أسئلتي. على ما يبدو، يجب أن أطرح السؤال بأسلوب مناسب. اسمع، منذ مدة لا تفارقني الأحلام المنغِّصة. بل ربما تكون كلمة «الوحشية» أكثر دقة. هل أنا محق في خشيتي؟ باختصار من فضلك.

- ألم تجد ساقيك موحلتين قطُّ، بعد مثل هذا الحلم، بعد استيقاظك؟ والكثير من إبر شجر التنوب في الفراش!

- لا.

- وهل...

- لا. باختصار من فضلك.

- أنت محق في خشيتك.

- هل يمكن معالجة ذلك؟ باختصار من فضلك.

- لا.

- وأخيرًا. فلنذهب، سأوصلك.

بينما كان جيرالت يعدِّل الخُرج، في الفناء، مسَّد نيفيلين خياشيم الفرس، وربَّت عنقها. أحنت روش رأسها، فرحة من المداعبة.

تفاخر الوحش: «الحيوانات تحبني. وأنا أحبها أيضًا. قطتي نهَّامة، مع أنها هربت مني في البداية، عادت إليَّ لاحقًا. وكانت، خلال مدة طويلة، المخلوق الوحيد الذي رافقني في محنتي. فيريينا أيضًا».

قطع الحديث، كشر معوجًا فمه. ابتسم جيرالت.

- هي تحب القطط أيضًا؟

كشَّر نيفيلين عن أسنانه: «تحب الطيور. لقد فضحتُ نفسي، يا للوباء. وماذا يهمني، يعني. هذه ليست ابنة تاجر أخرى، يا جيرالت، ولا هي محاولة أخرى للبحث عن ذرة الحقيقة في الخرافات القديمة. إنه أمر جِدِّيٌّ. نحب بعضنا بعضًا. إن ضحكتَ، سألكمك على بوزك».

لم يضحك جيرالت.

قال: «فيريينا صاحبتك، هي على الأرجح، الحورية روسالكا. أتعرف هذا؟».

- تساورني الظنون حول ذلك. نحيلة. سوداء. نادرًا ما تتكلم، وبلغة لا أعرفها. لا تأكل طعام البشر. تختفي في الغابة أيامًا كاملة، ثم تعود. هل هذا السلوك نموذجي؟

شد الويتشر حزام السرج: «نوعًا ما. لعلك تظن أنها لن تعود إليك إذا صرتَ إنسانًا؟».

- أنا على يقين من ذلك. أنت تعلم كيف يخاف الناس من الحورية روسالكا. قلة هم من رأوا روسالكا من قرب. وأنا وفيريينا... إيه يا للوباء. وداعًا، يا جيرالت.

- وداعًا، يا نيفيلين.

لكز الويتشر جنب الفرس بكعبه، وتحرك نحو البوابة. مشى الوحش يخبط بجانبه.

- جيرالت؟

- نعم، أسمعك.

- أنا لست غبيًّا، كما تظن. لقد أتيتَ إلى هنا متتبعًا أثر أحد التجار، الذين كانوا هنا أخيرًا. هل حدث شيء ما لشخص ما؟

- أجل.

- آخر شخص كان عندي قبل ثلاثة أيام. مع ابنته، وهي ليست الأجمل على أي حال. أمرتُ المنزل بإغلاق جميع الأبواب والمصاريع، ولم أبدِ أي علامة من علامات الحياة. تجوَّلا عبر الفناء ورحلا. قطعت الفتاة

وردة واحدة من شجيرة عُميمتي، وثبتتها على فستانها. ابحثْ عنهما في مكان آخر. لكن احذر، فهذه المنطقة مقززة. قلت لك إن الغابة ليست آمَن مكان في الليل. تسمع فيها وترى أشياء بشعة.

- شكرًا يا نيفيلين. سأتذكرك. من يدري، ربما أجد شخصًا، سوف...
- ربما. أو ربما لا. هذه مشكلتي، يا جيرالت، وحياتي وعقابي. تعلمتُ أن أتحمل هذا، لقد اعتدته. وحين تسوء الحال، سأعتاد أيضًا. وعندما تزداد الحال سوءًا، لا تبحث عن أحد، تعال إلى هنا وحدكَ، وأنْهِ الأمر. بطريقة الويتشر. وداعًا يا جيرالت.

استدار نيفيلين، وسار بثقة نحو الجوسق. ولم يلتفت وراءه، ولو مرة واحدة.

3

كانت المنطقة مهجورة، موحشة، شديدة العدائية. لم يعد جيرالت إلى الطريق الرئيسة قبل حلول الغسق، فلم يُرِدْ أن يطول مساره، ومضى في مسالك مختصرة عبر غابة الصنوبر. أمضى الليل على قمة مرتفع عالٍ قرعاء، وسيفه على ركبتيه، وأمامه نار صغيرة، كان يلقي فيها، من حين إلى آخر، حزمات من الخربق. في منتصف الليل، لاحظ وهج نار بعيدًا في الوادي، وسمع صراخًا جنونيًّا وأغاني، وشيئًا لا يمكن أن يكون إلا عويل امرأة تُعذَّب. انطلق إلى هناك، وكان الفجر في أول بزوغه، لكنه لم يجد إلا فسحة قد ديست، وعظامًا متفحمة في رماد ما زال دافئًا. كان الشيء الجالس في تاج شجرة بلوط ضخمة يزعق ويهسهس. يمكن أن يكون عفريت الغاب، لكنه أيضًا قد يكون قطًّا بريًّا عاديًّا. لم يتوقف الويتشر ليتحقق من ذلك.

4

عند الظهيرة تقريبًا، ولدى سقاية روش من النبع، صهلت الفرس صهيلًا يصم الأذن، وتراجعت كاشفةً عن أسنانها الصفر، عاضة على الشكيمة. هدَّأها جيرالت ب**العلامة** تلقائيًّا، ولاحظ عندئذٍ، دائرة منتظمة، متشكلة من قبعات فطر محمر، برزت من بين الطحالب.

قال: «صرتِ تتصرفين بهستيرية حقيقية، يا روش. إنها مجرد حلقة جن عادية. لمَ كل هذه الجلبة؟».

شخرت الفرس، وهي تدير رأسها إليه. فرك الويتشر جبهته، عبس، فكر. وبوثبة واحدة وجد نفسه على السرج، أدار فرسه، متحركًا بسرعة إلى الخلف، متتبعًا آثار خطواته.

تمتم: «تحبني الحيوانات. اعذريني يا فرسي الصغيرة. يظهر الآن أن لديك عقلًا أكثر مني».

5

ضمت الفرس أذنيها، شخرت، ومزَّقت الأرض بحذوتيها، رافضة السير. لم يهدئها جيرالت **بالعلامة** -قفز عن السرج، وألقى الزمام على رأس الفرس. لم يعد يحمل على ظهره سيفه القديم في غمد من جلد السحلية- وقد تبوَّأ مكانه الآن سلاح لامع وجميل ذو واقية يد متصالبة، ومقبض رقيق ومتوازن، ينتهي بحلقة كروية من معدن أبيض.

هذه المرة لم تشرع البوابة أمامه. لقد كانت مفتوحة، تمامًا كما تركها عند مغادرته.

سمع غناءً. لم يفهم الكلمات، ولم يستطع حتى تحديد أصلها وإلى أي لغة تنتمي. لم يكن ذلك ضروريًّا، فقد عرف الويتشر، وفهم، وأحس بجوهر

وطبيعة هذا الغناء الهادئ، النفَّاذ، المتدفق عبر الأوردة بموجة من الرعب القاهر والمثير للغثيان.

توقف الغناء فجأة، وعندئذ رآها.

تشبثت بظهر الدلفين في النافورة الجافة، حاضنة الحجر المطحلب بيديها الضئيلتين، اللتين بدتا شفافتين من شدة بياضهما. ولمعت من تحت عاصفة الشعر الأسود الأجعد عينان ضخمتان، شديدتا الاتساع بلون فحم الأنتراسيت، تحدقان إليه بثبات.

اقترب جيرالت، مبطئًا بخطو ناعم ورشيق، سائرًا نصف دائرة من جهة السور، إلى جانب شجيرة ورد أزرق. أدار المخلوق الملتصق بظهر الدُّلفين وجهًا صغيرًا وراءه، عليه تعابير شوق لا يوصف، مليئة بالسحر الذي جعل الأغنية لا تزال مسموعة، مع أن الشفتين الصغيرتين الشاحبتين، كانتا مطبقتين، ولم يصدر من بينهما أي صوت كان.

توقف الويتشر على بعد عشر خطوات. سطع السيف الذي استلَّه ببطء من غمده المصنوع من المينا الأسود، ولمع فوق رأسه.

قال: «إنه فضة. هذا النصل من الفضة».

لم يتزحزح الوجه الصغير الشاحب، ولم تغير العينان اللتان كانتا بلون فحم الأنتراسيت، ملامحهما.

تابع الويتشر كلامه بهدوء: «إنكِ تشبهين الحورية روسالكا كثيرًا، بحيث يمكنكِ خداع أي شخص بذلك. خاصة أنكِ طيرٌ صغير نادر، سوداء الشعر. لكن الخيول لا تخطئ أبدًا. إنها تعرف من هم على شاكلتكِ غريزيًّا، ودون الوقوع في خطأ. من أنتِ؟ أعتقد أنكِ مولا أو ألب[1]. فمصاص الدماء العادي لم يكن ليخرج في الشمس».

ارتعشت زاويتا الشفيهتين الشاحبتين، وارتفعتا قليلًا.

- لقد جذبكِ نيفيلين إلى شخصيته، أليس كذلك؟ الأحلام التي ذكرها، استدعيتِها أنت. وقد خمَّنتُ ما هي تلك الأحلام، وأنا أشفق عليه.

لم يتحرك المخلوق من مكانه.

---

(1) مولا وألب: وحشان من مصاصي الدماء.

تابع الويتشر: «أنتِ تحبين الطيور. لكن هذا لا يمنعك من عض أعناق الناس من كلا الجنسين، أليس كذلك؟ وفي الحقيقة، أنت ونيفيلين! سيكون منكما زوجان رائعان، وحش ومصاصة دماء، سَيِّدا قصر الغاب. ستسيطران على المنطقة بأكملها، في غمضة عين. أنتِ متعطشة إلى الدماء إلى الأبد، وهو حاميكِ، قاتل تحت الطلب، أداة عمياء. لكن كان عليه، أولًا، أن يصبح وحشًا حقيقيًّا، وليس إنسانًا في قناع وحشي».

ضاقت العينان السوداوان الكبيرتان.

- ما به أيتها الفتاة سوداء الشعر؟ لقد غنَّيتِ، فإذن شربتِ دمًا. وتناولت وسيلتك الأخيرة، أي إنك لم تنجحي في استلاب عقله. هل أنا على صواب؟

أومأ الرأس الأسود قليلًا، إيماءة تكاد لا تلاحظ، وارتفعت زاويتا الشفتين أعلى وأعلى. اعترت الوُجَيْهَ الصغير ملامحُ مروِّعة.

- لعلكِ تحسبين الآن نفسكِ أنكِ سيدة هذا القصر؟

أصبحت الإيماءة أوضح هذه المرة.

- أأنتِ مولا؟

حركة رأس بطيئة ونافية. لا يمكن للهسهسة التي سمعها إلا أن تأتي من شفتين شاحبتين مبتسمتين ابتسامة مفزعة، مع أن الويتشر لم يلاحظ أنهما كانتا تتحركان.

- ألب؟

نفي.

تراجع الويتشر، وضغط مقبض سيفه بقوة.

- هذا يعني أنكِ...

راحت زاويتا الفم ترتفعان أعلى فأعلى، وانفرجت الشفتان...

- بروكسا!

صرخ الويتشر ملقيًا بنفسه نحو النافورة. من خلف الشفتين الشاحبتين لمعت أنيابٌ بيضٌ حادة. هبَّت مصاصة الدماء، قوست ظهرها كنمر، وجأرت.

ضربت موجة الصوت الويتشر كأنها مدق، كاتمة أنفاسه، وساحقة ضلوعه، وثاقبة أذنيه ودماغه بأشواك الألم. لم يفته الوقت، وهو يطير إلى

الخلف، أن يصالب معصمي يديه على هيئة **علامة حجر الدم**[1]. وقد امتصَّ السحر، امتصاصًا بالغ الشدة، زخم القوة التي خبطت ظهره بالحائط، لكنَّ عينيه، مع ذلك، أظلمتا، وخرج ما بقي في رئتيه من هواء مع صوت متأوه.

على ظهر الدلفين، داخل الدائرة الحجرية للنافورة الجافة، وفي المكان الذي جلستْ فيه الفتاة الرقيقة، منذ لحظة، مرتدية ثوبًا أبيض، بسط خفاش أسود، جسده الضخم اللامع، فاتحًا بوزه الطويل الضيق، المملوء بصفوف بيض على شكل إبر. انبسط الجناحان الغشائيان، ورفرفا بصمت، ثم هوى المخلوق على الويتشر، كسهم أُطلِق من قوس مستعرض. صرخ جيرالت ناطقًا بتعويذة، إذ أحس بطعم الحديد بالدم في فمه، وألقى يده أمامه، وأصابعه منفرجة **بعلامة كوين**. التفَّ الخفاش التفافة مباغتة، زاعقًا، وارتفع في الهواء، مقهقهًا بعدوانية، وعلى الفور انقضَّ رأسيًّا إلى الأسفل، مباشرة على عنق الويتشر. ارتد جيرالت جانبًا، ضرب بسيفه، ولم يُصِبْ. استدار الخفاش بسلاسة ورشاقة، جاعلًا أحد جناحيه منكمشًا، ودار حوله وهاجمه من جديد، فاتحًا بوزه المسنن عديم العينين. وراح جيرالت ينتظر، ممسكًا بكلتا يديه سيفه الذي استله في وجه المخلوق. في اللحظة الأخيرة، وثب، ليس جانبًا، بل إلى الأمام، ضاربًا بكل ما أوتي من قوة، حتى عوى الهواء. لم يُصِبْ. لم يكن الأمر متوقعًا بهذا القدر، إلى درجة أنه خرج عن إيقاعه، تأخر جزءًا من الثانية عن تفادي الضربة. أحس بمخالب الوحش تمزق خدَّه، وبالجناح المخملي الرطب يخبط على عنقه. انثنى في مكانه، ناقلًا ثقل جسده إلى ساقه اليمنى، وضرب بزخم قوة حادة في الخلف، وخاب مجددًا، لم يصب هذا المخلوق السريع الالتفاف بطريقة خيالية.

رفرف الخفاش بجناحيه، وعلا محلِّقا تجاه النافورة. وفي اللحظة التي اصطكَّت فيها المخالب المعوجَّة بحجر الغلاف، كان البوز الوحشي اللزج قد امَّحى، وتحول، ثم اختفى، مع أن الشفتين الشاحبتين اللتين ظهرتا في مكانه، لا تزالان تكشفان عن أنيابهما القاتلة.

عوت بروكسا بشدة، مترنمة بتطريب مروِّع، وجحظت عيناها المملوءتان بالبغضاء، تحملقان إلى الويتشر، وزعقت من جديد.

---

(1) حجر الدم، أو رقيب الشمس: هو حجر كريم من أنواع العقيق، وفي النص الأصلي تستخدم كلمة: هيليوتروب.



كانت ضربة الموجة قوية إلى درجة أنها كسرت **العلامة**. دارت في عيني جيرالت دوائر سود وحمر، وجلجل صوت في صدغه ويافوخه. بدأ يسمع، من خلال الألم الذي ثقب أذنيه، أصوات نواح وتأوهات، ونغمات فلوت وأوبوا[1]، وهدير ريح هوجاء. تشنج الجلد على وجهه، وجمد. تهاوى على إحدى ركبتيه، وهز رأسه.

جرى الخفاش الأسود نحوه بصمت، موسعًا فكيه المسننين في أثناء طيرانه. ومع أن جيرالت شعر بالذهول من موجة الزعيق، كانت ردة فعله غريزية. هبَّ واثبًا من الأرض، وبلمح البصر ناسب وتيرة حركاته مع سرعة طيران الوحش، متقدمًا ثلاث خطوات إلى الأمام، متجنبًا الضرب، وملتفًّا نصف دورة، ثم ضرب بكلتا يديه ضربة سريعة، سرعة بزوغ الفكرة. لم يلقَ النصل مقاومة. لم يلقها تقريبًا. سمع زعيقًا، لكنه هذه المرة كان صراخ ألم، أحدثته لمسة الفضة.

تحولت بروكسا، عاوية على ظهر الدلفين. بدت على الثوب الأبيض، فوق الثدي الأيسر بقليل، تحت خدش لا يتجاوز طوله طول الخنصر، بدت واضحة بقعة حمراء. اصطكَّت أسنان الويتشر، تبين أن الضربة التي كان ينبغي لها أن تقسم الوحش إلى نصفين، كانت مجرد خدش.

هدر، وهو يمسح الدم عن خده: «اصرخي، يا مصاصة الدماء. ازعقي. افقدي قوتك. وعندئذ سأقطع رأسكِ الصغير الفاتن!».

أنت. ستضعف أولًا. ساحر. سأقتلك.

لم تتحرك شفتا بروكسا، لكنَّ الويتشر سمع الكلمات بوضوح، ترددت في دماغه، متفجرة، ترن رنينًا أصم، مع رجع صوت، كأنه ينبثق من تحت الماء.

قال ببطء، ودون رغبة، وهو يمشي تجاه النافورة: «سنرى».

سأقتلك. سأقتلك. سأقتلك.

- سنرى.
- فيريينا!

---

(1) آلة الأوبوا: من أهم الآلات الموسيقية الخشبية النفخية، ذات الريشة المزدوجة.

تمايل نيفيلين، منكسًا رأسه، وهو يخرج من الجوسق، وكلتا يديه تتشبثان بإطار الباب. خطا مترنحًا باتجاه النافورة، ملوحًا بكفيه من دون ثقة. وقد لطَّخ الدم قبة القفطان.

زمجر من جديد: «فيريينا!».

حركت بروكسا رأسها تجاهه فجأة. قفز جيرالت نحوها، رافعًا سيفه ليهوي به، لكن استجابة مصاصة الدماء كانت أسرع بكثير. أوقع الزعيق الحاد والموجة التالية الويتشر أرضًا. هوى على ظهره، وانزلق محتكًّا بالحصى على طول الممشى. انثنت بروكسا، ثم تحفزت لتقفز، ولمعت الأنياب في فمها مثل خناجر قطاع الطرق. حاول نيفيلين، وهو يبسط كفيه كدُبٍّ، الإمساك بها، لكنها زمجرت في فمه مباشرة، رامية به بضع قامات إلى الوراء، على سقالات خشبية تحت السور، فتحطمت بدويٍّ خارق، دافنة إياه تحت كومة من الخشب.

تمكن جيرالت من الوقوف على قدميه، وركض حول الفناء في نصف دائرة، ساعيًا إلى صرف انتباه بروكسا عن نيفيلين. اندفعت مصاصة الدماء نحوه رأسًا، وهي تحفُّ بثوبها الأبيض بخفة كفراشة، وتكاد لا تلامس الأرض. لم تعد تصرخ، ولم تحاول أن تتحول. عرف الويتشر أنها متعبة. بيد أنه كان يعرف أيضًا أنها حتى وهي متعبة، تظل خطرة خطرًا مميتًا. كان نيفيلين، خلف ظهر جيرالت، يقرقع بين الألواح الخشبية، ويزمجر.

ارتدَّ جيرالت قافزًا إلى اليسار، وحمى نفسه بحركة قصيرة من سيفه، كحركة طاحونة الهواء، مشتتة للانتباه. تحركت بروكسا نحوه، بدت لا لون لها، فظيعة، تتقاذفها الريح. لقد استخف بها، وقد صرخت راكضة. لم يتمكن من تجميع **العلامة** في الوقت المناسب، فنطَّ إلى الخلف، وارتطم ظهره بالحائط، وسرى الألم في عموده الفقري، حتى بلغ أطراف أصابعه، وشل كتفيه، وقسمَ ركبتيه. سقط راكعًا. قفزتْ بروكسا نحوه، عاوية عواءً غنائيًّا.

زمجر نيفيلين: «فيريينا!».

استدارت. وعندئذٍ، غرز نيفيلين بين ثدييها، بقوة، طرف قضيب حاد، مكسور، دقيق، طوله ثلاثة أمتار. لم تصرخ. بل تأوهت فقط. ارتجف الويتشر لدى سماعه هذا التأوه.

وقفا - كانت ساقا نيفيلين متباعدتين، أمسك القضيب بكلتا يديه، وحصر طرفه تحت إبطه. تدلَّت بروكسا مثل فراشة بيضاء على دبوس، معلقة على الطرف الآخر من العصا، وهي تشدُّها أيضًا بكلتا كفيها.

تنهدت مصاصة الدماء بيأس وألم، وفجأة أخذت تضغط بقوة على العمود الخشبي. رأى جيرالت بقعة حمراء تظهر على الثوب الأبيض، على ظهرها، يخرج منها الطرف المكسور في فوارة دم، بطريقة مقززة، وغير لائقة. زعق نيفيلين، وخطا خطوة إلى الوراء، تلتها خطوة أخرى، ثم سرعان ما بدأ في التراجع، لكنه لم يترك القضيب، وسحب بروكسا المثقوبة خلفه. خطا خطوة أخرى، واتكأ بظهره على حائط الجوسق. احتكَّ طرف القضيب الذي كان يمسك به تحت إبطه، بالجدار.

زحزحت بروكسا يديها الضئيلتين على طول العصا، ببطء، وكأنها كانت تداعب شيئًا، ومدت ذراعيها إلى أقصى مدى، وأمسكت بالقضيب بقوة، وضغطت عليه من جديد. وقد برز من ظهرها ما هو أكثر من متر من الخشب المدمى. كانت عيناها مفتوحتين باتساع، ورأسها ملقى إلى الخلف. أصبحت تنهداتها أكثر تواترًا وإيقاعية، متحولة إلى حشرجات شخير.

نهض جيرالت، لكنه وقد كان مفتونًا بالمشهد، ما زال غير قادر لتوطيد جهده للإتيان بأي فعل. سمع الكلمات التي كانت تتردد مكتومة داخل جمجمته، كما لو أنها كانت تحت سقف قبو، في زنزانة باردة ومبتلة.

إما لي. وإما ليس لأي أحد. أنا أحبك. أحبك.

لم يكن ذلك سوى تنهد آخر فظيع، مرتجف، مختنق بالدم. اندفعت بروكسا، تقدمت أكثر على القضيب، وبسطت ذراعيها. هدر نيفيلين يائسًا، لم يفلت العصا، محاولًا إبقاء مصاصة الدماء أبعد ما يمكن عنه. عبثًا. تحركت إلى الأمام أكثر، وأمسكت برأسه. عوى عواءً أفظع مما كان من قبل، هزَّ رأسه الأشعث. تقدمت بروكسا على القضيب مجددًا، وأمالت رأسها نحو حلق نيفيلين. لمعت أنيابها ببياض يعمي الأعين.

قفز جيرالت. قفز مثل نابض حلزوني خامل مقيَّد. كل حركة، كل خطوة، عليه فعلها الآن، كانت من طبيعته، ومما تعلم، وكانت حتمية، وتلقائية، وواثقة حتى النهاية. ثلاث خطوات سريعة. الثالثة، مثل مئات الخطوات من قبل، تنتهي على الرجل اليسرى بخبطة قدم قوية وحاسمة. انعطاف للجذع حاد،

ضربة قاصمة بزخم عارم. رأى عينيها. لا شيء يمكن أن يتغير بعد الآن. سمع صوتًا. لا شيء. صرخ ليكتم الكلمة التي كانت تكررها. لم يمكنها فعل أي شيء. هوى عليها بالسيف.

ضرب بثقة، مثل مئات المرات من قبل، بمضرب الشفرة القاطعة، وخطا على الفور خطوة رابعة، ثم نصف دورة، مستمرًّا في إيقاع الحركة. تبعه النصل الذي قد تحرَّر بُعيدَ نهاية نصف الدورة، لامعًا، ساحبًا خلفه خطًّا من قطرات حمر. تموج الشعر الأسود الفاحم متناثرًا، انساب في الهواء، انساب، انساب، انساب...

سقط الرأس على الحصى.

الوحوش تتناقص باستمرار؟

وأنا؟ ما أكون؟

من الذي يصرخ؟ الطيور؟

المرأة التي ترتدي معطفًا من جلد الغنم وثوبًا أزرق؟

وردة من **نازير**؟

يا له من هدوء!

يا له من فراغ. ما أكبر الفراغ.

في داخلي.

كان نيفيلين، المكوَّر ككبة صوف، المرتجف من جراء التشنجات والرعشات، ملقى تحت جدار الجوسق بين نبات القراص، وذراعاه تحيطان برأسه.

قال الويتشر: «قم».

رفع الرجل الفتيُّ، الوسيم، الضخم البنية، ذو البشرة الشاحبة، الملقى تحت الجدار، رفع رأسه وتلفَّت حوله. كان زائغ البصر. فرك عينيه ببراجمه. نظر إلى كفيه. تلمَّس وجهه. تأوه بصوت خافت، ووضع إصبعه في فمه، ومررها على لثته هنيهة طويلة. أمسك وجهه من جديد، وأخذ يتأوه مجددًا، لامسًا العلامات الأربع المنتفخة، النازفة على خده. انتحب، ثم ضحك.

- جيرالت! كيف هذا؟ كيف حدث... جيرالت!

- انهض، يا نيفيلين. انهض، وتعالَ معي. لديَّ أدوية في الخُرج، كلانا يحتاج إليها.

- لم يعد لديَّ... ليس لديَّ؟ جيرالت؟ كيف هذا؟

ساعده الويتشر في النهوض، محاولًا ألا ينظر إلى اليدين الضئيلتين، البيضاوين إلى حد أنهما كانتا شفافتين، والقابضتين على القضيب العالق بين نهدين صغيرين، ملتصقين بقطعة قماش حمراء مبللة. تأوه نيفيلين من جديد.

- فيريينا...

- لا تنظر. لنذهب.

سارا عبر الفناء، بجانب شجيرة الورود الزرق، ممسكًا أحدهما بالآخر. كان نيفيلين يتلمس، دون توقف، وجهه بيده المتحررة.

- أمر لا يصدق، يا جيرالت. أبعد كل تلك السنوات؟ كيف صار هذا ممكنًا؟

قال الويتشر بصوت خافت: «في كل حكاية خرافية ذرة حقيقة. الحب والدم. كلاهما يتمتع بقوة هائلة. منذ سنين والسحرة والعلماء يجهدون رؤوسهم، لكنهم لم يصلوا إلى شيء سوى أن...».

- أن ماذا، يا جيرالت؟

- أن الحب يجب أن يكون حقيقيًّا.

https://t.me/fantazynov



صوت العقل 3

- أنا فالويك، الكونت موئين. وهذا الفارس تايليس من دورندال.

انحنى جيرالت من غير اعتناء، ناظرًا إلى الفارسين. كانا يرتديان درعين ومعطفين قرمزيين، وعلى ذراعيهما اليسريين علامة **الوردة البيضاء**. استغرب بعض الشيء، فلم تكن في المنطقة، على حد علمه، أي قيادة لنظام القانون.

لاحظت نينِّيكي استغرابه، وقد بدت، ظاهريًّا، مبتسمة بطلاقة، وبعدم اكتراث.

قالت دون كبير انشغال، وهي ترتمي على مقعدها الذي يشبه العرش: «هؤلاء السادة، الذين ولدوا نبلاء، يظلون في خدمة الدوق هيريوارد، وهو من يحكم هذه الأراضي برحمة».

صحح تايليس، وهو أصغر الفارسيْن، مشددًا على كلماته، ومثبتًا على الكاهنة عينيه الزرقاوين الزاهيتين اللتين بدت فيهما العداوة: «الأمير. الأمير هيريوارد».

ابتسمت نينِّيكي باستهزاء: «دعنا لا نلعب بتفاصيل التسميات. على أيامي، كان لقب الأمراء لا يطلق إلا على أولئك الذين كان يجري الدم الملكي في عروقهم، ولكن ليس لهذا الأمر اليوم، على ما يبدو، أهمية كبرى. لنعد إلى عرض وشرح الغرض من زيارة فرسان **الوردة البيضاء** إلى معبدي المتواضع. لا بدَّ أن تعلم، يا جيرالت، أن محفل التشريفات يسعى، عند هيريوارد نفسه، لمنح نظام القانون التمكينَ، ولهذا السبب دخل العديد من فرسان **الوردة** في خدمة

https://t.me/fantazynov

الأمير. وقد قطع عدد غير قليل من السكان المحليين، مثل تايليس وهو هنا حاليًّا، عهودًا، ولبِسَ كلٌّ منهم الرداء الأحمر الذي يجعله يبدو جميلًا».

انحنى الويتشر مجددًا، من غير اعتناء، تمامًا كما فعل من قبل: «هذا شرف لي».

قالت الكاهنة ببرود: «أشك في ذلك. لم يأتوا إلى هنا ليحظوا بالتكريم. بل العكس تمامًا. لقد جاؤوا لمطالبتك بالخروج من هنا، في أسرع وقت ممكن. جاؤوا ليطردوك، بالمختصر المفيد. هل تعد ذلك تشريفًا؟ أنا، لا أعدُّه كذلك. أعدُّه إهانة».

هزَّ جيرالت كتفيه وقال: «أجهد الفرسان النبلاء أنفسهم بلا سبب. لا أنوي الاستقرار هنا. سأخرج من هنا وحدي، دون حوافز أو طلبات ملحة إضافية، وهذا سيحدث قريبًا».

دمدم تايليس: «بل فورًا. ودون لحظة تأخير. الأمير يأمر...».

قاطعته نينِّيكي بصوت بارد، ذي سلطة: «أنا من يصدر الأوامر في هذا المعبد. وعادة ما أحاول ألا تكون أوامري في تعارض مفرط مع سياسة هيريوارد. ما دامت هذه السياسة منطقية ومفهومة. وهي في هذه الحالة بالذات، ليست متعقلة، لذا لن أعاملها بجدية أكثر مما تستحق. جيرالت من ريفيا هو ضيفي، أيها السادة. أنا سعيدة بإقامته في معبدي. لذلك فإن جيرالت من ريفيا سيبقى في معبدي، قدر المدة التي يريد ومهما طالت».

صرخ تايليس، ثم ألقى معطفه على كتفه، عارضًا درعه المثقَّبة، الموشَّاة جوانبها بالنحاس الأصفر، بكامل أبهتها: «أوَصَلتْ بكِ الوقاحة لمعارضة الأمير، يا امرأة؟ أتجرئين على التشكيك في وجاهة السلطة؟».

قالت نينِّيكي، وغمزت بعينيها: «اهدأ. واخفض نبرتك. انتبه إلى ما تقوله وإلى من توجه الكلام».

- أعرف إلى من أوجه الكلام!

تقدم الفارس خطوة. أمسكه فالويك، وهو أكبرهما سنًّا، من مرفقه بقوة، وضغط عليه حتى اصطكَّ القفاز المدرع. شد تايليس بشراسة: «وأنا أتكلم بكلمات هي إرادة أمير هذه الأراضي! اعلمي، يا امرأة، أن لدينا اثني عشر جنديًّا في الفناء...».

تناولت نينِّيكي صرة من جنب الحزام، وأخرجت منها مرطبانًا خزفيًّا صغيرًا.

قالت بهدوء: «أنا حقًّا لا أعرف، ماذا سيحدث إذا كسرتُ ذلك الوعاء تحت قدميك، يا تايليس. ربما ستنفجر رئتاك. ربما ستنمو لك فروة. أو ربما سيحدث كلا الأمرين معًا، فمن يعلم ذلك؟ لعل مليتيلي الرحيمة وحدها تعلم ذلك».

- أتتجرئين على تهديدي بتعاويذ سحرك يا كاهنة! جنودنا...

- جنودكم، إذا ما لمس أي منهم كاهنة مليتيلي، فسيُعلَّقون على أشجار السنط، على طول الطريق المؤدية إلى المدينة، وذلك قبل أن تلامس الشمس خط الأفق. إنهم يعرفون ذلك على أكمل وجه. وأنت تعرف ذلك، يا تايليس، لذا توقف عن التصرف كشخص وقح. لقد أخرجتك من رحم أمك، أيها التافه الصغير، وإني أشفقُ على والدتك، لكن، لا تجعل قدرك على كف عفريت. لا ترغمني على أن أعلمك الأخلاق!

تدخَّل الويتشر، وقد ملَّ قليلًا من الحدث بأكمله: «حسنًا، كفى، حسنًا. يبدو أن مقامي المتواضع قد كبر ليبلغ أبعادًا تسبب نزاعًا خطرًا، ولا أرى دافعًا كي يكون الأمر كذلك. سيد فالويك، تبدون لي أنكم أكثر توازنًا من رفيقكم الذي، كما أرى، يحمل معه عنفوان الشباب. اسمعوا، يا سيد فالويك: أعدك بأنني سأترك هذه المنطقة بسرعة، في غضون بضعة أيام. كما أؤكد أيضًا أنني لم أكن أنوي، ولا أنوي، العمل هنا، وقبول التوصيات والطلبات. لست هنا بصفتي ويتشرًا، بل بصفتي شخصًا عاديًّا».

نظر الكونت فالويك إلى عينيه رأسًا، وفهم جيرالت خطأه على الفور. لقد كان في نظرات فارس **الوردة البيضاء** حقد خالص، لا يتزعزع، ولا يلوثه شيء. أدرك الويتشر، وكان واثقًا، أن من يطرده ويأمره بالرحيل، ليس الدوق هيريوارد، بل فالويك وأمثاله.

التفت الفارس إلى نينِّيكي وانحنى باحترام، وبدأ الكلام. تكلم بهدوء وأدب. تكلم بأسلوب منطقي. لكن جيرالت عرف أن فالويك كان يكذب مثل كلب.

- الموقرة نينِّيكي، أطلب المغفرة، لكن الأمير هيريوارد، كبيرنا، لا يرغب في وجود الويتشر جيرالت من ريفيا، ولن يقبل ببقائه في أرضه وممتلكاته. ليس مهمًّا أكان جيرالت من ريفيا يطارد الوحوش، أم كان يرى نفسه شخصًا عاديًّا. يعرف الأمير أن جيرالت من ريفيا لا يمكن أن

يكون شخصًا عاديًّا. فالويتشر يجذب المتاعب، كما يجذب المغناطيس برادة الحديد. السحرة هائجون ويكتبون العرائض، بل حتى كهنة الدرويد راحوا يهددون...

قاطعته الكاهنة: «لا أرى سببًا يجعل جيرالت من ريفيا يتحمل عواقب جراءة السحرة وكهنة الدرويد. منذ متى هيريوارد يهتم برأي أولئك أو هؤلاء؟».

رفع فالويك رأسه: «يكفي هذا النقاش. ألم أعبر بما يكفي من الوضوح، يا نينِّيكي الموقرة؟ إذن، سأقول بوضوح، لا وجود لقول أوضح منه: لا الأمير هيريوارد، ولا محفل التشريفات، يتمنون قبول الويتشر جيرالت من ريفيا، المعروف بجزار بلافيكين، ولا يومًا واحدًا بعد الآن، في إيلاندر».

هبت الكاهنة من مقعدها واقفة: «هذه ليست إيلاندر! هنا معبد مليتيلي! وأنا، نينِّيكي، الكاهنة الرئيسة لمليتيلي، لا أتمنى قبول وجود رجالكم، ولا حتى لحظة واحدة، في أرض المعبد بعد الآن، يا سادة!».

قال الويتشر بصوت خفيض: «يا سيد فالويك، استمعوا لصوت العقل. لا أريد المتاعب، وكما أظن، فأنتم أيضًا لستم في أمسِّ الحاجة إليها. سأترك هذه المنطقة بعد ثلاثة أيام على الأكثر. لا، يا نينِّيكي، اصمتي من فضلك. فقد حان الوقت لأمضي في طريقي، على أي حال. ثلاثة أيام، يا حضرة الكونت. لا أطلب المزيد».

قالت الكاهنة قبل أن يتمكن فالويك من الرد: «فعلتَ الصواب، أنك لا تطلب المزيد. هل سمعتم يا أولاد؟ سيبقى الويتشر هنا ثلاثة أيام، فهذه شهوة يشتهيها. وأنا، كاهنة مليتيلي العظيمة، سأؤدي واجب الضيافة خلال تلك الأيام الثلاثة، فهذه شهوة أشتهيها. كرروا ذلك على مسمعيْ هيريوارد. لا، ليس على مسمعيْ هيريوارد. كرروا هذا أمام زوجته، النبيلة إرميللي، وأعلموها، وزيدوا على ذلك، أنها إن كانت حريصة على استمراري في تزويدها بالمنشطات الجنسية من صيدليتي، فالأفضل لها أن تهدئ دوقها. ولتكبح جماح مزاجه ونزواته التي أصبحت تبدو، أكثر فأكثر، كأعراض حماقة».

صرخ تايليس بصوت رفيع، انكسر إلى صوت متوتر عالٍ: «كفى! لا يخطر لي أن أستمع كيف تهين إحدى الدجالات كبيري وعقيلته! لن أدع مثل هذه الإهانة تمر بسلام! إن محفل **الوردة البيضاء** من سيحكم هنا الآن، وسيكون ذلك نهاية أعشاش الظلام خاصتكم، وخرافاتكم! وأنا فارس **الوردة البيضاء**».

قاطعه جيرالت مبتسمًا ابتسامة قميئة: «اسمع إذن، يا فرخ الخنان. اكبح لُسَيْنك الرجَّاف. أنت تخاطب امرأة تستحق الاحترام. خاصة من قِبَلِ فارس **الوردة البيضاء**. الحقيقة أنه، في الآونة الأخيرة، يكفي دفع ألف كورون نوفيجرادي لخزانة المحفل، من أجل أن يصبح شخص ما فارسًا كهذا، وبذلك أصبح النظام مليئًا بأبناء المرابين والخياطين، ولكن قد تكون بعض العادات عندكم قد صمدت. وقد أكون مخطئًا؟».

شحب وجه تايليس وتنحى جانبًا.

قال جيرالت، دون أن يكف عن الابتسام: «سيد فالويك. إن هو استل سيفه، سآخذه منه وأجندل هذا الغاطس في برازه على الأرض. وبعد ذلك سأحطم الباب به».

بيدين مرتجفتين، سحب تايليس قفازه الحديدي من خلف الحزام، وقذفه فراح يقرقع على الأرض أمام قدمي الويتشر مباشرة.

وزعق: «سأغسل إهانة نظام القانون بدمك، أيها المتحول! هيا، إلى الساحة الممهدة! اخرج إلى الفناء!».

قالت نينِّيكي بهدوء: «سقط شيء منك يا بني. التقطه إذن، ممنوع رمي القمامة هنا، هنا معبد. فالويك، أخرِج هذا المخبول من هنا، وإلا فالأمر سينتهي بمصيبة. أنت تعرف ماذا ستكرر على مسمعيْ هيريوارد. على أي حال، سأكتب له شخصيًّا رسالة، لا يبدو لي أنكما رسولان جديران بالثقة. انقلعا من هنا. ستهتديان إلى المخرج وحدكما، على ما آمل».

انحنى فالويك مقرقعًا بدرعه، وهو يوقف تايليس المغتاظ بممسكة من حديد. ثم صوب نظره نحو عينيِ الويتشر. لم يبتسم الويتشر. ألقى فالويك معطفه القرمزي على كتفه.

وقال: «هذه ليست زيارتنا الأخيرة، يا نينِّيكي المبجلة. سنعود إلى هنا».

أجابت الكاهنة ببرود: «هذا تحديدًا ما كنت أخشاه. شرفتُ بمنغصاتكم كاملة».



أهْوَنُ الشرَّيْن

1

كالمعتاد، كانت القطط والأطفال أول المنتبهين إليه. ارتعش الهرُّ المخطط، النائم على كومة خشب دفأتها الشمس، رفع رأسه المدور، أرخى أذنيه، تشمَّم، وانطلق نحو نبات القرَّاص. صرخ دراجومير ذو الثلاث سنوات، نجل الصياد تريجلا، وقد كان على عتبة البيت يفعل ما في وسعه ليوسخ أكثر ما يمكن من قميصه الرث المتسخ، صرخ بشدة مثبتًا عينيه الدامعتين على الفارس القادم وهو يمر من جانبه.

سار الويتشر ببطء، لم يحاول تجاوز عربة التبن التي عاقت السير في الزقاق. خلفه، كان الحمار يخب مثقلًا بحمله، وبين لحظة وأخرى، يمد رقبته شادًّا حبلًا مفتولًا، مربوطًا بإحكام بشبه حلقة في السرج. وما عدا الخرج العادي، ناء متن هذا الطويل الأذنين، بجسم كبير ملفوف ببطانية رثة. وقد غطت جنب الحمار الرمادي الأبيض خطوط سود من دم متجلط.

وأخيرًا، انعطفت العربة إلى زقاق جانبي يقود إلى مخزن الحبوب والمرسى، حيث هبَّت منه رائحة النسيم، والقار، وبول الثيران. أسرع الويتشر. لم يبالِ بصراخ تاجرة الخُضَر المخنوق، التي كانت تحدق إلى كفٍّ سميكة العظام، ذات مخالب تبرز من تحت البطانية الرثة، مهتزة على إيقاع هبْع

الحمار. لم يلتفت إلى ذلك الجمع من الناس الذي كان يتزايد سائرًا خلفه، متمايلًا بإثارة.

كان المكان أمام منزل العمدة، كعادته، مليئًا بالعربات. قفز جيرالت عن السرج، عدَّل السيف على ظهره، وألقى اللجام من فوق الحاجز الخشبي. ذلك الجمع الذي كان يتبعه، شكَّل نصف دائرة حول الحمار.

كان صراخ العمدة مسموعًا حتى قبل وصول الوافد إلى المدخل.

- ممنوع، أقول لك! ممنوع، يا ابن الكلبة! ألا تفهم كلام البشر، أيها المنحط؟

دخل جيرالت. كان أمام العمدة، القصير، الممتلئ، المحمر من الغضب، قروي يقف ممسكًا بإوزة من رقبتها وهي تتخبط.

- ماذا... أيتها الآلهة جمعاء! أهذا أنت، يا جيرالت؟ ألا يخدعني بصري؟

ويخاطب الفلاح من جديد.

- خذها من هنا، يا وقح! هل أصابك الصمم؟

تأتأ القروي ناظرًا شزرًا إلى الإوزة: «قالوا من اللازم أن نعطي النبيل شوية[1]، فهو مختلف...».

زمجر العمدة: «من قال ذلك؟ من؟ أنني أتلقى رُشًى؟ لا أسمح بذلك، أقول لك! اغرب، أقول لك! مرحبًا، يا جيرالت».

- مرحبا، كالديمين.

شدَّ العمدة على يد الويتشر، وربَّت كتفه بيده الأخرى.

- لم تجئنا إلى هنا، على ما أظن، منذ قرابة عامين، يا جيرالت. أليس كذلك؟ إنك لا تكاد تشعر بدفء في مكان ما حتى تغادره. من أين قدمتَ؟ اللعنة على مؤخرة الكلب، وما الفرق من أي مكان أتيت. يا أنت، أحضر شيئًا من الجعة! اجلس، يا جيرالت، اجلس. نحن في حالة ارتباك، فغدًا ستكون عندنا السوق الموسمية. كيف حالك، أخبرني!

- في وقت لاحق. فلنخرج أولًا.

(1) شوية: كلمة عامية بمعنى قليلًا.

في الخارج، كان حشد الناس أكبر بمرتين تقريبًا، لكنَّ المساحة الخالية حول الحمار لم تقلْ. ألقى جيرالت البطانية بعيدًا. هدأ الحشد وتراجع. فتح كالديمين فمه موسعًا الشفتين.

- أيتها الآلهة جمعاء، جيرالت! ما هذا؟

- كيكيمورا. ألا من مكافأة عليها، يا حضرة العمدة؟

حرك كالديمين رِجليه واحدة تلو الأخرى، ناظرًا إلى الجسم الشبيه بالعنكبوت، المشدود بجلد أسود متيبس، وإلى العين المزجَّجة ذات الحدقة العمودية، وإلى الأنياب الشبيهة بالإبر في الفم المُدمى.

- أين... من أين هذا...

- على السد الترابي، قرابة أربعة أميال قبل البلدة. في الأراضي الرطبة. كالديمين، لا بدَّ أن أناسًا ماتوا هناك. أطفالًا.

- نعم، هذا صحيح. لكن لا أحد... من كان بإمكانه أن يخمن... هيه يا ناس، هيا إلى بيوتكم، هيا إلى العمل! هذا ليس مشهدًا للفرجة! غطِّه، يا جيرالت. الذباب يتهافت.

في الغرفة، تناول العمدة قطرميزَ الجعة، دون أن ينبس بكلمة، وشربه حتى الثمالة، دون أن يرفعه عن فمه. تنهد بشدة، واستنشق.

قال مكتئبًا: «لن تكون أي مكافأة. لم يكن أحد ليتخيل حتى إن شيئًا كهذا يكمن في المستنقعات المالحة. صحيح أن بضعة أشخاص فُقِدُوا في تلك المنطقة، لكن... قلَّة من الناس قد صعدوا إلى السد الترابي. وأنت، كيف وصلت إلى هناك؟ لماذا لم تسلك الطريق الرئيسة؟».

- من الصعب أن أكسب المال على الطرق الرئيسة، يا كالديمين.

أخمد العمدة التجشؤ في حلقه، نافخًا خديه: «لقد نسيت. كانت هذه المنطقة هادئة تمامًا. حتى إن الأقزام هنا نادرًا ما بالوا على الحليب عند النسوان، فحسب. وها هي إحدى غولات الكوابيس بين جنبيك. من اللائق أن عليَّ أن أشكرك. وبالنسبة إلى الدفع، فلن أدفع لك مقابلها شيئًا. ليست لديَّ مخصصات مالية».

اجترع الويتشر رشفة من القطرميز، ومسح الرغوة من على فمه: «يا للنحس. ستلزمني بعض الفلوس لقضاء حاجات الشتاء. أعتزم الذهاب إلى

يسبادين، لكنني لا أعرف أكنت سأتمكن من ذلك، قبل أن ينهال الثلج على الدروب. يمكنني أن أعلق في أحد الحصون على امتداد طريق لوتونسكي».

- أستلهو طويلًا في بلافيكين؟

- مدة قصيرة. ليس لدي وقت للهو. ها هو الشتاء قادم.

- أين ستمكث؟ ربما عندي؟ الغرفة في العلية فارغة، لماذا عليك أن تمكن أصحاب الخانات، هؤلاء اللصوص، من سلبك. سنتحدث، أخبرني بما يجري في العالم الواسع.

- بكل سرور. ولكن ما رأي امرأتك ليبوش في ذلك؟ في المرة الأخيرة، أمكنني ملاحظة أنها لا تستسيغني.

- في بيتي، لا صوت للنسوان. لكن، والكلام بيننا، لا تفعل أمامها ما فعلته آخر مرة على العشاء.

- تقصد ما فعلته حين رميت الجرذ بالشوكة؟

- لا. ما أقصده أنك أصبته، مع أن المكان كان مظلمًا.

- اعتقدت أن الأمر سيكون مسليًا.

- كان مسليًا. لكن لا تفعل ذلك أمام ليبوش. اسمع، وهذه... ماذا كان اسمها... كيكي...

- كيكيمورا.

- تحتاج إليها من أجل شيء ما؟

- ولأي شيء، يعني؟ إذا لم تكن توجد مكافأة، فيمكنك أن توصي بإلقائها في الزبل.

- الفكرة ليست سيئة. هيه، أنتم هناك، يا كاريلكا، يا بورج، يا حامل الحصوة! هل أحد منكم هناك؟

دخل حارس البلدة وعلى كتفه حربة، وضرب بنصلها على إطار الباب محدثًا دويًا.

قال كالديمين: «يا حامل الحصوة، خذ أحدهم ليساعدك، اسحب الحمار من أمام البيت مع هذه القذارة الملفوفة ببطانية، أوصلها إلى ما وراء حظائر الخنازير، وأغرقها في حفرة الزبل. فهمت؟».

- حاضر، أوامركم مطاعة. لكن... يا حضرة العمدة...

- ماذا؟

- ربما، قبل أن نغرق هذه القماءة...

- أي أكمل؟

- فلتُعرَض على المعلم إيريون. فلعلها تنفعه في شيء ما.

- لستَ غبيًّا، يا حامل الحصوة. اسمع يا جيرالت، ربما يعطيك ساحرنا المحلي شيئًا مقابل هذه الجيفة. يحمل الصيادون إليه أسماكًا عجيبة مختلفة، وثُمانيات أرجل، ومسوخ البحر، وأسقمريات جليدية، وقد جنى عدد غير قليل منهم الكثير من وراء ذلك. تعالَ، لنذهب إلى البرج.

- كسبتم الساحر؟ كسبًا دائمًا أم متقطعًا؟

- دائمًا. إنه المعلم إيريون. يعيش في بلافيكين منذ عام. هو عراف مقتدر، يا جيرالت، ستعرفه من خلال مظهره وحده.

عبس جيرالت: «أشك في أكان في العراف المقتدر سيدفع مالًا مقابل كيكيمورا. على حد علمي، لا أحد يحتاج إليها لإنتاج أي إكسير. وعلى الأرجح أن إيريون، صاحبكم هذا، سيشتمني، وحسب. نحن معشر الويتشر، لا نبادل السحرة الحب».

- لم أسمع قطُّ أن المعلم إيريون شتم أحدًا. أسيدفع مالًا، لن أقسم إنه سيفعل، لكن المحاولة لن تضر. قد يكون في المستنقعات المزيد من هذه الكيكيمورات، فماذا بعدئذٍ؟ دع العراف يعاين المخلوق ويلقي، إذا اقتضى الحال، بعض التعاويذ على المستنقعات، أو أي شيء آخر.

فكَّر الويتشر لحظة.

- نقطة لمصلحتك، يا كالديمين. لا بأس، سنخاطر بمقابلة المعلم إيريون. فلنذهب؟

- فلنذهب. يا حامل الحصوة، اطرد هؤلاء الأطفال، وخذ ذا الأذنين المتدليتين بالحبل. أين قبعتي؟



2

بدا البرج المبني من قطع الجرانيت المملسة بطريقة ناعمة، والمفرز بشرفات مسننة، مهيبًا وهو يعلو قرميد المنازل المهشم، والأسطح القشية المقعرة التي تُسقِّف البيوت الخشبية.

قال جيرالت: «قد جدَّده، كما أرى».

- بالسحر حثَّكم على العمل؟

- بالسحر، أساسًا.

- كيف هو، صاحبكم هذا، إيريون؟

- محترم. يساعد الناس. لكنه منعزل، وانطوائي. لا يكاد يخرج من البرج.

عُلِّقَتْ على الباب المزين بنافذة ورد، مطعمة بالخشب الزاهي، مطرقة ضخمة على شكل رأس مسطَّح، جاحظ العينين، لسمكة ممسكة بحلقة من النحاس الأصفر داخل فم مسنن. اقترب كالديمين الذي كان، كما بدا، على دراية بعمل الآلية، وتنحَّم ثم راح يتلو:

- يتوجه العمدة كالديمين بالقضية إلى المعلم إيريون. ومعه يتوجه الويتشر جيرالت من ريفيا، بهذه القضية.

لم يحدث شيء منذ هنيهة طويلة، وأخيرًا حرَّك رأسُ السمكة فكَّهُ السفلي المسنن، نافثًا سحابة من بخار.

- المعلم إيريون لا يستقبل الآن. ابتعدوا أيها الناس الطيبون.

راوح كالديمين في مكانه، ونظر إلى جيرالت.

هزَّ الويتشر كتفيه. كان حامل الحصوة يحفر في منخاره، وهو في حالة تركيز، وبكامل الجِدية.

كررت مطرقةُ الباب المعدنية: «المعلم إيريون لا يستقبل الآن. ابتعدوا، أيها الناس الط...».

قاطع جيرالت بصوت عالٍ: «لستُ إنسانًا طيبًا، أنا ويتشر. هذه التي على الحمار، هي كيكيمورا التي قتلتها في مكان قريب جدًّا من المدينة.

من واجب كل ساحر مقيم الحفاظ على الأمن في المنطقة. ليس على المعلم إيريون أن يشرفني بمحادثة، وليس عليه أن يستقبلني، إن شاء ذلك. لكن، فليعاين كيكيمورا ويستخلص الاستنتاجات. فكْ كيكيمورا، يا حامل الحصوة، واطرحها هنا، لصق الباب».

قال العمدة بصوت خافت: «جيرالت. أنت ستغادر، وأنا هنا سأضطر إلى...».

- فلنذهب يا كالديمين. وأنت يا حامل الحصوة، أخرج إصبعك من منخارك، وافعل ما كلفتكَ به.

قالت مطرقةُ الباب بصوت مختلف تمامًا: «لحظة. جيرالت، أهذا أنت حقًّا؟».

أطلق الويتشر شتيمة بصوت خفيض.

- بدأت أفقد صبري. أجل، هذا أنا حقًّا. وما يهم إن كنتُ أنا حقًّا؟

قالت مطرقة الباب، وهي تنفث سحابة البخار: «اقترب من الباب، وحدك. سأسمح لك بالدخول».

- ماذا بشأن كيكيمورا؟

- احرقها، إلى الشيطان. أريد أن أتحدث إليك، يا جيرالت. إليكَ فقط. سامحوني، يا عمدة.

- لوح كالديمين بيده: «وما لي وهذا، يا معلم إيريون. وداعًا، يا جيرالت. نلتقي لاحقًا. يا حامل الحصوة! الوحش إلى حفرة الزبل!».

- طوع أوامركم.

دنا الويتشر من الباب المرصع، الذي انفتح قليلًا جدًّا، بما يكفي فقط ليندس عبره، ثم انغلق على الفور، تاركًا إياه في ظلام مطبق.

صاح دون أن يخفي غضبه: «هيه!».

أجاب الصوت الذي كان مألوفًا على نحو غريب: «حالًا».

كان الانطباع غير متوقع، حتى إن الويتشر ترنح، ومد يده باحثًا عن متكأ. ولم يجده.

أزهر البستان بالأبيضَ والوردي، وفاحت منه رائحة المطر. شقَّ السماء قوس قزح متعدد الألوان، واصلًا رؤوس الأشجار بالسلسلة الجبلية الزرقاء

البعيدة. في وسط البستان، منزل صغير ومتواضع، يغرق في نباتات الخطمية. نظر جيرالت إلى أسفل قدميه، وأيقن أنه يقف بين الزعتر الذي يصل حتى ركبتيه.

نطق الصوت: «هيا، يا جيرالت. إني أمام المنزل».

دخل البستان من بين الأشجار. لاحظ حركة إلى يساره، فتلفَّت إلى الوراء. كانت فتاة ذات شعر أشقر، عارية تمامًا، تمشي على طول صف من الشجيرات، حاملة سلة مليئة بالتفاح. لقد وعد الويتشر نفسه وعدًا رسميًّا أن لا يستغرب أكثر.

- وأخيرًا. أهلًا أيها الويتشر.

استغرب جيرالت: «إستريجُبور!».

التقى الويتشر، على مدى حياته، لصوصًا يشبهون أمناء المدينة، وأمناء مدينة يشبهون المتسولين المسنين، وعاهرات يشبهن الأميرات، وأميرات يشبهن العِشار من البقر، وملوكًا يشبهون اللصوص. أما إستريجُبور، فقد كان يبدو دائمًا، وحسب كل المعايير والتخيلات، كما ينبغي أن يبدو عليه الساحر. كان طويلًا، ونحيفًا، ومحدودبًا، كثَّ الحاجبين، وهما كبيران يعلوهما الشيب، وكان طويل الأنف ومعوجَّه. وإلى ذلك، كان يرتدي رداءً أسود، طويلًا، ذا أكمام واسعة على نحو لا يصدق، وكان يمسك صولجانًا بالغَ الطول، ذا مقبض من الكريستال. لا أحد من السحرة المعروفين لجيرالت كان يشبه إستريجُبور. والأغرب من ذلك، أن إستريجُبور كان في الواقع ساحرًا.

جلسا في شرفة المنزل، المحاطة بنباتات الخطمية، على مقاعد مصنوعة من الخوص، إلى طاولة ذات سطح من رخام أبيض. اقتربت الشقراء العارية حاملة سلة التفاح، وابتسمت، ثم استدارت وعادت إلى البستان، متمايلة بردفيها.

سأل جيرالت، وهو ينظر إلى تمايل الردفين: «أهذا وهم أيضًا؟».

- أيضًا. مثل كل شيء هنا. لكنه، يا حبيبي، وهم من الدرجة الأولى. الزهور تفوح رائحتها، التفاح يمكنك أن تأكله، النحلة يمكنها أن تلدغك، وتلك -أشار الساحر إلى الشقراء- يمكنك...

- ربما لاحقًا.

- أصبتَ. وماذا تفعل هنا، يا جيرالت؟ لا تزال تزاول قتل ممثلي الأنواع الآيلة للانقراض، مقابل المال؟ كم كسبت مقابل كيكيمورا؟ على الأرجح لا شيء، وإلا لما جئت إلى هنا. ويوجد من يفكر في أنه يوجد أناس لا يؤمنون بالقدر. أم لعلك كنت تعلم بأمري. أكنت تعلم؟

- ما كنت أعلم. هذا هو آخر مكان كنت أتوقعك فيه. إذا لم تخني الذاكرة، فإنك كنت تسكن في كوفير(1)، في برج يشبه هذا.

- لقد تغير الكثير منذ ذلك الحين.

- اسمك على الأقل، فإنك الآن، على ما يبدو، المعلم إيريون.

- كان هذا اسم منشئ هذا البرج، توفي قبل قرابة مائتي عام. رأيت أن من الواجب تكريمه، بطريقة ما، أن أتولى مقر سكناه. أعمل هنا بصفتي مقيمًا. يعيش معظم السكان على خيرات البحر، وكما تعلم، فإن اختصاصي، عدا الأوهام، هو أحوال الجو. حينًا أُخمِد عاصفة، وحينًا أشعِل أخرى، وحينًا آخر أستقدم، بمعية الريح الغربية، أفواجًا من أسماك الغُبَر والقد، إلى المناطق الأقرب إلى الشواطئ. هذا يعني -أضاف بكآبة- أن عيشنا كان ممكنًا.

- لماذا كان ممكنًا؟ ومن أين فكرة تغيير الاسم؟

- للقدر وجوه عدَّة. قدري رائع من الخارج، وبشع من الداخل. وقد مد نحوي مخالبه الدامية...

تجهَّم جيرالت: «لم تتغير قيد شعرة، يا إستريجُبور. أنت تهذي مفتعلًا، في أثناء ذلك، على وجهك تعابير حكيمة وذات مغزى. ألا تستطيع التحدث بطريقة طبيعية؟».

تنهد الساحر: «أستطيع. إذا كان ذلك سيجعلك سعيدًا، فأنا أستطيع. وصلتُ حتى إلى هنا، مختبئًا وهاربًا من كائن فظيع يريد قتلي. لم يفدني الهروب في شيء، فقد وجدني. وحسب كل الاحتمالات، سيحاول قتلي غدًا، أو بعد غد على أبعد تقدير».

قال الويتشر دون عاطفة: «آه. الآن، أنا أفهم».

- كما يبدو لي، فإن الموت المحدق بي لا يثير فيك أي انطباع ملموس؟

---

(1) كوفير: اسم مملكة متخيَّلة.

قال جيرالت: «إستريجُبور. هكذا هو العالم. يرى المرء الكثير في أثناء الترحال. يقتتل فلاحان حتى الموت من أجل شريط أرض وسط الحقل الذي ستدوسه غدًا خيول فريقين يتبعان مُديرَي منطقة، يريد كل منهما قتل الآخر. على طول الدروب، تتدلى جثث المشنوقين على الأشجار، وفي الغابات يشق قُطَّاع الطرق حلوق التجار. وفي المدن، يتعثر المرء بالجثث في مزاريب الشوارع، في كل خطوة يخطوها. وفي القصور يتطاعن القوم بالخناجر، أما في الولائم، فبين خطوة وأخرى يسقط شخص تحت المائدة، مزرقًّا من السم. لقد اعتدتُ ذلك. فلماذا يجب أن يثير فيَّ الموت المحدق انطباعًا، وهو إضافة إلى ذلك، المحدق بك أصلًا؟».

كرر إستريجُبور ساخرًا: «وهو إضافة إلى ذلك، المحدق بك. وأنا كنت أعدُّك صديقًا. وكنت أعوِّل على مساعدتك».

قال جيرالت: «لقد جرى لقاؤنا الأخير في بلاط الملك إيدي في كوفير. وجئت لأخذ الأجر مقابل قتل السحلية الوحشية التي كانت ترهب المنطقة. في ذلك الوقت، سميتني أنت ورفيقك زافيست بالدجال، وبآلة الإجرام الطائشة، و -إذا لم تخنِّي الذاكرة- بآكل الجِيف. في المحصلة، لم يكتفِ إيدي بأنه لم يدفع لي فلسًا واحدًا، بل فوق ذلك أمهلني اثنتي عشرة ساعة لمغادرة كوفير، ولمَّا كانت ساعته الرملية معطلة، كاد الوقت يفوتني. والآن، تقول، إنك تعوِّل على مساعدتي. تقول إن وحشًا يطاردك. ما الذي تخاف منه يا إستريجُبور؟ إن أمسك بك، قل له إنك تحب الوحوش، وتحميها وترعاها، كي لا يعكر صفوها أي ويتشر من أكلة الجيف. في الحقيقة، إذا أخرج الوحش أحشاءك والتهمك، فسيكون ناكرًا للجميل مروِّعًا».

صمت الساحر، وهو يشيح برأسه. ضحك جيرالت.

- لا تنفخ نفسك كالضفدع، أيها الساحر. قل لي ما الذي يهددك. سنرى ما يمكننا فعله.

- هل سمعت عن **لعنة الشمس السوداء**؟

- وكيف لا، قد سمعتُ عنها. ولكن تحت اسم **هوس إلتيبالد الممسوس**. وأساسًا، كان هذا هو اسم الساحر الذي أطلق تلك التسلية التي كان من نتيجتها أن قُتِلَتْ، أو حُبِسَتْ في الأبراج، عشرات الفتيات من العائلات العظيمة، وحتى المَلكية منها. وقد كان أن تلبستهنَّ الشياطين،

https://t.me/fantazynov

وأصابتهنَّ اللعنة، ولوثتهنَّ **الشمس السوداء**، فهكذا أسميتم، في رطانتكم المتضخمة، الكسوف الأكثر عادية في العالم.

- لقد فكَّ إلتيبالد الذي لم يكن ممسوسًا قطعًا، شيفرة الكتابات المنقوشة على أنصاب الداوكيين الحجرية، وعلى شواهد القبور في مدن الموتى خاصة الفُشجُريين، وفحص أساطير البوبُواكيين ومروياتهم. جميعهم تكلم عن الكسوف بطريقة تبقي خلفها قليلًا من الشك. كان **للشمس السوداء** أن تبشر بعودة ليليث الوشيكة التي ما انفكت تحظى بالتبجيل في الشرق تحت اسم نِيا، ومن ثم إبادة الجنس البشري. وكان لها أن تمهد الطريق لليليث «ستون سيدة يرتدين التيجان الذهبية، وهنَّ من سيملأن أودية الأنهار بالدم».

قال الويتشر: «هذا هراء. إضافة إلى ذلك، فهو لا يأتي على القافية. والتنبؤات اللائقة كلها على القافية. كان معروفًا على نحو شائع ما كان يقصده إلتيبالد ومجلس السحرة في ذلك الوقت. لقد استغللتم هذيان أحد المجانين لتقوية سلطتكم. ولكسر التحالفات، وإفساد الصلات الوثيقة، وخلط السلالات، وبكلمة واحدة، لحزم الخيوط المثبتة على الدمى في التيجان بقوة كبرى. وأنت هنا تحدثني عن التنبؤات التي يمكن أن يخجل منها أي عجوز متسول في السوق الموسمية».

- يمكن أن تكون للمرء تحفظات حول نظرية إلتيبالد، لتفسير التنبؤات. لكن لا سبيل لدحض حقيقة حدوث الطفرة الوحشية بين الفتيات، اللواتي ولدن بعد مدة وجيزة من الكسوف.

- وما يجعلها عصية على الدحض؟ لقد سمعتُ شيئًا مناقضًا لذلك تمامًا.

قال الساحر: «كنت حاضرًا في عملية تشريح إحداهن. ما وجدناه، يا جيرالت، داخل الجمجمة والنخاع، لم يكن في وسعنا تحديده على نحو واضح. هو شيء من إسفنج أحمر. الأعضاء الداخلية كانت مختلطة، وبعضها مفقودًا أصلًا. كان كل شيء مغطى بأهداب متحركة، وخيوط فطرية وردية، تميل إلى الأزرق البنفسجي. وكان للقلب ست حُجيرات. اثنتان، عمليًّا، في حالة ضمور، ولكنهما موجودتان. فما رأيك؟».

- رأيتُ أناسًا لديهم مخالب عقاب، بدلًا من الأيدي، وآخرين لديهم أنياب ذئب. وأناسًا لديهم مفاصل إضافية، وأعضاء إضافية، وحواس إضافية. كل هذا كان من تأثيرات عبثك بالسحر.

رفع الساحر رأسه: «تقول إنك رأيتَ طفرات مختلفة. وكم قتلتَ منهنَّ من أجل المال، تماشيًا مع رسالتك الويتشرية؟ إذن؟ فمن الممكن أن تكون لديك أنياب ذئب، وتكتفي بإبرازها أمام بنات الهوى في النزل، ويمكن أن تكون لديك في الوقت نفسه طبيعة ذئب، وتهاجم الأطفال. وهذا كان تحديدًا حال الفتيات اللواتي ولدن بعد الكسوف، وثبت أن لديهنَّ ميولًا جنونية إلى القسوة، والعدوانية، ونوبات الغضب العنيفة، وكذلك المزاج المفرط».

سخر جيرالت: «يمكن القول بوجود شيء من هذا القبيل عند كل امرأة. ماذا تخبص أنت هنا؟ تسأل كم قتلت من ذوي الطفرات، ولمَ لا يثير فضولك كم شخصًا منهم فككتُ عنه السحر، وحررتُه من اللعنات؟ أنا الويتشر الذي تحتقرون. وما الذي فعلتموه، أنتم، أيها السحرة الجبارون؟».

- لقد طُبِّقَ السحر الأعلى. سحرنا وسحر الكهنة أيضًا، في معابد مختلفة. وانتهت كل المحاولات بموت الفتيات.

- وهذا يشهد بالسوء عليكم، لا على الفتيات. إذن، صارت لدينا أولى الجثث. أفهم أنها كانت فقط تلك التي شرحتَ؟

- لم تكن هي فقط. لا تنظر إليَّ هكذا، فأنت تعلم جيدًا أن جثثًا تالية كانت أيضًا. في البداية، تقرر تصفيتهن جميعًا. أعدمنا أكثر من... عشر. شُرِّحَتْ جثثهنَّ جميعًا. واحدة منهن شُرِّحتْ حيَّة.

- وأنتم يا أولاد الكلبة، تتجرؤون على انتقاد معشر الويتشر؟ إيه، إستريجُبور، سيأتي اليوم الذي سيعقل فيه الناس ويحاسبونكم.

قال الساحر بتبرم: «لا أظن أن مثل هذا اليوم سيأتي قريبًا. لا تنسَ أننا كنا نعمل دفاعًا عن الشعب، أساسًا. كانت ذوات الطفرات سيُغرِقن البلاد كاملة بالدماء».

- هكذا تزعمون، أنتم السحرة، وقد رفعتم أنوفكم إلى الأعلى، فوق هالة عصمتكم. وإذا تكلمنا عن ذلك، فأظن أنكَ لن تزعم أنكم لم ترتكبوا خطأً، ولا حتى مرة واحدة، في أثناء مطاردتكم للطوافر المزعومات؟

قال إستريجُبور بعد لحظة صمت طويلة: «فليكن لك ما تريد. سأكون صادقًا، مع أنني لست ملزمًا بذلك، من منظور مصلحتي الخاصة. أخطأنا أكثر من مرة. كانت مسألة اختيارهنَّ غاية في الصعوبة. لذلك أيضًا توقفنا عن... إعدامهنَّ، وشرعنا في عزلهنَّ».

شخر الويتشر: «أبراجكم الشهيرة».

- أبراجنا. كانت الخطأ التالي، رغم كل شيء. قللنا من شأنهنَّ ففر منَّا الكثير منهنَّ. سادت بين الأمراء، وخاصة الأصغر سنًّا منهم الذين كان لديهم القليل مما يمكن عمله، وأقل القليل مما يمكن أن يخسروه، سادت موضة جنونية لتحرير النواعم المسجونات. ومن حسن الحظ، القسم الأعظم منهم قُطِعَتْ أعناقهنَّ.

- على حد علمي، قد مِتنَ بسرعة محبوسات في الأبراج. وقيل إن ذلك ما كان ليتم دون مساعدتكم.

- كذب. لكنهنَّ في الواقع، سرعان ما وقعن في حالة اللامبالاة، ورفضن تناول الطعام... ومن المثير للاهتمام أنهنَّ، قبل وقت قصير من وفاتهنَّ، أفشين سرَّ موهبة الاستبصار. وهذا دليل آخر على الطفرة.

- كل دليل يأتي أقل إقناعًا مما قبله. أليس لديك المزيد منها؟

- لديَّ. سيلفينا، سيدة تسكن في ناروك[1]، لم نتمكن قطُّ حتى من الاقتراب منها، فقد استولت على السلطة بسرعة كبيرة. الآن تحدث أشياء فظيعة في هذا البلد. هربت فيالكا، ابنة إيِّرمير، من البرج بوساطة حبل مشغول من الجدائل، وهي الآن ترهب شمال فيلهاد. أطلق أميرٌ أحمقُ بيرنيكا من تالجار. وهو جالس الآن معمى في زنزانة، وتُعَدُّ المشنقة المَعلَم الأكثر إثارة للانتباه من معالم تالجار. وتوجد أمثلة أخرى أيضًا.

قال الويتشر: «توجد بالتأكيد. في يامورلاك[2]، على سبيل المثال، يحكم الشيخ أبراد، المصاب بداء الخنازير[3]، والذي لا وجود لأي سن في فمه، وُلِدَ منذ ما يقارب مائة عام قبل هذا الكسوف، على ما يظن، ولم يكن لينام إن

(1) ناروك: إمارة صغيرة تتبع مملكة كوفير وبوفيس، حسب عالم الويتشر.

(2) يامورلاك: بلاد تقع بين نهريْ بوينا وبرا، وهي جزء من ريدانيا في عالم الويتشر.

(3) داء الخنازير: نوع من السل يهاجم العقد اللمفاوية العنقية.

لم يعرِّضوا أحدًا للتعذيب في ساعات صحوه. وقد ذبح جميع أقاربه، وجعل نصف البلاد خالية من الناس، في نوبات غضب جنونية، كما وصفتَها أنت. وتوجد آثار تدل على مزاجه الجنسي المفرط، فقد كان، على ما يبدو، يُسمَّى في شبابه **أبراد مشمر الثوب**. إيه، يا إستريجُبور، سيكون من الجميل لو أن قسوة الحكام يمكن تفسيرها بطفرة أو لعنة».

- اسمع يا جيرالت...

- ولا أعتقد ذلك. لن تقنعني بمعتقداتك، وبالأحرى، ولا بأن إلتيبالد لم يكن مجنونًا إجراميًّا. فلنعد إلى الوحش الذي يفترض أنه يهددك. بعد مقدمتك التي أوردتَها، كنْ مدركًا أن هذه القصة لا تعجبني. لكني سأستمع إليك حتى النهاية.

- دون أن تزعجني بملاحظات خبيثة؟

- لا أستطيع أن أعدك بذلك.

دسَّ إستريجُبور كفيه في كُمَّيْ ردائه: «حسنًا، إذن، بذلك سيطول شرح الأمر. وبعد، فالقصة بدأت في كريدين، وهي إمارة صغيرة في الشمال. كانت أريديا، زوجة فريديفالك؛ أمير كريدين، امرأة حكيمة ومتعلمة. كان في عائلتها العديد من العارفين المتميزين بفن السحر، وربما استحوذت عن طريق الإرث الذي حازته على قطعة سحرية نادرة جدًّا وهائلة، هي **مرآة نِهاليني**. كما تعلم، فإن مرايا نِهاليني خدمت، بالأساس، المتنبئين والكهنة العرافين، فهم يتنبؤون بالمستقبل، وإنْ بأسلوب غامض، دون أخطاء. وكثيرًا ما كانت أريديا تخاطب **المرآة**...».

قاطعه جيرالت: «بالسؤال المعتاد على ما أعتقد: «مَن أجمل شخص في العالم؟». كما أعلم، فإن **مرايا نِهاليني** جميعها تنقسم إلى صنفين: لطيف ومهشم».

- أنت مخطئ. إن أكثر ما كان يستحوذ اهتمام أريديا هو مصاير البلاد. ردًّا على أسئلتها، تنبأت **المرآة** بموتها الفظيع، وموت الكثير الكثير من الناس على يد ابنة فريديفالك من زواجه الأول، أو بخطيئة منها. سعت أريديا إلى أن يبلغ خبرُ هذا الحدث المجلسَ، وقد أرسلني المجلس إلى كريدين. وليس عليَّ أن أضيف، أن بِكر فريديفالك وُلِدَتْ بعد وقت وجيز من الكسوف. راقبتُ هذه الصغيرة بتكتم مدةً قصيرةً. في ذلك الوقت،

لحقتْ أن تُهلِكَ كناريًّا وجروين، وقد فقأتْ أيضًا عين الخادمة بمقبض مشط. أجريتُ بعضِ الاختبارات بوساطة التعاويذ، وأكد معظمها أن الصغيرة كانت طافرًا متحولة. ذهبتُ بهذا إلى أريديا، لأن فريديفالك لم يكن يرى العالم إلا بوجود ابنته. وكما قلتُ، لم تكن أريديا امرأة غبية...

قاطعه جيرالت مجددًا: «واضح، وعلى الأغلب لم تستسغْ ربيبتها. كانت تحبذ أن يرث أطفالها العرش. وأخمن ما سيلي ذلك. أن أحدًا لم يكن أيضًا هناك حينئذ، ليلوي عنقها. وبالمعية عنقك أيضًا».

تنهَّد إستريجُبور، ورفع عينيه إلى السماء، حيث كان قوس قزح لا يزال يشع بألوان شتَّى في لوحة بديعة.

- كنت موافقًا على عزلها وحسب، لكن الأميرة قررت خلاف ذلك. أرسلتِ الصغيرةَ إلى الغابة مع صياد، قاطع طريق مأجور. وجدناه لاحقًا في الأدغال. لم نره مرتديًا بنطالًا، لذا لم يكن صعبًا إعادة سير الأحداث. لقد غرزتْ دبوسَ بروش في دماغه، من خلال أذنه، على الأرجح حينما كان انتباهه منشغلًا بشيء آخر تمامًا.

تمتم جيرالت: «إذا كنت تعتقد أنني أشعر بالأسف تجاهه، فأنت مخطئ».

تابع إستريجُبور: «نظمنا عملية مطاردة، لكننا فقدناه بعد تتبع أثر صغير. أما أنا، فاضطررت إلى مغادرة كريدين في عجلة من أمري، لأن فريديفالك بدأ يشك في شيء ما. لم أتلقَّ أخبارًا من أريديا إلا بعد أربع سنوات. لقد تعقبتُ الصغيرةَ، التي كانت تعيش في ماهاكام مع سبعة أقزام، أقنعتهم بأن سلب التجار في الطرق أكثر ربحًا من تعفير الرئتين في المنجم. كان اسمها الشائع «الدقنوشة»[1]، لأنها كانت تحب أن تدق الذين تقبض عليهم أحياء على أوتاد حادة الأطراف. استأجرت أريديا قتلة عدة مرات، لكن لم يعد أحد منهم. بعد ذلك، كان من الصعب العثور على راغب في هذا العمل، وصارت الصغيرة مشهورة جدًّا. لقد تعلمت أن تفعل بالسيف أشياء لا يمكن إلا لقليل من الرجال أن يستطيع مواجهتها فيها. وإذ استدعوني، جئت سرًّا إلى كريدين، لكي أعلم أن شخصًا ما قد سمَّم أريديا، وحسب. وقد ساد الاعتقاد أن ذلك الشخص هو

(1) الدقنوش، طائر يأكل فرائسه بعد أن يغرز أجسادها على شوكة أو أي شيء حاد، ثم يبدأ بتمزيق لحمها، وأكلها بمنقاره الحاد.

فريديفالك نفسه الذي وضع نصب عينيه زواجًا غير متكافئ بامرأة أصغر سنًّا وأنضر جسدًا، لكنني أعتقد أن الفاعل هي رينفري».

- رينفري؟

- هكذا كان اسمها. قلت لك، إنها سمَّمت أريديا. بعد ذلك بوقت قصير، لقي الأمير فريديفالك مصرعه في حادث صيد غريب، أما ابن أريديا الأكبر، فاختفى دون أن يترك أثرًا. ولا بدَّ أن يكون هذا أيضًا من فعل الصغيرة. أقول «الصغيرة»، لكنها كانت حينئذ في السابعة عشرة من عمرها. وقد تضخمت تضخمًا معتبرًا.

استأنف الساحر بعد لحظة توقف: «وقتئذٍ، هي وأقزامها، صاروا مصدر رعب لماهاكام بأكملها. بيد أنهم في أحد الأيام تخاصموا على شيء ما، لا أعرف، إن كان على تقسيم ما نهبوه، أم على ترتيب توالي ليالي الأسبوع، وزادوا أن تناحروا بالسكاكين. لم تنجُ سباعية الأقزام وقت المحاسبة بالسكاكين. نجت الدقنوشة فقط. هي وحدها. لكنني كنت، في ذلك الوقت، قد صرتُ في المنطقة. التقينا وجهًا لوجه: عرفتني في لمح البصر واهتدتْ إلى إدراك الدور الذي أديته، حينذاك، في كريدين. أقول لك، يا جيرالت، كدت لا ألحق أن ألقي التعويذة، وكانت يداي ترتجفان ارتجافًا لم أعهده قط، عندما طارت هذه القطة الوحشية منقضة عليَّ بالسيف. حشرتُها في مجسم ناعم من البلور الصخري، ستة أذرع في تسعة. وعندما أخذها السُّبات، ألقيت بالمجسم في منجم الأقزام وطمرتُ ثقب السرداب».

علَّقَ جيرالت: «عمل خائب. كان هذا السحر ممكنًا فكه. ألم تستطع حرقها على الخَبَث المصهور؟ فأنتم حتمًا تعرفون الكثير من التعاويذ الظريفة».

- ليس أنا. هذا ليس تخصصي. لكنك على حق، أديتُ عملًا خائبًا، غير متقن. فقد وجدها أمير معتوه، وأنفق الكثير من المال على تعويذة مضادة، وفك عنها السحر، وحملها مظفرًا بالنصر إلى منزله، إلى مملكة نائية في الشرق. بدا والده، وهو قاطع طريق عجوز، أكثر تعقلًا. ضرب ابنه، وقرر أن يستفسر الدقنوشة عن الكنوز التي سلبتها، هي والأقزام، وأخفتها بحرص. كان الخطأ الذي ارتكبه هو أن ابنه الأكبر كان حاضرًا معه، عندما مُدِّدَتْ عارية على دكة الجلاد. وبطريقة ما، حدث في اليوم

التالي أن أصبح هذا الابن الأكبر نفسه، وقد صار يتيمًا وليس له أشقاء، يحكم تلك المملكة، وتولت الدقنوشة منصب المحظية الأولى.

- يعني، هي ليست بشعة.

- إنها مسألة ذوق. لم تدمْ محظيةً مدة طويلة، حتى الانقلاب الأول في القصر، وهذا التعبير للمبالغة فقط، لأن ذاك القصر بدا أشبه بحظيرة بقر. وسرعان ما اتضح أنها لم تنسني. نفَّذت ضدي، في كوفير، ثلاث هجمات غادرة لاغتيالي. فقررت أن لا أخاطر، وأن أنتظر في بونتار[1]. وجَدَتْني مرة أخرى. هربتُ هذه المرة إلى أنجرين، لكنها وجَدَتْني هناك أيضًا. لا أعرف كيف كانت تفعل ذلك، فأنا أمحو جيدًا ما يبقى من أثر خلفي. لا بدَّ أن يكون هذا من خصائص طفرتها.

- ما منعك من تحويلها بالسحر إلى بلور من جديد؟ تأنيب الضمير؟

- لا. لم يكن لديَّ مثل ذلك. ولكن، اتضح أنها أصبحت عصيَّة على السحر.

- هذا غير ممكن.

- ممكن. يكفي أن تكون لديك أداة سحرية مناسبة أو هالة. أو ربما، نسبيًّا، قد يكون ذلك مرتبطًا بطفرتها التي تتطور. هربتُ من أنجرين، واختبأتُ هنا في وكوموجي[2]، في بالفيكين. خيَّم عليَّ الهدوء عامًا كاملًا، لكنها راحت تتعقب أثري من جديد.

- كيف علمتَ بذلك؟ أهي الآن في البلدة؟

رفع الساحر عصاه: «نعم. رأيتها في البلور. ليست وحيدة، إنها تقود عصابة، وهذه علامة أنها تستعد لشيء مهم. جيرالت، لم يبق أمامي مكان أهرب إليه، ولا أعرف مطرحًا أختبئ فيه. أجل. إن وصولك إلى هنا في هذه اللحظة بالذات، لا يمكن أن يكون مصادفة. إنه قدر مُقدَّر».

رفع الويتشر حاجبيه.

- ماذا تقصد؟

- أظن أن الأمر شديد الوضوح. ستقتلها.

---

(1) بونتار: حسب عالم الويتشر، هو نهر يجري عند حدود ريدانيا وتيميري وكذلك عند أيدرين وكايدفين.

(2) وكوموجي: بلد في شمالي ريدانيا فيه مدينة بلافيكين.

- لستُ سفاحًا مرتزقًا، يا إستريجُبور.
- أنت لست سفاحًا، حسنًا موافق.
- أقتل المسوخ مقابل المال. الوحوشَ التي تهدد الناس. المخلوقاتِ المخيفةَ التي تستدعيها الأسحار، والتعاويذ، من صنع أمثالك. ولا أقتل الناس.
- هي ليست بشرًا. إنها تحديدًا وحش، طافر، متحول لعين. جلبتَ كيكيمورا إلى هنا. الدقنوشة أسوأ من كيكيمورا. كيكيمورا تقتل بدافع الجوع، أما الدقنوشة فمن أجل المتعة. اقتلها، وسأدفع لك أي مبلغ تطلبه. يعني، في حدود المعقول.
- قد حدثتك أنني أرى حكاية طفرة ليليث ولعنتها مجرد هراء. لدى الفتاة أسباب للثأر منك، لن أتدخل في هذا. توجه إلى العمدة، وإلى حرس المدينة. أنت ساحر محلي، يحميك القانون المحلي.

انفجر إستريجُبور: «أبصقُ على القانون، وعلى العمدة، وعلى مساعدته! لستُ في حاجة إلى حماية، أريدك أن تقتلها! لن يدخل أحد هذا البرج، أنا هنا آمنٌ تمامًا. لكن ماذا أجني من هذا، لا أنوي الجلوس هنا حتى نهاية أيامي. لن تستسلم الدقنوشة ما دمتُ حيًّا، أعلمُ ذلك. أعليَّ أن أجلس في هذا البرج، وأنتظر الموت؟».

- هنَّ كنَّ يجلسن. أتعلم ماذا، أيها الساحر؟ كان لا بدَّ من ترك مطاردة الفتيات لسحرة آخرين أشد سطوة، وكان لا بدَّ من التنبؤ بالعواقب.
- أرجوك، يا جيرالت.
- لا، يا إستريجُبور.

صمت الساحر. لم تتحرك الشمس غير الحقيقية في السماء غير الحقيقية، نحو نقطة السمت، لكنَّ الويتشر كان يعلم أن الغسق في بلافيكين قد حلَّ. شعر بالجوع.

قال إستريجُبور: «جيرالت، عندما استمعنا إلى إلتيبالد، كان لدى الكثيرين منَّا شكوك. لكننا قررنا اختيار أهون الشرَّين. الآن أطلب منك خِيارًا مشابهًا».

قال الويتشر بجدية، وهو ينهض: «الشر شر، يا إستريجُبور. أهون، أم أصعب، أم متوسط، كله واحد. النسب يُتفق عليها، والحدود ملتبسة. أنا لست

ناسكًا قديسًا، ولم أفعل الخير وحده في حياتي. لكن، إن كان عليَّ أن أختار بين شر وآخر، فإنني أفضل عدم الاختيار على الإطلاق. حان وقت ذهابي. إلى اللقاء غدًا».

قال الساحر: «ربما. إن كنتَ ستتمكن من اللحاق».

3

كان «الجوسق الذهبي»، نُزُل البلدة الأنيق، مزدحمًا وضاجًّا بالأصوات. وكان الضيوف، محليين ووافدين، منشغلين معظمهم بأعمال نموذجية لمصلحة قومهم أو مهنتهم. والتجار الجادون يتنازعون والأقزام على سعر البضائع وفوائد الائتمان. في حين كان التجار الأقل جدية يقرصون الفتيات من أردافهن، وهنَّ يحملن الجعة والكرنب مع البازلاء. وكان الأغبياء يتظاهرون بأنهم مطلعون جيدًا على كل شيء. وجهدت البغايا أن يَحُزْنَ إعجاب أصحاب المال، وبالمقابل سَعينَ إلى تنفير أولئك الذين لا يملكون النقود. كان سائقو العربات والصيادون يشربون، كما لو أن حظر زراعة حشيشة الدينار[1] سيصدر غدًا. وكان البحارة يغنون أغنيات تمجِّد أمواج البحر، وشجاعة القباطين، وسحر حوريات البحر، وهؤلاء الأخيرات وُصِفْن بأسلوب بديع، وبالتفصيل.

قال كالديمين لصاحب الحانة، وهو ينحني فوق النضد ليكون مسموعًا وسط الضجيج: «هيا أجهد ذاكرتك، يا آمر السَّرية. ستة رجال وصبيَّة، يرتدون جلدًا أسود مرصعًا بالفضة، على الطراز النوفيجرادي. رأيتهم عند بوابات رسوم الطرق. هل نزلوا عندك، أم في خان 'تحت التونة'؟».

جَعَّد صاحب الحانة جبهته البارزة، وهو يمسح قدحًا كبيرًا بمئزره المخطط.

---

(1) حشيشة الدينار، أو الجنجل: تصنع منها البيرة.

وأخيرًا قال: «هنا أيها العمدة. حكوا أنهم جاؤوا قاصدين السوق الموسمية، وجميعهم معهم سيوف، حتى البغيُّ نفسها. أسود، كما قلتم، كان لباسهم».

هز العمدة رأسه: «طيب. أين هم الآن؟ أنا لا أراهم هنا».

- في الحجرة الملحقة الصغرى. دفعوا ذهبًا.

قال جيرالت: «سأذهب وحدي. ما من داعٍ لنجعل من ذلك، على الأقل الآن، قضية رسمية في حقهم جميعًا. سأقتادها إلى هنا».

- ربما هذا جيد. لكن انتبه، لا أريد مشاجرة هنا.

- سأنتبه.

راحت أغنية البحارة، نظرًا إلى تشبعها المتزايد بالكلمات المقززة، تقترب من الخاتمة العظيمة. أزاح جيرالت الستارة قليلًا، وكانت تحجب مدخل الحجرة الملحقة، متصلبة ولزجة من الوسخ.

جلس ستة رجال إلى طاولة الحجرة. تلك التي توقع وجودها، لم تكن بينهم.

صرخ من لاحظه أولًا، وكان أصلع، ووجهه كان مشوهًا بندبة تمتد عبر حاجبه الأيسر، وجسر أنفه، وخده الأيمن: «ماذا؟».

- أريد أن أرى الدقنوشة.

من وراء الطاولة، انتصب شخصان متطابقَا الهيئة، ووجهاهما ثابتان، كاملَا الشبه، وشعرهما أشقر، وأشعث، يصل حتى الكتفين، وزياهما متطابقان، ضيقان، من جلد أسود، يلمع بزركشة فضية. وبحركات موحدة، رفع التوأمان عن النضد سيفين من شكل واحد.

قال الرجل ذو الندبة، وقد وضع مرفقيه على الطاولة: «اهدأ، يا فير. اجلس، يا نِمير. مَن، قُلتَ، تريد أن ترى يا أخي؟ من الدقنوشة هذه؟».

- أنت تعرف جيدًا، مَن أقصد.

سأل متين البنية، العاري نصفه، المتعرِّق، المشدود بأحزمة على هيئة صليب، إلى جانب واقيات شائكة على ساعديه: «من هذا الشخص؟ هل تعرفه، يا نوهورن؟».

قال الرجل ذو الندبة: «لا أعرفه».

قهقه الرجل النحيف، ذو الشعر الداكن، الجالس بجوار نوهورن. الملامح الناعمة، والعينان السوداوان الكبيرتان، والأذنان الحادتان عند نهايتيهما، كل ذلك يشي، بطريقة لا يمكن أن تخطئ، أنه نصف إلف: «إنه واحد من المُهْق. أمهق، طافر، فلتة من فلتات الطبيعة. عجيب أن يُسمَح أيضًا لمثل هؤلاء بدخول هذه الحانات إلى جانب الناس المحترمين».

قال المتين المربوع، الملوَّح بسمرة من الشمس، مجدول الشعر بضفيرة، وهو يقيس جيرالت بنظرة شريرة من عينين شبه مغمضتين: «لقد رأيتُه في مكان ما، من قبل».

قال نوهورن: «لا يهم أين رأيته، يا تافيك. فلتسمع يا أخي. لقد أهانك سيفريل، قبل لحظة، إهانة فظيعة. ألا تتحداه؟ يا لها من أمسية مملة».

قال الويتشر بهدوء: «لا».

- وأنا، إن سكبتُ حساء السمك هذا على دماغك، أستتحداني؟

قهقه ذلك الذي كان عاريًا حتى الخصر.

قال نوهورن: «اهدأ، يا خامس عشر. لقد قال لا، يعني لا. حتى الآن. حسنًا، يا أخي، قل، ما لديك من الكلام، وانقلع. لديك الفرصة لتنقلع وحدك. إن لم تستغلها، فسيطردك الخدم».

- ليس لديَّ ما أقول لك. أريد أن أرى الدقنوشة. رينفري.

تلفت نوهورن إلى أصحابه: «سمعتم، يا شباب؟ هو يريد أن يرى رينفري. لكن، لأي غرض يا أخي، ممكن أن نعلم؟».

- غير ممكن.

رفع نوهورن رأسه، ونظر إلى التوأمين، في حين تحركا خطوة إلى الأمام، مع قرقعة الأبازيم الفضية لحذائيهما العاليين.

فجأة قال الرجل ذو الجديلة: «عرفتُ. الآن قد عرفتُ أين رأيته!».

- بماذا تتأتئ هناك، يا تافيك؟

- أمام منزل العمدة. جلب تنينًا، أو شيئًا من هذا القبيل، هجينًا من عنكبوت وتمساح، للاتجار به. حكى الناس أنه من معشر الويتشر.

نطق ذاك العاري، سائلًا الخامس عشر: «وما يكون الويتشر هذا؟ ها؟ يا سيفريل؟».

قال نصف الإلف: «ساحر مأجور. مشعوذ مقابل حفنة من نقود فضية. لقد قلتُ، إنه فلتة من فلتات الطبيعة. إهانة لحقوق الناس والرب. يجب حرق أمثال هؤلاء».

جلجل تافيك، دون أن يرفع عينيه شبه المغمضتين عن جيرالت: «نحن لا نحب السحرة. يخيل إليَّ، يا سيفريل، أنه سيكون لدينا، في هذه المنطقة النائية، من العمل أكثر مما اعتقدنا. يوجد أكثر من واحد منهم هنا، ومن المعروف أنهم دائمًا يقفون معًا في صف واحد».

ابتسم الهجين ابتسامة خبيثة: «القريب يشد قريبه إليه. عجيب أن الأرض أيضًا تحمل كائنات من أمثالك. من صُلب مَن خرجتم، يا غريبي الأطوار؟».

قال جيرالت بهدوء: «مزيدًا من التسامح، لو تكرمت. حسب ما أرى، فقد كان على أمك أن تسير، في أحايين كثيرة، وحدها عبر الغابة، لكي تكون لديك أسباب للتفكر في حقيقة أصلك».

أجاب نصف الإلف، دون أن يكف عن الابتسام: «ممكن. لكنني على الأقل كنت أعرف والدتي. أنت، كونك ويتشرًا، لا يمكنك أن تقول ذلك عن نفسك».

امتقع جيرالت قليلًا وزمَّ شفتيه. ضحك نوهورن الذي لم يتشتت انتباهه، بصوت عالٍ.

- حسنًا، يا أخي، لا يمكنك أن تتسامح مع مثل هذه الإهانة وتدعها تمر. هذا الذي على ظهرك يشبه السيف. إذن، ماذا؟ أستخرج أنت وسيفريل إلى الفناء؟ يا لها من أمسية مملة.

لم يحرك الويتشر ساكنًا.

هدر تافيك: «جبان يغوص في البراز».

واصل نوهورن برتابة، متكئًا بذقنه على راحتي يديه المتشابكتين: «ماذا قال عن والدة سيفريل؟ شيئًا غاية في البشاعة، كما فهمت. قال إنها كانت تنقاد بسهولة أو شيء من هذا القبيل. هيه، يا خامس عشر، هل من اللائق الاستماع لشخص لا يُعرَف أصله من فصله يهين أمَّ رفيقك؟ الأم، اللعنة على أمه، مقدسة!».

وقف خامس عشر متلهفًا، انتزع سيفه، وقذفه على الطاولة. نفخ صدره، وعدل واقيات الساعد المغطاة بالدبابيس الفضية الحادة، ثم بصق وخطا خطوة إلى الأمام.

قال نوهورن: «إن كان لديك أي شك، فإن خامس عشر يطلبك الآن لتنازله بقبضات الأيدي. قلت لك إنهم سيطردونك من هنا. افسحوا المجال».

اقترب خامس عشر، رافعًا قبضتيه. وضع جيرالت يده على مقبض سيفه.

قال: «حذارِ. خطوة أخرى وستبحث عن يدك في الأرضية».

هبَّ نوهورن وتافيك، وأمسكا بسيفيهما. حافظ التوأمان الصامتان على حركاتهما المتطابقة. تراجع خامس عشر. وحده سيفريل لم يتحرك.

- ما الذي يحدث هنا، لا أمَّ لكم؟ ألا يمكن ترككم وحدكم لحظة واحدة؟

استدار جيرالت ببطء شديد، ونظر إلى عينين بلون مياه البحر.

كانت تضاهيه، تقريبًا، بطول قامتها. بدا شعرها الذي كان بلون القش، مقصوصًا بنهايات غير متساوية، تكاد تصل إلى أسفل أذنيها. وقفت مستندة بإحدى يديها إلى الباب، مرتدية قفطانًا مخمليًّا، ضيقًا، مشدودًا بحزام زينة. كانت تنورتها غير متساوية الأطراف وغير متناظرة، على الجهة اليسرى تصل إلى بطة الرِّجل، وعلى اليمنى تكشف عن فخذ قوية، فوق رقبة البسطار المصنوع من جلد الموظ. على جنبها الأيسر سيف، وعلى الأيمن خنجر على مقبضه ياقوتة كبيرة.

- أصابكم الخرس؟

همهم نوهورن: «إنه ويتشر».

- وماذا في ذلك؟

- أراد التحدث إليك.

- وماذا في ذلك؟

زعق خامس عشر: «إنه ساحر!».

هدر تافيك: «نحن لا نحب السحرة».

قالت الفتاة: «اهدؤوا يا شباب. هو يريد التحدث إليَّ، وهذه ليست جريمة. أنتم استمرُّوا في لهوكم. لكن دون مشاجرات. غدًا يوم السوق. أظن أنكم لا

تريدون أن تُشوِّش فلتاتُكم السوقَ الموسمية، هذا الحدث المهم جدًّا في حياة هذه البلدة الطيبة، أليس كذلك؟».

وإذ خيم الصمت، سُمِعَتْ قهقهة خافتة قميئة. ضحك سيفريل الذي كان لا يزال مرتميًا على المقعد بلا مبالاة.

شهق الهجين: «فليكن ما يكون، يا رينفري. الحدث... المهم!».

- اخرس، يا سيفريل. فورًا.

كفَّ سيفريل عن الضحك. فورًا. جيرالت لم يستغرب. رنَّ في صوت رينفري شيء غريب جدًّا. شيء يستدعي مشهد انعكاس ضوء الحريق الأحمر على النصال، ويستدعي عويل المقتولين، وصهيل الخيول، ورائحة الدم. لا بدَّ أن تبدو للآخرين مشاهد مماثلة تُستدعى، فالشحوب غطى حتى وجه تافيك المُلوح بسمرة الشمس.

- قطعت رينفري الصمت: «حسنًا، يا ذا الشعر الأبيض. فلنذهب إلى الغرفة الكبرى، وننضم إلى العمدة، الذي أتيتَ معه إلى هنا. لعله يريد التحدث إليَّ أيضًا».

قطع كالديمين الذي كان ينتظر عند النضد حديثه الخافت مع صاحب النُّزل عندما رآهما، واعتدل، وشبك يديه على صدره.

قال بحزم دون أن يضيع الوقت في تبادل المجاملات المبتذلة: «اسمعوا، يا سيدتي. أعرف من هذا الويتشر من ريفيا، ما الذي يدعوكم إلى المجيء إلى بلافيكين. يبدو أنكم تضمرون العداء لساحرنا».

سألتْ رينفري بصوت خافت، ولكن أيضًا بنبرة ليست مؤدبة كثيرًا: «ربما. وماذا لو كان كذلك؟».

- وماذا عن أن المحاكم البلدية أو الابتدائية تكون لمثل هذه المشاحنات. من يريد عندنا في وكوموجي الثأر، وبالتحديد من مشاحنة ما، يُنظَر إليه على أنه قاطع طريق عادي. وأكثر من ذلك، إما أن تغادروا بلافيكين في الصباح الباكر مع مجموعة صحبكم السوداء، وإما ألقي بكم في حفرة، وقا... كيف تُقال هذه الكلمة، يا جيرالت؟

- وقايةً.

- بالضبط. فهمتِ، يا آنسة؟

مدت رينفري يدها إلى كيس نقود على حزامها، وأخرجت رقًّا مطويًّا عدة لفات.

- اقرؤوا هذا بأنفسكم، يا عمدة، إذا كنتم تجيدون القراءة والكتابة. ولا تقولوا لي مرة أخرى: «يا آنسة».

أخذ كالديمين الرق، وقرأه لحظات طويلة، ثم ناوله جيرالتَ دون أن ينبس بكلمة.

قرأ الويتشر بصوت مسموع:

- «إلى أمناء مجلسي، والتابعين لي، ورعاياي الأحرار. أعلن للقاصي والداني، أن رينفري، أميرة كريدين، في خدمتنا تظل، ونحن راضون عنها، وإذا تعرض لها بالسوأ أحد، حلَّ عليه غضبنا. أودون، الملك...».
إن كلمة «سوء» تكتب بطريقة مختلفة. لكن الختم يبدو حقيقيًّا.

قالت رينفري وهي تخطف منه الرق: «لأنه حقيقي. وضعه أودون، سيدكم الرحيم. لذلك، لا أنصح بالتعرض لي بالسوء. بصرف النظر عن طريقة كتابة الكلمة، فالعواقب يمكن أن تكون وخيمة عليكم. لن تلقوا بي في الحفرة، يا حضرة العمدة. ولن تخاطبوني بـ 'يا آنسة'. أنا لم أخرق أي قانون. حتى الآن».

بدا كالديمين وكأنه يريد أن يبصق: «إذا خرقتِ ولو بمقدار شبر، فسأزج بك أنت، وهذا الرَّق، في الزنزانة. أقسم بكل الآلهة، يا آنسة. جيرالت، تعال».

رينفري لمست ذراع جيرالت: «بقي لي معك أيها الويتشر، كلمة أخرى».

ألقى العمدة كلامه من فوق كتفه: «لا تتأخر عن العشاء، وإلا فستنفجر ليبوشي غضبًا».

- لن أتأخر.

اتكأ جيرالت على النضد. وإذ كان يلعب بميدالية فم الذئب، المدلاة على رقبته، حدق إلى عيني الفتاة ذواتَي اللون الأزرق الأخضر.

قالت: «سمعتُ عنك. أنت جيرالت من ريفيا، الويتشر ذو الشعر الأبيض. هل إستريجُبور صديقك؟».

- لا.

- هذا ما يبسط الأمر.

- ليس كثيرًا. ليست لديَّ النية لأمعن في الأمر بهدوء.

ضاقت عينا رينفري.

قالت بصوت خفيض، وهي تزيح عن جبينها شعرها المقصوص قصًّا غير متساوٍ: «إستريجُبور سيموت غدًا. أهون الشرين سيكون، إن مات وحده فقط».

- إن مات، أو الصحيح، قبل أن يموت إستريجُبور، سيموت بضعة أشخاص آخرين. لا أرى إمكانية أخرى.

- بضعة، أيها الويتشر، هذا قول متواضع.

- تحتاجين إلى شيء أكثر من الكلام لتخيفيني، أيتها الدقنوشة.

- لا تناديني بالدقنوشة. لا أحب ذلك. في واقع الحال، أنا أرى إمكانات أخرى. الأمر يستحق المناقشة، لكن ما العمل، ليبوشي تنتظر. أهي جميلة على الأقل، ليبوشي هذه؟

- أهذا كل ما ينبغي لك أن تقوليه لي؟

- لا. لكن اذهب الآن. ليبوشي تنتظر.

4

أحد ما كان في علية مسكنه الصغير. عرف جيرالت ذلك، حتى قبل أن يقترب من الباب، وتعرَّفَه من خلال اهتزازات الميدالية التي لا يمكن إدراكها إلا بمشقة. أطفأ المصباح الذي كان يضيء به الدرج حوله. أخرج خنجرًا من داخل ساق حذائه، ودسَّه خلف حزامه من الخلف. ضغط مقبض الباب. ساد الظلامُ المَسكنَ. لكن، ليس أمام عيني الويتشر.

اجتاز العتبة ببطء متعمد، وهدوء، وأغلق الباب خلفه متمهلًا. في الثانية التالية وثب، بارتداد شديد، وثبة طويلة، وهوى على الشخص الجالس على سريره، ضغطه على الملاءات، ودس ساعده الأيسر تحت ذقنه، مد يده إلى الخنجر. ولم يخرجه. يوجد شيء غريب هنا.

قالت بصوت مكتوم، وهي ممددة تحته دون حراك: «بداية لا بأس بها. كنت أتوقع ذلك، لكنني لم أكن أظن أننا سنكون كلانا معًا في السرير بهذه السرعة. ارفع يدك عن حلقي لو تكرمت».

- هذه أنت.
- هذه أنا. اسمع، ثمة خياران. أولهما: ستنزل عني ونتحدث. ثانيهما: نبقى في هذه الوضعية، لكنني أود أن أخلع حذائي على الأقل.

اختار الويتشر الخيار الأول. تنهدت الفتاة، وقفت، ورتبت شعرها وتنورتها.

قالت: «أشعل الشمعة. لا أستطيع أن أرى في العتمة، كما أنت ترى، وأحب رؤية محدثي».

اقتربت من الطاولة، طويلة، نحيلة، رشيقة، وجلست مادَّةً ساقيها أمامها بحذاء عالٍ. لم يكن معها أي سلاحٍ يرى.

- هل لديك هنا ما يشرب؟
- لا.

ضحكت، وهي تضع على الطاولة قربة سفرية وكوبين من الجلد: «على أي حال، حسنٌ أنني جلبت هذا معي».

قال جيرالت ببرود: «إننا نقترب من منتصف الليل الآن. لعلنا ندخل في الموضوع؟».

- لحظة. خذ، اشرب. في صحتك يا جيرالت.
- بالمثل، يا دقنوشة.

خطفت رأسها إلى الأعلى: «اسمي رينفري، لا أمَّ لك. سأسمح لك أن تتجاوز لقبي الأميري، لكن كُفَّ عن مناداتي بدقنوشة!».

- اخفضي صوتك، ستوقظين المنزل كله. هل لي أن أعرف أخيرًا، لأي غرض تسللتِ إلى هنا عبر النافذة؟
- يا لكَ من ثقيل الفهم، يا ويتشر. أريد أن أنقذ بلافيكين من المذبحة. لقد تسلقتُ أسطح المنازل، مثل قطة في شهر فبراير، من أجل أن أداولك هذا الأمر، فلتقدِّرْ ذلك.

قال جيرالت: «أقدِّر ذلك. لكني لا أعرف ما يمكن أن تقدم محادثة كهذه. الوضع واضح، إستريجُبور قاعد في برج السحرة، ولكي تحصلي عليه، لا بدَّ من أن تحاصريه هناك. إن فعلتِ ذلك، فلن تساعدكِ رسالتك الحديدية. ولن يحميكِ أودون، إذا خرقتِ القانون علانية. والعمدة، والحرس، وبلافيكين كلها، سيقفون في وجهك».

ابتسمت رينفري، مبرزة أسنانها البيض المفترسة: «بلافيكين كلها، إذا وقفت في وجهي، ستندم بشدة. هل أمعنت النظر في فتياني؟ أؤكد لك أنهم يعرفون حرفتهم جيدًا. هل تتخيل ماذا سيحدث إذا وصل الأمر إلى حد القتال بينهم وبين أولئك المغفلين من الحرس، الذين في كل خطوة يتعثرون بأطبارهم[1]؟».

- وأنتِ، يا رينفري، هل تتصورين أنني سأقف وأشاهد بهدوء معركة كهذه؟ كما ترين، فأنا أسكن عند العمدة. وعند الحاجة سأقف إلى جانبه.

بدت رينفري جادة: «وليس لديَّ شك، أنك ستفعل ذلك. لكن ربما ستكون وحدك، لأن الباقين سيُدفَنون في الأقبية. لا يوجد في العالم محارب في وسعه أن يتمكن من هؤلاء السبعة ومعهم سيوفهم. لا أحد يستطيع فعل ذلك. لكن يا ذا الشعر الأبيض، دعنا نكفُّ عن أن يخيف بعضنا بعضًا. قلتُ: المذابح وإراقة الدماء يمكن تجنبها. وعلى وجه التحديد، يوجد شخصان يمكنهما أن يتجنباها».

- كُلِّي آذان صاغية.

قالت رينفري: «أحدهما، هو إستريجُبور نفسه. سيخرج من برجه طواعية، وسآخذه إلى مكان ما مقفر، فتغرق بلافيكين من جديد بنعيم اللامبالاة، وبسرعة ستُنسَى القضية برمتها».

- قد يبدو إستريجُبور مخبولًا، لكن ليس إلى هذه الدرجة.

(1) الطَّبَر: نوع قديم من السلاح يشبه الفأْس.

- من يدري، أيها الويتشر، من يدري. ثمة حجج لا يمكن دحضها، وثمة مقترحات لا يمكن رفضها. من بينها، على سبيل المثال، المهلة التريدامية[1]. سأحدد للساحر مهلة تريدامية.

- إلامَ تستند هذه المهلة؟

- هذا سري الحلو.

- ليكن ما تريدين. بيد أنني أشك في فعَّاليتها. إن أسنان إستريجُبور ترن عندما يتحدث عنك. يجب أن تكون المهلة التي من شأنها أن تجعله يسلم نفسه طواعية ليديك الحلوتين، معتبرة حقًّا. فلننتقل، إذن، إلى الشخص الثاني، الذي يمكنه تجنب المذابح في بلافيكين. سأحاول أن أحزر مَن يكون.

- فطنتُك تثير فضولي، يا ذا الشعر الأبيض.

- ذاك الشخص أنتِ، يا رينفري. أنتِ وحدكِ. ستُظهرين أريحية أميرية حقًّا، ماذا أقول، بل أريحية ملكية، وستمتنعين عن الانتقام. هل حزرتُ؟

ألقت رينفري رأسها إلى الخلف، وضحكت بصوت عالٍ، مغطية فمها بيدها في الوقت المناسب. ثم بدت جادة، وركزت عينيها اللامعتين على الويتشر.

قالت: «جيرالت، لقد كنتُ أميرة، لكن في كريدين. كنت أحصل على كل ما كنت أحلم به، ولم أكن أحتاج حتى إلى السؤال. كان الخدم تحت تصرفي، والثياب، والأحذية. السراويل الداخلية من القماش الرقيق الشفاف. الجواهر والحُلي، فرس قزم بلون الكميت، سُميكات ذهبية في حوض خاص. دُمى وبيت لها أكبر من مسكنك هذا، هنا. وهكذا كان الحال حتى اليوم الذي أمر فيه صاحبك إستريجُبور، وتلك العاهرة أريديا، أحد الصيادين بأن يأخذني إلى الغابة، ويذبحني ثم يحضر لهما قلبي وكبدي. رائع، أليس كذلك؟».

- لا، بل بشع. يبهجني أنكِ، حينئذ، تمكنتِ من الصياد، يا رينفري.

- لم أتمكن حتى من الخراء. لقد أشفقَ عليَّ، وتركني أذهب. لكنه اغتصبني قبل ذلك، ابن العاهرة، وسلبني بعض الأقراط، وتاجًا ذهبيًّا صغيرًا.

نظر جيرالت إلى عينيها رأسًا، وهو يلهو بالميدالية. لم تخفض بصرها.

---

(1) نسبة إلى مدينة تريدام المتخيلة.

تابعتْ: «كانت تلك نهاية الأميرة الصغيرة. الفستان تمزق، القماش الشفاف فقد بياضه بلا رجعة. ثم كان الوسخ، والجوع، والرائحة الكريهة، والعِصيّ والركلات. وتقديم النفس لأي قذر من أجل صحن حساء، أو مأوى للنوم. أتعرف كيف كان شَعري؟ مثل الحرير، وكان يصل إلى ما تحت مؤخرتي، بطول ذراع كامل. عندما أُصِبْتُ بالقمل، قصوه لي إلى حد الجلد بمقص لجز الأغنام. ولم يعد ينمو، بعد ذلك، على نحو صحيح».

سكتت لحظة، وأزاحت الخصلات غير المتساوية عن جبينها.

تابعتْ: «سرقتُ حتى لا أفطس من شدة الجوع. قَتَلتُ حتى لا أُقْتَلُ. جلست في زنازين تفوح منها رائحة البول، ولم أكن أعرف ما إن كنت سأُشنق في اليوم التالي، أو فقط سأُجلَد وأُرحَّل بعيدًا. وطوال هذا الوقت، كانت زوجة أبي وساحرك يدوسانني حتى أخمص قدمي، ويرسلان خلفي القتلة، ويحاولان تسميمي. وكانا يلقيان التعاويذ ضدي. أفأظهرُ أريحيتي؟ أأغفر له بطريقة ملكية؟ بطريقة ملكية سأقطع رأسه، وربما رجليه كلتيهما قبل ذلك، وسنرى.

- أريديا وإستريجُبور حاولا تسميمك؟

- أجل. بتفاحة منكَّهة بخلاصة من نبات ست الحسن. وقد أنقذني أحد الأقزام. وأعطاني دواءً مُقَيِّئًا، اعتقدت بعده أنني سأنقلب رأسًا على عقب كجورب. لكنني نجوت.

- وهو كان أحد الأقزام السبعة؟

جمدت رينفري، ومعها قربتها، فوق الفنجان، حالما صبَّت النبيذ.

قالت: «أوه. أنت تعرف الكثير عني. وماذا إذن؟ هل لديك شيء ما ضد الأقزام؟ أو ضد أشباه البشر الآخرين؟ إذا توخيت الدقة، فقد كانوا بالنسبة إليَّ أفضل من معظم الناس. لكن لا ينبغي لك أن تهتم بذلك. قلت لك إن إستريجُبور وأريديا طارداني مطاردة حيوان بري، قدر ما استطاعا. تلاشت، فيما بعد، قدرتهما على ذلك، وأصبحتُ أنا نفسي صيادة. أسلمتْ أريديا حافريها للموت في سريرها، وكانت محظوظة لأنني لم أتمكن منها قبل ذلك، وكان لديَّ برنامج خاص، معدٌّ لها. والآن لديَّ مثله من أجل الساحر. جيرالت، أهو في رأيك يستحق الموت؟ قُلْ».

- أنا لست قاضيًا. أنا ويتشر.

https://t.me/fantazynov

- بالضبط. قلتُ إن ثمة شخصين يمكنهما تجنب إراقة الدماء في بلافيكين. الثاني هو أنت. سيُدخلك الساحر إلى البرج، وعندئذ تقتله.

قال جيرالت بهدوء: «رينفري. هل وقعتِ من على السطح على رأسك في حادث عرضي، وأنت في طريقك إلى مسكني؟».

- أأنتَ ويتشر أم لا، لا أمَّ لك؟ يقولون إنك قتلت كيكيمورا، وجئت بها على ظهر حمار، من أجل تقدير ثمنها. إستريجُبور أسوأ من كيكيمورا التي هي دابة بلا عقل، وتقتل لأن الآلهة خلقتها هكذا. إستريجُبور لا رحمة لديه، مهووس، ووحش. اجلبه لي على متن حمار، ولن يعزَّ عليَّ الذهب.

- لستُ سفَّاحًا مأجورًا. يا دقنوشة.

وافقت مبتسمة. مالت متكئة على مسند الكرسي الخشبي، صالبت ساقيها على الطاولة، ولم تبذل أي جهد لتغطية فخذيها بتنورتها: «أنتَ لست كذلك. إنك الويتشر، المدافع عن الناس الذين تحميهم من الشر. والشر، في هذه الحالة، هما الحديد والنار اللذان سيبدآن في العبث هنا، عندما يقف أحدنا في وجه الآخر. ألا يبدو لك أنني أقترح أهون الشرَّيْن، الحل الأفضل؟ وحتى لابن العاهرة إستريجُبور. يمكنك قتله برحمة، بضربة قاصمة واحدة، مباغتة. سيموت دون أن يعرف أنه يُحتضَر. أما أنا، فلا يمكنني أن أضمن له ذلك. على العكس تمامًا».

صمتَ جيرالت. شدَّت رينفري نفسها رافعة يديها إلى الأعلى.

قالت: «أتفهَّمُ ترددك. لكن لا بدَّ أن أعرف الجواب على الفور».

- هل تعرفين لماذا أراد إستريجُبور والأميرة قتلكِ حينذاك في كريدين، وبعد ذلك؟

اعتدلت رينفري فجأة، وأزاحت ساقيها عن الطاولة.

وانفجرت: «أظن أن الأمر بديهي. أرادا التخلص من ابنة فريديفالك البكر، فقد كنتُ وارثة العرش. كان أطفال أريديا من زواج مرغنطي[1]، ولم يكن لديهما أي حقوق في...».

---

(1) زواج في سياق السلالات الملكية الأوروبية لزوجين من رتبتين اجتماعيتين غير متكافئتين، وهذا ما يمنع مرور ألقاب وامتيازات الزوج إلى الزوجة وأي أبناء يولدون من هذا الزواج، ولا حق فيه للزوجة أو للأبناء لحصة في ممتلكات الزوج.

- رينفري، ليس هذا ما أتكلم عنه.

خفضت الفتاة رأسها، لكن ليس أكثر من لحظة واحدة. برقت عيناها.

- طيب، جيد إذن. عليَّ أن أكون كما لو أني ملعونة. ملوثة في رحم أمي. عليَّ أن أكون...

- أكملي.

- وحشًا.

- وهل أنتِ كذلك؟

خلال لحظة، جد قصيرة، بدت عاجزة ومنكسرة. وحزينة جدًّا.

همست، ومن ثم تصلَّبت ملامحها من جديد: «لا أعرف، يا جيرالت. ومن أين لي أن أعرف، لا أمَّ لك؟ عندما أجرح إصبعي، فإنني أنزف. وأنزف أيضًا كل شهر. عندما ألتهم، تؤلمني معدتي، وعندما أشرب كثيرًا، يؤلمني رأسي. عندما أكون مبتهجة، أغني، وعندما أكون حزينة، أشتم ببذاءة. عندما أكره أحدًا، أقتل، وعندما... آه، هذا يكفي، لا أمَّ لك. الآن جوابك يا ويتشر».

- جوابي هو: «لا».

سألتْ، بعد لحظة صمت: «هل تتذكر ما قلتُ؟ ثمة عروض لا يمكن رفضها، وعواقبها وخيمة. أحذرك بجد، ما عرضته ينتمي إلى مثل هذه العروض. فكِّر جيدًا».

- فكَّرتُ جيدًا. فعامليني بجدية، فأنا أيضًا أحذركِ بجد.

ظلت رينفري صامتة بعض الوقت، وهي تعبث بسلسال من لؤلؤ، ملتف ثلاث مرات حول جِيدها المتناسق، ويتدلى بطريقة مثيرة بين نصفي كرتيها الناعمتين، اللتين يمكن رؤيتهما من خلال فتحة سترتها.

قالت: «جيرالت. هل طلب منك إستريجُبور أن تقتلني؟».

- نعم. يرى أنكِ ستكونين أهون الشرين.

- هل يمكنني أن أوقنَ أنك رفضتَ، كما رفضتَ طلبي؟

- يمكنكِ.

- لماذا؟

- لأنني لا أومن بأهون الشرين.

ابتسمت رينفري قليلًا، ومن ثم اعوجَّت شفتاها بفعل تكشيرتها التي كان ينقصها الجمال كثيرًا، في الضوء الأصفر المنبعث من الشموع.

- أنت تقول، إنك لا تؤمن بذلك. أترى، أنت على حق، لكن جزئيًّا فقط. لا يوجد سوى **الشر والشر الأعظم**، وخلفهما، في الظل، يوجد **الشر العظيم جدًّا**. **الشر العظيم جدًّا**، يا جيرالت، هو شر لا يمكنك حتى تخيله، حتى لو كنت تظن أن لا شيءَ يمكن أن يفاجئك بعد الآن. وكما ترى، يا جيرالت، يحدث أحيانًا أن يمسك بك **الشر العظيم جدًّا** من حلقك، ويقول: «اختر، يا أخي، إما أنا، وإما ذاك، الأقل قليلًا».
- هل لي أن أعرف ما الذي تسعين إليه؟
- لا شيء أسعى إليه. شربتُ قليلًا ورحت أتفلسف، أبحث عن الحقائق العامة. وهأنا وجدتُ واحدة: أهون الشرين موجود، لكننا لا يمكننا أنفسنا أن نختاره. وهذا **الشر العظيم جدًّا** يمكنه أن يجبرنا على مثل هذا الاختيار. سواء أردنا ذلك، أم لم نرده.

ابتسم الويتشر ابتسامة حامضة: «من الواضح أنني لم أشرب ما يكفي من الكحول. ومنتصف الليل، كما هو منتصف الليل، مرَّ في هذه الأثناء. فلننتقل إلى دقائق الأمور. لن تقتلي إستريجُبور في بلافيكين، لن أسمح لكِ بذلك. لن أسمحِ بأن تصل الأمور إلى القتال والمجازر هنا. مرة ثانية أقترح: تخلي عن الانتقام. وكُفِّي عن التفكير في قتله. بهذه الطريقة، ستثبتين له، وليس فقط له، أنك لستِ وحشًا غير إنساني، متعطشًا إلى الدماء، ولستِ طافرًا ومتحولة. ستثبتين له أنه أخطأ. أنه قد آذاكِ أذًى عظيمًا بخطئه».

حدقت رينفري لحظة إلى ميدالية الويتشر، التي كانت تنوس على سلسال يلتف بين أصابعه.

- وإذا قلتُ لك، أيها الويتشر، إنني لا أستطيع أن أغفر، أو أن أتخلى عن الانتقام، فسيكون ذلك بمنزلة اعتراف له، وليس له وحده، بأنه محق، أليس كذلك؟ وبهذا الأمر ذاته، أثبتُ أنني وحش حقًّا، شيطان غير إنساني، لعنَتْه الآلهة؟ اسمع، يا ويتشر. في بداية تشردي، آواني فلاح، مالك أرض حر. أُعجِب بي. ولأنه لم يعجبني إطلاقًا، بل على العكس تمامًا، كان في كل مرة كان يريدني فيها، يضربني إلى حد أنني، في الصباح، لم أكن أتمكن من النزول من السرير البائس إلا بشق الأنفس.

ذات مرة، نهضتُ وكان الظلام لا يزال مخيمًا، واجتززتُ حلق الفلاح. بالمِحشِّ. لم أكن وقتئذٍ ماهرة بعد، كما أنا اليوم، وكانت السكين تبدو لي صغيرة جدًّا لفعل ذلك. انظر، يا جيرالت، بينما كنت أستمع للفلاح، وهو يغرغر ويحشرج، وأنا أرمقه وهو يرفس برجليه، شعرت أن آثار عصاه وقبضتيه لم تعد تؤلمني بتاتًا، وأنني صرت في حالة جيدة، جيدة إلى درجة أنني... غادرتُ وأنا أصفُرُ بمتعة وثقة، وصحتي جيدة، وكنت مبتهجة، وسعيدة. وبعد ذلك، كان الحال نفسه في كل مرة. ولو كان الأمر مختلفًا، فهل كان لأحد أن يضيع وقته في الانتقام؟

قال جيرالت: «رينفري. بصرف النظر عن أسبابك ودوافعك، فلن تغادري من هنا وأنت تصفرين، ولن تصبح حالتكِ جيدة إلى أقصى درجة. لن تغادري مبتهجة وسعيدة، لكنكِ ستغادرين حية. غدًا في الصباح الباكر، كما أمر العمدة. قلت لكِ ذلك من قبل، لكنني سأكرر. لن تقتلي إستريجبور في بلافيكين».

لمعت عينا رينفري في ضوء الشموع، ولمعت اللآلئ في فتحة سترتها، ولمعت الميدالية ذات فم الذئب، وهي تدور على السلسال الفضي.

قالت الفتاة فجأة ببطء، محدقة إلى القرص الفضي الوامض: «أشفق عليك. تزعمُ أن أهون الشرين لا وجود له. تقف في الساحة، على البلاط المغمور بالدم، وحيدًا، متوحدًا جدًّا، لأنك لم تقدر أن تختار. لم تقدر، لكنكَ فعلت. لن تعرف أبدًا، ولن تكون متيقنًا أبدًا، أبدًا، أتسمع... أما أجرك فسيكون حجرًا، وكلمة سيئة. أشفق عليك».

سأل الويتشر بصوت خافت، أقرب إلى الهمس: «وأنتِ؟».

- أنا أيضًا لا أقدر على الاختيار.

- من أنتِ؟

- أنا ما أنا عليه.

- أين أنتِ؟

- أشعر بالبرد...

- رينفري!

ضغط جيرالت على الميدالية في كفه. خطفت رأسها، كما لو أنها استفاقت من حلم، رمشت عدة مرات مستغربة. خلال لحظة، جد قصيرة، بدت خائفة.

قالت فجأة بحدة: «لقد فزتَ. فزتَ، يا ويتشر. سأغادر بلافيكين غدًا صباحًا، ولن أعود أبدًا إلى هذه البلدة الجربانة. أبدًا. صُبَّ، إن تبقى شيء في القارورة».

عادت البسمة الساخرة، والمثيرة، والمعتادة إلى شفتيها، وهي تضع قدحها الفارغ على الطاولة.

- جيرالت؟

- أنا هنا.

- هذا السطح اللعين شديد الانحدار. أفضِّلُ الخروج عند الفجر. في العتمة، يمكن أن أقع وأتكسر. أنا أميرة، جسمي رقيق، إني أحس بحبة بازلاء من تحت فرشة التبن. أو أن الفرشة لم تُحشَ بشكل جيد بالقش، طبعًا. فما رأيك؟

ابتسم جيرالت لا إراديًّا: «رينفري. هل ما تقولين يليق بأميرة؟».

- ماذا تعرف أنت عن الأميرات، لا أمَّ لك؟ كنتُ أميرة، وأعلمُ أن المتعة كاملة تكمن في أن تكون قادرًا على فعل ما تريد. أعليَّ أن أخبركَ بما أريد، دون مواربة، أم إنكَ وحدكَ ستخمن ذلك؟

لم يجب جيرالت، واستمر في الابتسام.

تجهَّمت الفتاة: «لا أريد أن أتقبل حتى فكرة أنني لا أعجبك. أفضِّلُ أن أفترض أن لديك خوفًا يمنعك، كي لا تلقى مصير الفلاح الحر. إيه، يا ذا الشعر الأبيض. ليس معي أي شيء حاد. ولتتحققْ من ذلك، أنت نفسك في النهاية».

وضعت ساقيها على ركبتيه.

- اخلعْ حذائي. فإن ساق الحذاء أفضل مكان لإخفاء السكين.

وقفت حافية القدمين، ونزعت مشبك حزامها.

- أنا لا أخفي شيئًا هنا أيضًا. ولا هنا كما ترى. أطفئ تلك الشمعة اللعينة.

في الخارج، في حلكة الظلام، صرخ قِطٌّ.

- رينفري؟

- ماذا؟
- أليس هذا هو القماش الشفاف؟
- أجل، طبعًا إنه هو، لا أمَّ لك. أميرة أنا، أم لا؟

5

شعرت ماريلكا بالملل المتواصل رتيبًا: «بابا. متى سنذهب إلى السوق الموسمية؟ إلى السوق الموسمية، يا بابا!».

تذمر كالديمين، وهو يمسح صحنه بالخبز: «ماريلكا، اهدئي. إذن، ما تقول، يا جيرالت؟ سينقلعون من البلدة؟».

- نعم.
- حسنًا، لم أظنَّ أن الأمر سيسير بمثل هذه السلاسة. مع هذا الرَّق الذي وضع أوديون ختمه عليه، أمسكوا بي من خِناقي. تظاهرتُ أنني سأفعل شيئًا، لكني في الحقيقة، لم يكن في وسعي أن ألمس شعرة منهم.
- حتى لو خرقوا القانون علانية؟ لقد شرعوا في الاغتصاب، والمعاركة؟
- حتى لو. إن أوديون، يا جيرالت، ملك انفعالي جدًّا، يرسل أيًّا كان إلى منصة المشنقة لأي سبب كان. لديَّ زوجة، وابنة، ووضعي جيد في دائرتي، لست مضطرًّا إلى أن أفكر من أين سأحصل، يوم غد، على الدهن لطبخ الجريش. بكلمة واحدة، جيد أنهم سيغادرون. وكيف حدث ذلك حقًّا؟
- بابا، أبغي السوق الموسمية!
- ليبوشي! خذي ماريلكا من هنا! نعم، يا جيرالت، ما ظننت ذلك. سألتُ قائد المائة، صاحب نُزل «الجوسق الذهبي»، عن جماعة النوفيجراديين هذه. إنهم قطيع عدواني كبير العدد. بعضهم أصبح معروفًا لنا.
- آها؟



- ذاك الشخص، الذي لديه ندبة على وجهه، هو نوهورن، المعاون الإداري القديم لأبيرجارد، ممن يسمى الجماعة الأنجرينية الحرة. هل سمعتَ عن الجماعة الحرة؟ بالتأكيد، واضح، ومن لم يسمع بها. هذا الثور الذي ينادونه باسم خامس عشر أيضًا. حتى لو لم يكن كذلك، لا أظن أن لقبه يأتي من الخمسة عشر عملًا صالحًا التي فعلها في حياته. هذا النصف إلف المسوَّد هو سيفريل، قاطع طريق ومجرم محترف. بالإضافة إلى ذلك، كانت له علاقة ما بمجزرة تريدام.
- أين؟
- في تريدام. ألم تسمع بذلك؟ كان كثير من اللغط عن ذلك ثلاث... نعم قبل ثلاث سنوات، فماريلكا كان لها من العمر عامان. حبس بارون تريدام بعض قطاع الطرق في الزنزانة. استولى رفاقهم، ومن بينهم، على ما يبدو، كان هذا الهجين سيفريل، على عبَّارة نهرية مليئة بالحُجَّاج، وحدث هذا في عيد نيس. أرسلوا إلى البارون طلبًا لإطلاق سراح هؤلاء. كما هو مفهوم، رفض البارون، فراحوا حينئذٍ يقتلون الحُجاج واحدًا بعد الآخر، على التوالي. وقبل أن يلين البارون، ويطلق سراح أولئك من الزنزانة، ألقوا أكثر من عشرة جثث في مجرى النهر مع التيار. بعد ذلك، هُدِّدَ البارون بالنفي، أو حتى بالفأس، بعض الناس حنقوا عليه، كونه لم يستجب إلا بعد أن قُتِلَ الكثير من الحجاج، وبدأ آخرون بإثارة ضجة، كونه ارتكب شرًّا عظيمًا جدًّا، وأن هذا كان ساا... سابقة، أو شيئًا من هذا القبيل، وأنه كان يجب نبل هؤلاء بالأقواس، هم والرهائن، أو أخذهم بهجوم عاصف إلى القوارب، وعدم تركهم قيد أنملة. أخذ البارون يتحدث في المحكمة عن أنه اختار أهون الشرين، لأن أكثر من رُبع مائة شخص، وامرأة، وطفل، كانوا على متن العبَّارة.

همس الويتشر: «المهلة التريدامية. رينفري...».

- ماذا؟
- كالديمين، السوق الموسمية.
- ماذا؟
- ألا تفهم، يا كالديمين؟ لقد خدَعَتْني. لن يغادروا. سيجبرون إستريجبور على الخروج من البرج، كما أجبروا بارون تريدام. أو سيجبرونني



على... ألا تفهم؟ سيبدؤون بقتل الناس في السوق الموسمية. ساحة بلدتكم، داخل هذه الجدران، ما هي إلا فخ حقيقي!

- بحق كل الآلهة، يا جيرالت! اجلس! إلى أين، جيرالت؟

راحت ماريلكا تعول، مذعورة من الصراخ، وقد تكورت في زاوية المطبخ.

صرخت ليبوشي، مادَّة يدها تجاه الويتشر: «قلتُ لك! قلتُ! لا يأتي منه إلا الشر وحده!».

- اصمتي، يا امرأة! جيرالت! اجلس!

- علينا أن نوقفهم. حالًا، قبل أن يدخل الناس إلى ساحة السوق. استدعِ الحراس. حين يخرجون من النُّزل، أمسِكْ بهم من رؤوسهم، واربطهم بالحبال.

- جيرالت، كن متعقلًا. هذا ليس مسموحًا به، لا يمكننا أن نلمسهم إن لم يرتكبوا أي جنحة. سيدافعون عن أنفسهم، وستراق الدماء. إنهم محترفون، وسيذبحون الناس هنا. إذا وصل الأمر إلى أوديون، فسيكون الثمن رأسي. حسنًا، سأجمع الحرس، وأذهب إلى السوق، وستكون عيني عليهم هناك...

- هذا لن يفيد في شيء، يا كالديمين. إذا ما دخلتْ حشود الناس إلى الساحة، فلن تتمكن من تجنب الذعر والمجازر. يجب تحييدهم فورًا، ما دامت السوق فارغة.

- سيكون هذا الفعل غير قانوني. لا يمكنني السماح بذلك. وقصة هذا النصف إلف وتريدام، قد تكون مجرد إشاعة. قد تكون مخطئًا، وماذا عندئذٍ؟ سيمزق أوديون شرائطي.

- يجب اختيار أهون الشرين.

- جيرالت! أمنعك! بصفتي العمدة، أمنعك! اترك السيف! قف!

صرخت ماريلكا مغطية فمها براحتي يديها.

6

نظر سيفريل إلى الشمس تطلع من وراء الأشجار، ساترًا عينيه بكفه. بدأت السوق تنبض بالحياة، وجرت الحناطير والعربات، وقد راح أول الباعة يملؤون أكشاكهم بالبضائع. طُرِقَت المطرقة، وصاح الديك، وزعقت النوارس بشدة.

قال خامس عشر بتأمل: «يبدو أنه سيكون يومًا جميلًا».

شزر سيفريل إليه، لكنه لم يقل شيئًا.

سأل نوهورن، وهو يشد قفازيه: «ماذا عن الخيول، يا تافيك؟».

- جاهزة، مسرَّجة. سيفريل، لا يزال عددهم قليلًا في هذه السوق.

- سيزداد عددهم.

- من المناسب أن نأكل شيئًا.

- في وقت لاحق.

- بالضبط. سيكون لديك الوقت لاحقًا. والرغبة.

قال خامس عشر فجأة: «انظروا».

جاء الويتشر من جهة الزقاق الرئيس، سار بين الأكشاك متجهًا نحوهم رأسًا.

قال سيفريل: «آها. كانت رينفري على حق. أعطني القوس، يا نوهورن».

احدودب، وشد الوتر، وهو يدوس الرِّباط بقدمه. وضع ثلمة السهم في التجويف بعناية. مضى الويتشر ماشيًا. رفع سيفريل قوسه.

- ولا خطوة إلى الأمام، يا ويتشر!

توقف جيرالت. كان بينه وبين المجموعة نحو أربعين خطوة.

- أين رينفري؟

عبس الهجين معوجًا وجهه الجميل.

- تحت البرج، إنها تقدم عرْضًا محددًا للساحر. كانت تعلم أنك ستأتي إلى هنا. كلفتني أن أسلمك شيئين.



- قل.
- الشيء الأول هو الرسالة، وهي: «أنا ما أنا عليه. اختر. إما أنا، وإما ذاك الآخر، الأهون». من المفترض أن تعرف ما المقصود بذلك.

هز الويتشر رأسه، ثم رفع يده، ممسكًا بمقبض سيفه الذي برز فوق كتفه اليمنى. لمع النصل، راسمًا قوسًا فوق رأسه. سار بخطى بطيئة تجاه المجموعة.

ضحك سيفريل بطريقة كريهة وعدائية.

- هكذا إذن. هي تنبأت بذلك أيضًا، أيها الويتشر. وما عدا هذا، ستتلقى حالًا الشيء الثاني، الذي أوصت بتسليمه لك. بين العينين تمامًا.

مشى الويتشر. رفع النصف إلف قوسه إلى خده. أصبح المكان هادئًا جدًّا.

أزَّ الوتر. لوَّح الويتشر بسيفه، ضج صوت تأوه طويل لمعدن مصدوم، طار السهم إلى أعلى، متعثرًا، وخبط السقف خبطة جافة، ثم قرقر في الميزاب. تابع الويتشر سيره.

تأوه خامس عشر: «انحرف... انحرف في أثناء طيرانه...».

أمر سيفريل: «تكتلوا معًا».

أصدرت السيوف المستلَّة من أغمادها صليلًا، وتكاتفت المجموعة متماسكة، مدججة بشفرات السيوف.

حثَّ الويتشر الخطى، وتحولت مشيته، التي كانت سلسة ولينة حتى الدهشة، إلى ركض، ليس إلى الأمام رأسًا، نحو المجموعة المسننة بالسيوف، ولكن إلى الجانب، مطوقًا إياها بحركة لولبية تضيق شيئًا فشيئًا.

لم يتوقف تافيك، فاندفع إلى ملاقاته، مختصرًا المسافة. وقفز التوأمان من بعده.

زعق سيفريل، ملتفتًا برأسه، فاقدًا الويتشر من مجال رؤيته: «لا تركض بعيدًا!».

شتم، وقفز جانبًا، وهو يرى المجموعة تتفكك تمامًا، وتتجول بين الأكشاك في موكب جنوني.

كان تافيك الأول. منذ لحظة كان يطارد الويتشر، والآن أدرك فجأة أن هذا يتجاوزه من الجهة الأيسر، راكضًا في الاتجاه المعاكس. طبطب برجليه لكي

يكبح سرعته، لكن الويتشر مرق جانبًا قبل أن يتمكن من رفع سيفه. أحس تافيك بضربة قوية فوق فخذه. استدار فأيقن أنها تتساقط. جثا على ركبتيه حالًا، ونظر إلى فخذه مدهوشًا، وبدأ بالصراخ.

اصطدم التوأمان أحدهما بالآخر، وهما يهاجمان في وقت واحد الشكل الأسود الباهت المندفع نحوهما، وارتطمت كتف أحدهما بكتف الآخر، ففقدا إيقاع حركتهما لحظة. وكان هذا كافيًا. ثنى فير نفسه نصف ثنية، وهو مطعون بعرض صدره بأكمله، وبرأس منكس، خطا بضع خطوات أخرى، وتهاوى على نضد كشك الخُضَر. أصيب نِمير في صدغه، فأخذ يدور مترنحًا في مكانه، وسقط في مزراب الشارع ثقيلًا، لا حول له ولا حيلة.

صارت السوق تغلي من جرَّاء الباعة الهاربين، وارتفعت قرقعة الأكشاك المقلوبة، وعلا الغبار والصراخ. حاول تافيك مرة أخرى رفع نفسه مستندًا إلى يديه المرتجفتين، فوقع.

زأر نوهورن، وهو يركض مستديرًا نصف دائرة ليأخذ الساحر من الخلف: «من اليسار، يا خامس عشر!».

استدار خامس عشر بسرعة. لم تكن سرعة كافية. تلقى ضربة واحدة عبر بطنه، تحملها، واستجمع قواه ليضرب، عندئذٍ أصيب مرة أخرى، في جنب عنقه، أسفل الأذن مباشرة. خطا، متشنجًا، أربع خطوات متأرجحة، ثم تهاوى على عربة مليئة بالأسماك. تدحرجت العربة. انزلق خامس عشر على الرصيف الحجري، الذي غدا فضيَّ اللون من جراء حراشف السمك.

كان سيفريل ونوهورن يضربان في وقت واحد من جهتين، الإلف يهوي بضربة كاسحة من أعلى، ونوهورن من أسفل راكعًا على ركبة واحدة، ركعة منخفضة، ومستوية. الطعنتان كلتاهما صُدِّتا، واندمجت خشخشتان معدنيتان معًا في واحدة. ارتدَّ سيفريل منكفئًا، تعثر، ثبت على قدميه، متشبثًا بالهيكل الخشبي للكشك. هجم نوهورن، وحماه بسيفه الذي كان يمسكه بوضع أفقي. صد الضربة، التي من شدة قوتها دفعته إلى الخلف، واضطر إلى الركوع. وإذ هبَّ قائمًا، تحرك ليردَّ على الطعنة، ببطء شديد. جُرِحَ بضربة على الوجه، أتت متناسقة مع الندبة القديمة.

ارتدَّ سيفريل بظهره عن الكشك، وقفز فوق نوهورن الآخذ في السقوط، هاجم بيديه دائرًا نصف دورة، لم يصب، وثب متراجعًا على الفور. لم يحس

بالضربة، وقد انثنت ساقاه تحته، إلا عندما جهد بعد حركة صد تلقائية للانتقال من التظاهر الخادع إلى هجوم تالٍ. سقط السيف من ذراعه المشقوقة على طول الجهة الداخلية فوق المرفق. سقط جاثيًا، هز رأسه، حاول النهوض، لم يستطع. نكس رأسه إلى ركبتيه، وهكذا همد في بركة حمراء، وسط الكرنب، والمعجنات المخبوزة، والأسماك المتناثرة.

دخلت رينفري إلى ساحة السوق.

أقبلت متمهلة، بخطو ناعم كقطة، مجتازة العربات والأكشاك. انكتمت الحشود التي كانت تطن كسرب زنابير، في الأزقة وعند جدران المنازل. وقف جيرالت بلا حَراك، وسيفه في يده المُرخاة. اقتربت الفتاة، وتوقفت على بعد عشر خطوات. رأى أنها قد ارتدت تحت قفطانها درعًا، قصيرة، لا تكاد تغطي فخذيها.

صرخت: «اتخذتَ خيارك. هل أنت متيقن أنه الخيار الصحيح؟».

قال جيرالت بجهد: «لن يكون تريدام آخر هنا».

- ما كان سيكون. سخر إستريجبور مني. قال إنه يمكنني ذبح بلافيكين كلها، وإضافة عدة قرى محيطة بها، ومع ذلك فهو لن يخرج من البرج. ولن يسمح لأي شخص، وأنت من ضمنهم، بالدخول هناك. لماذا تنظر هكذا؟ نعم، لقد خدعتُك. وطوال حياتي كلها كنت أخادع، كلما استدعت ذلك الضرورة، فلماذا كان عليَّ أن أقدم لك استثناءً؟

- ابتعدي من هنا، يا رينفري.

ضحكت.

استلَّت سيفها بسرعة وخفة: «لا، يا جيرالت».

- رينفري.

- لا، يا جيرالت. أنت اتخذتَ خيارك. الآن الدور لي.

بحركة واحدة حادة، مزَّقت التنورة من فخذيها، ودوَّرتها في الهواء، وهي تلف القماش حول ساعدها الأيسر. تراجع جيرالت إلى الوراء، رفع يده ضامًّا أصابعه في **العلامة**. ضحكت رينفري من جديد، ضحكة قصيرة، جشَّاء.

- لا فائدة من ذلك تُرجى، يا ذا الشعر الأبيض. إنه لا يؤثر فيَّ. السيف فقط.

كرر: «رينفري. ابتعدي. إذا صالبنا حدَّي السيف، فأنا... لن يكون... في وسعي أن...».

قالت: «أعرف. لكنني... ليس في وسعي أيضًا أن أتصرف على نحو مختلف. ببساطة، لا أستطيع. نحن ما نحن عليه. أنت وأنا».

تحركت نحوه بخطوة خفيفة متمايلة. في يدها اليمنى، لمع السيف مستقيمًا ومسلولًا إلى الجانب، وراحت تجرجر بيدها اليسرى تنورتها على الأرض. تراجع جيرالت خطوتين إلى الوراء.

قفزت، ولوَّحت بيدها اليسرى، وراحت تنورتها ترفرف في الهواء، تبعها سيف مستور، برق في طعنة قصيرة مقتصدة. ارتدَّ جيرالت قافزًا، حتى إن القماش لم يمسسه، وانزلق نصل رينفري بعد صد ضربة جانبية. ردَّ الطعنة بحركة تلقائية من مضرب الشفرة، وجمع كلا النصلين بحركة طاحونة قصيرة، محاولًا أن يطيح بسلاحها. كان هذا الفعل خاطئًا. حرفت نصله، ومن بين ركبتيها المثنيتين ووركيها المتأرجحتين، طعنته على الفور، مستهدفة وجهه. وإذ تمكن من دفع هذه الضربة بشق الأنفس، ارتدَّ متجنبًا قماش تنورتها المتساقط عليه. دار دورة سريعة على أصابع إحدى قدميه، متجنبًا النصل البارق في أثناء الطعنات الهاوية بسرعة البرق، وارتدَّ منكفئًا من جديد. اصطدمت به، فقذفت تنورتها في عينيه رأسًا، وطعنته بضربة مستوية، من قريب، مندفعة من نصف دورة. أفلت من الضربة، ملتفًّا لصقها تمامًا. كانت تعرف هذه الحيلة. والتفَّتْ معه، شديدةِ القُرب منه حتى إنه أحسَّ بأنفاسها، ثم مررت نصل سيفها عبر صدره. مزقه الألم، ورغم ذلك لم يتمكن من كسر إيقاع حركته. دار مرة أخرى إلى الاتجاه المعاكس، حرف النصل المندفع إلى صدغه، وتحرك حركة مخادعة سريعة، ثم هجم. ارتدت رينفري قافزة؛ استجمعت قواها متحفزة، لتضرب من أعلى. جيرالت، الذي جثا على ركبة واحدة في هجوم مرتد، طعنها بسرعة البرق بسن سيفه، من الأسفل، شاقًّا فخذها وأُرْبيَّتها المكشوفتين.

لم تصرخ. تركت سيفها وهي تهوي على ركبتها وجنبها، غرزت كلتا راحتيها في فخذها المشقوقة. نزَّ الدم من بين أصابعها، متدفقًا في خط زاهٍ على الحزام المُزيَّن، وعلى البسطار المصنوع من جلد الموظ، وعلى الرصيف الحجري الوسخ. ماج حشد الناس المحشورين في الأزقة، وتعالى الصياح.

أغمد جيرالت سيفه.

- لا تذهب...

تأوهتْ، وهي تتلوى ملتفَّة على شكل كبة صوف.

لم يُجبْ.

- أشعر... بالبرد...

لم يُجبْ. تأوهت رينفري مجددًا، منكمشة أكثر. ملأ الدم التجاويف بين الأحجار بدفقات سريعة الجريان.

- جيرالت... ضمني...

لم يُجبْ.

أدارت رأسها، وهمدت وخدها على الرصيف الحجري. انزلق خنجر بشفرة ضيقة جدًّا، كان مخبأً حتى هذه اللحظة تحت الجسد، من أصابعها الميتة.

بعد لحظة بدت وكأنها أبدية، رفع الويتشر رأسه، وهو يسمع صوت عصا إستريجبور تنقر على الرصيف الحجري. اقترب الساحر بسرعة متجاوزًا الجثث.

قال لاهثًا: «يا لها من مجزرة. رأيتُ، يا جيرالت، رأيتُ كل شيء في كرة البلور...».

اقترب أكثر، انحنى. بدا بردائه الأسود المتهدل، وهو يتوكأ على محجنه، بدا شيخًا، شيخًا طاعنًا في السن.

هز رأسه: «أمر لا يمكن تصديقه. الدقنوشة، ميتة تمامًا».

جيرالت لم يرُدَّ.

استقام الساحر: «حسنًا يا جيرالت. اذهب وأحضِر العربة. سنأخذها إلى البرج. يجب أن نشرِّحها».

نظر إلى الويتشر، وانحنى على الجسد دون أن ينتظر جوابًا.

مد شخص، لم يكن الويتشر يعرفه، مد يده إلى مقبض سيفه، واستله بسرعة كبيرة.

قال الشخص الذي لم يكن الويتشر يعرفه: «فقط المسها أيها الساحر. فقط المسها، وسيهوي رأسك على الرصيف الحجري».

- ماذا، يا جيرالت، هل جُننتَ؟ أنت جريح، في حالة صدمة! التشريح هو السبيل الوحيد لتأكيد...

- لا تلمسها!

نكص إستريجبور، حين رأى النصل مشهورًا، ولوَّح بعصاه.

صاح: «طيب، تمام! كما تريد! لكنك لن تعرف أبدًا! لن يكون لديك يقين أبدًا! أبدًا، هل تسمع أيها الويتشر؟».

- اغرب.

استدار الساحر، وأخذ يضرب أحجار الرصيف بالمحجن: «كما يحلو لك. سأعود إلى كوفير، لن أبقى يومًا واحدًا في هذا الجحر. تعالَ معي، لا تبقَ هنا. هؤلاء الناس لا يعلمون شيئًا، رأوا فقط كيف أنت تقتُل. وأنت تقتُل بفظاعة، يا جيرالت. حسنًا، ستأتي؟».

لم يردَّ جيرالت، ولم ينظر إليه. أغمد سيفه. هز إستريجبور كتفيه، وانصرف بخطو حثيث، وهو ينقر بعصاه بتناوب إيقاعي.

طار حجر من بين الحشد، قرقع على الرصيف. وتلاه ثانٍ، محلقًا فوق كتف جيرالت تمامًا. رفع الويتشر الذي استقام، كلتا كفيه، وبهما صنع إيماءة سريعة. هدر الحشد، وتطايرت الحجارة بكثافة أكبر، لكن **العلامة** دفعتها جانبًا؛ أخطأت هدفها المحمي بدرع أسطوانية، غير مرئية.

زأر كالديمين: «كفى! فلينتهِ هذا، يا أبناء الكلبة!».

تمايل الحشد كموجة منكسرة على الشاطئ، لكن الحجارة توقفت عن الطيران. وقف الويتشر دون حَراك. اقترب العمدة منه.

قال مشيرًا بإيماءة عريضة إلى الأجساد المتناثرة على طول الساحة: «هل هذا. كل شيء الآن؟ هكذا يبدو أهون الشرين الذي اخترته؟ هل أتممت فعل ما كنت ترى أنه لا بدَّ منه؟».

أجاب جيرالت بمشقة، وليس على الفور: «نعم».

- جرحك خطير؟

- لا.

- إذن، هيا من هنا.

قال الويتشر: «نعم».

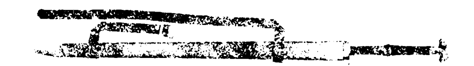
وقف لحظة، متحاشيًا نظرة العمدة. ثم استدار ببطء، ببطء شديد.

- جيرالت.

تطلع الويتشر حوله.

قال كالديمين: «لا تعد إلى هنا أبدًا. أبدًا».

صوت العقل 4



- لنتحدث، يا إيولا.

أنا في حاجة إلى هذه المحادثة. يقولون إن الصمت من ذهب. ربما. لا أعرف أكان يستحق ذلك. على أي حال، له ثمنه. ولا بدَّ من دفعه.

أمورك أسهل، أجل، لا تنكري. فأنتِ أساسًا تصمتين باختيارك، لقد جعلتِ من الصمت قربانًا لإلهتك. أنا لا أومنُ بِمليتيلي، لا أومن أيضًا بوجود آلهة أخرى، لكنني أقدِّر اختياركِ وتضحيتكِ، أقدِّر وأحترم ما تؤمنين به. لأن إيمانك وتفانيك، وثمن الصمت الذي تدفعين، سيجعلك كائنًا أفضل وأكثر قيمة. أو على الأقل، يمكنها أن تجعلك كذلك. أمَّا عدم إيماني فلا يمكنه فعل شيء. إنه عاجز.

تسألين، بماذا أومن في هذه الحال؟

أومن بالسيف.

كما ترين، أحمل اثنين. لكل ويتشر سيفان. يقول الأجلاف إن هذا الفضي للوحوش، وهذا الحديدي للناس. هذا طبعًا ليس صحيحًا. ثمة وحوش لا يمكن طعنها إلا بشفرة فضية، ولكن يوجد منها أيضًا أنواع، الحديد قاتِلُها. لا، يا إيولا، ليس كل الحديد، بل ما يتحدر من الحجر النيزكي. تسألين ما النيزك؟ إنه جرم نازل. لعلكِ رأيتِ، أكثر من مرة، جِرمًا نازلًا، وخطًّا قصيرًا مضيئًا في سماء الليل. وأنتِ ترينَها، تمنيتِ على الأرجح أمنية ما، وربما كان ذلك سببًا آخر لتؤمني بالآلهة. النيزك، بالنسبة إليَّ، مجرد قطعة معدن، حين تسقط تتوغل عميقًا في الأرض. مجرد معدن، يمكن صنع السيف منه.

يمكنك، طبعًا يمكنك، أن تأخذي سيفي إلى يدك. أترين، كم هو خفيف؟ حتى إنك سترفعينه دون صعوبة. لا! لا تلمسي النصل، ستجرحين نفسك. إنه أمضى من موسى الحلاقة. يجب أن يكون هكذا.

أي نعم، أتمرن كثيرًا. في كل لحظة فراغ. غير مسموح أن أترك التدريب. هنا، في أقصى ركن من حديقة المعبد، جئت أيضًا لأتمرن، لأحرق وألفظ من عضلاتي هذا التنميل الكريه والمقزز الذي يطوقني، هذا البرد الجاري بداخلي. ووجدتِني أنتِ هنا. هذا مضحك، فأنا من كنت، خلال عدة أيام، أحاول العثور عليكِ. كنت أبحث عنكِ. أردت...

أنا في حاجة إلى هذه المحادثة، يا إيولا. فلنجلس ونتحدث بعض الوقت.

أنت لا تعرفينني مطلقًا، يا إيولا.

اسمي جيرالت. جيرالت من... لا. فقط جيرالت. جيرالت من العدم. أنا ويتشر.

موطني هو كايِر مورهِن، مستوطنة معشر الويتشر. من هناك أنحدر. يوجد... كان يوجد حصن هناك. لم يتبقَّ منه الكثير.

كاير مورهِن... أشخاص مثلي كانوا يُنتجون هناك. لم يعد يحدث هذا، ولم يعُد أحد يعيش في كِاير مورهن. لا أحد سوى فيسمير. تسألين من فيسمير؟ إنه أبي. لماذا تحدقين إليَّ بذهول؟ ما الغريب في ذلك؟ لكل فرد أب. أبي هو فيسمير. وإن كان ليس والدي الحقيقي، فماذا في ذلك؟ لم أعرف أبي الحقيقي، ولا أمي أيضًا. لا أعرف حتى، أكانا حيين. وفي حقيقة الأمر لا أهتم بهذا كثيرًا.

نعم، كاير مورهن... حدثتْ لي طفرة عادية هناك. **تجربة الأعشاب**، ثم كالمعتاد. الهرمونات، والأعشاب الطبية، والعدوى بفيروس. ومن جديد. ومرة أخرى. حتى النتيجة الناجعة. كما يبدو، أنني تحملت التغييرات تحملًا يفوق الإعجاب، لم أمرض سوى مدة قصيرة جدًّا. لذا أقروا بأني طفل صغير مقاوم إلى درجة غير عادية، واختاروني لـ... تجارب معينة أخرى، من أعقد التجارب. وكان هذا أسوأ مما قبله. أسوأ بكثير. لكن، كما ترين، نجوت. وبذلك كنت الوحيد من بين الذين اختيروا لتلك التجارب. وصار شَعري منذ ذلك الحين أبيض. أي: فقدان كامل لصبغة الجلد. وكما يقال عنه: «عَرَض جانبي». أمر غير ذي شأن. مزعج قليلًا.

بعدئذٍ، علموني أشياء مختلفة. مدة طويلة. حتى حلَّ أخيرًا اليوم الذي غادرت فيه كاير مورهن، وانطلقت في دربي. كنتُ قد حصلت على ميداليتي، هذه بالتحديد. **علامة مدرسة الذئب.** كان لديَّ أيضًا سيفان: فضي وحديدي. وإضافة إلى السيفين، حملت معي القناعة والحماسة والدافع و... الإيمان. الإيمان بأن أحدًا يحتاج إليَّ وأني مفيد. لأن العالم، يا إيولا، من المفترض أن يكون مليئًا بالوحوش والمسوخ، وكانت مهمتي حماية أولئك الذين تهددهم تلك الوحوش. حين انطلقت من كاير مورهن، حلمت بلقاء وحشي الأول، وانتظرتُ، على أحر من الجمر، اللحظة التي سأقف فيها أمامه، وجهًا لوجه. وجاءت تلك اللحظة.

كان أول وحش ظهر لي، يا إيولا، أصلعَ وأسنانه فاسدة، وغاية في البشاعة. لقيته على الطريق حيث، بالشراكة التي أرساها مع رفاقه من الوحوش، وبعض الصعاليك من أحد الجيوش، أوقف عربة فلاح، وأخرج منها فتاة صغيرة، ربما كان لها من العمر ثلاثة عشر عامًا، وربما لم تبلغه حتى. أمسك رفاقه بوالد الصبية، أما الأصلع فراح يمزق ثوبها، ويصرخ أن الوقت قد حان، كي تعرف ما يكون الرجل الحقيقي. اقتربتُ راكبًا، ثم ترجلتُ وقلتُ للأصلع إن مثل هذا الوقت قد حان أيضًا من أجله. بدا لي أن الأمر نكتة مضحكة على نحو جنوني. ترك الأصلع الطفلة، واندفع نحوي بالفأس. كان بطيئًا جدًّا، لكنه متين. طعنته مرتين، وفقط عندئذٍ سقط. لم تكن هاتان الطعنتان نظيفتين كما ينبغي، لكنهما كانتا، كما يمكن أن أقول، مذهلتين جدًّا، إلى درجة أن رفاق الأصلع قد هربوا، وقد رأوا ماذا يمكن لسيف الويتشر أن يجعل من الرجل...

ألستُ أسبِّبُ لك الملل، يا إيولا؟

أنا في حاجة إلى هذه المحادثة. أنا حقًّا في حاجة إليها.

أين توقفتُ؟ أهاً، عند أول فعل نبيل لي. انظري، يا إيولا، في كاير مورهن، غرسوا في رأسي، أن لا أتورط في مثل هذه الحوادث، وأن أتحاشاها، وأن لا أؤدي دور الفارس الضال، وأن لا أقحم نفسي بعمل حراس القانون. انطلقت في الدرب ليس للتباهي، ولكن لتنفيذ العمل المُوكَل إليَّ مقابل المال. وتورطتُ مثل أحمق، على بعد خمسين ميلًا من سفح الجبال. هل تعلمين لماذا فعلتُ ذلك؟ أردت من الصبيَّة، وهي تذرف دموع الامتنان، أن تقبِّلني، أنا منقذها، على يدي، وأن يشكرني والدها جاثيًا على ركبتيه. في أثناء ذلك، هرب والد الفتاة مع الصعاليك، وتقيأت الصبيَّة، وقد انصبت عليها معظم دماء الأصلع،

وأصيبت بنوبة من الهستيريا، وحين دنوت منها، أغمى عليها من الخوف. منذ ذلك الحين، لم أتدخل في مثل هذه القصص إلا نادرًا جدًّا.

أديت واجباتي. تعلمت بسرعة كيف أفعل ذلك. كنت أصل راكبًا إلى أسوجة الحقول في القرى، وأتوقف عند حواجز الأماكن الآهلة والحصون. وأنتظر. وإذا بُصِقَ عليَّ، أو شُتِمْتُ، أو رُشِقْتُ بالحجارة، أرحلُ. في مقابل ذلك، إذا خرج شخص ما وطلب مني تنفيذ مهمة، أنجزتها.

كنت أزور المدن والقلاع، وأبحث عن رسائل مثبتة بمسامير على الأعمدة في مفارق الطرق. كنت أبحث عن خبر «نحن في حاجة ماسة إلى الويتشر». وبعد ذلك، عادة ما كان المقصود موقعًا مقدسًا، زنزانة، مدن موتى، أو أطلال خرائب، خانقًا في غابة، أو مغارة في الجبال، مليئة بالعظام والجيف النتنة. وكان ثمة شيء يعيش ليقتل، وحسب. بسبب الجوع، أو من أجل متع تستدعيها إرادة شخص مريضة، أو لأسباب أخرى. مانتيكور، ويفيرن، إمجلاك، اليعسوب، البق المدرع، مخيف الصحراء، عفريت الغاب، مصاص الدماء، الغول، غول الجيف، المستذئب، العقرب العملاق، استريجا، الأكالة، كيكيمورا، فيبر. وكان الرقص في الظلام، والطعن بالسيف. وكان الخوف والبغض في عيني من كان يسلمني أجرتي بعد ذلك.

أخطاء؟ وكيف لا. لقد ارتكبتُها.

لكني اتبعت المبادئ. لا، ليس نظام القانون. اعتدت أحيانًا أن أحتمي بالقانون. الناس يحبون ذلك. ويحترمون ويقدرون أولئك الذين لديهم قوانين معينة، ويسيرون على هديها.

لا يوجد أي نظام قانون. لم يُوضع أي قانون ويتشري قطُّ. وقد اخترعت واحدًا خاصًّا بي. هكذا ببساطة. وتمسكت به. دائمًا...

ليس دائمًا.

فقد كان واضحًا مما بدا أن لا مجال لأي شك. وكان لا بدَّ من أن يقول المرء لنفسه: «وما يهمني هذا، إنه ليس قضيتي، أنا ويتشر». وكان لا بدَّ من سماع صوت العقل. سماع الغريزة، إن لم يكن ذلك ما تمليه التجربة. أو حتى على الأقل، الخوف العادي، الأكثر عادية.

كان ينبغي لي أن أسمع صوت العقل، حينذاك...

لم أسمعه.

ظننت أنني كنت أختار أهون الشرين. فاخترت أهون الشرين. أهون الشرين! أنا جيرالت من ريفيا. يُطلَق عليَّ أيضًا اسم الجزار من بلافيكين.

لا، يا إيولا. لا تلمسي يدي. يمكن للاحتكاك أن يحرر فيك... يمكنك أن تشاهدي...

وأنا لا أريدكِ أن تشاهدي. لا أريد أن أعلم. أعرف قدري الذي يدور بي كدوامة. قدري؟ إنه يتبعني خطوة بخطوة، لكنني لا أنظر خلفي أبدًا.

شِبَاكُ القدَر؟ نعم، نينِّيكي تشعر بذلك، على ما يبدو. ما الذي أغراني حينئذ، هناك في سينترا[1]؟ كيف استطعت أن أجازف على نحو من هذا الحمق؟

لا، لا، ومرة أخرى لا. أنا لا أنظر خلفي أبدًا. وإلى سينترا لن أعود أبدًا، سأتحاشى سينترا، كما يُتحاشى عش الطاعون. لن أعود إلى هناك أبدًا.

ها، إن كانت طريقة حسابي صحيحة، فلا بدَّ أن يكون هذا الطفل قد وُلِدَ في مايو، في نواحي القديسة بيلِتين. ولو كان الأمر هكذا في الحقيقة، فستكون لدينا مصادفة مثيرة للاهتمام. لأن ينيفر وُلِدَتْ أيضًا في بيلِتين...

هيا لنذهب، يا إيولا. قد حل الغسق.

أشكركِ، لأنكِ رغبت في محادثتي.

أشكركِ، يا إيولا.

لا، أنا بخير. أشعر أن حالي جيدة.

جيدة تمامًا.

(1) سينترا: دولة تقع جنوب نهر ياروجا، حسب عالم الويتشر.



مسألة الثمن

1

كان الويتشر، حاله كحال من بلع السكين على الحدين.

استلقى متلذذًا وسط رغوة الصابون، ورأسه مُلقى إلى الوراء، على حافة زلقة لحوض خشبي. شعر بطعم الصابون المُرِّ في فمه. حكَّ السكين، وكان كليلًا، كأن الدهر أكل عليه وشرب، حكها بطريقة مؤلمة على جوزة حلقه، ومضى متحركًا بصرير نحو ذقنه.

حكَّها الحلاق مرة أخرى، بدافع الكياسة، وعلى وجهه ملامح فنان، يعي أنه أمام ولادة تحفة فنية، ثم مسح وجهه بقطعة قماش كتانية، مبللة بما يمكن أن يكون مشروبًا كحوليًّا من حشيشة المَلاك.

نهض جيرالت، وأذنَ للغلام في أن يسكب عليه سطلًا من الماء، ثم نفض نفسه، وخرج من الحوض، تاركًا على طوب الأرضية آثار قدميه المبتلتين.

لمَحَ الغلام ميداليته بفضول: «المنشفة يا سيدي».

- شكرًا.

قال هاكسو: «ها هي الملابس. القميص، السروال الداخلي، السروال، الرداء. وهنا الحذاء».

- فكرتم في كل شيء، يا آمر القلعة. ألا يمكنني الذهاب مرتديًا حذائي الخاص؟

- لا. جِعة؟

- بكل سرور.

لبس ببطء. وقد عكَّرت مزاجَه ملامسةُ الملابس الغريبة، والخشنة، والمزعجة، لجلده المنتفخ، بعد أن كان رائق المزاج في أثناء استرخائه في الماء الساخن.

- يا آمر القلعة؟

- تفضل، ماذا يا سيد جيرالت؟

- ألا تعرفون، من أجل ماذا كلُّ هذا؟ حسنًا، وما حاجتكم إليَّ هنا؟

قال هاكسو، وهو ينظر شزرًا إلى الغلمان: «هذا ليس شأني. ما يخصني هو إلباسكم الثياب...».

- تبديل الثياب، أردتَ أن تقول.

- ...إلباسكم وإيصالكم إلى الوليمة، عند الملكة. البسوا الرداء، يا سيد جيرالت. وأخفوا الميدالية الويتشرية تحته.

- هنا كان خنجري ملقى.

- لكنه لم يعد ملقى. إنه في مكان آمن، كما هو حال سيفيك، وجميع أشيائك. هناك، حيث المكان الذي ستذهب إليه، يدخل المرء دون سلاح.

هزَّ الويتشر كتفيه، وهو يحشر نفسه برداء أرجواني ضيق.

سأل مشيرًا إلى التطريز الظاهر على مقدمة اللباس: «ما هذا؟».

قال هاكسو: «آه نعم. كنت سأنسى. سيطلق عليكم، وقتَ الوليمة، اسم المُشرَّف رافيكس من ذات القرون الأربعة. ستجلسون على يمين الملكة ضيفَ شرف، وهذه رغبتها. وهذا الذي على الرداء شعار النبالة الخاص بك. في الحقل الذهبي، دب أسود يدب ببطء، وعليه عذراء في زي أزرق، شعرها متدلٍ، ويداها مرفوعتان إلى الأعلى. عليكم أن تتذكروا هذا الأمر، قد يكون عند أحد الضيوف هوس تجاه شعارات النبالة، وغالبًا ما يحدث مثل هذا».

قال جيرالت بجدية: «بالتأكيد، سأتذكر. وذات القرون الأربعة، أين تقع؟».

- بعيدًا بما يكفي. أنتم جاهزون؟ يمكننا الذهاب؟
- يمكننا. قولوا المزيد، يا سيد هاكسو، ما مناسبة هذه الوليمة؟
- ستتم الأميرة بافيتا خمسة عشر عامًا من عمرها، ووفقًا للعرف، أخذ المتنافسون يتهافتون على يدها. تريد الملكة كالانثي تزويجها شخصًا من إسكيليج. ويهمنا أن نتحالف مع سكان الجزر.
- لماذا معهم تحديدًا؟
- لا يهاجمون كثيرًا أولئك المتحالفين معهم، كما يهاجمون الآخرين.
- سبب وجيه.
- لكنه ليس الوحيد. إن التقاليد في سينترا، يا سيد جيرالت، لا تسمح للنساء أن يحكمن. لقد مات ملكنا روجنِر، منذ مدة، في جائحة الطاعون، والملكة لا تريد زوجًا ثانيًا. سيدتنا كالانثي حكيمة وعادلة، لكن الملك هو الملك. من يتزوج الأميرة سيجلس على العرش. سيكون من الجيد العثور على رجل شديد، عظيم البنية. ويجب البحث عن مثل هؤلاء في الجزر. إنهم شعب صلب. لنذهب الآن.

توقف جيرالت في منتصف الممر المحيط بفناء داخلي صغير فارغ، وتلفت حوله.

قال بصوت خافت: «يا آمر القلعة. نحن وحدنا. قولوا، لأي غرض تريد الملكةُ الويتشرَ. لا بدَّ أنكم تعلمون شيئًا. فمن إذن يعلم، إن كنتم أنتم لا تعلمون؟».

هدر هاكسو بتذمر: «للغرض نفسه الذي تريده من الآخرين جميعًا. سينترا مثلها مثل أي بلد آخر، لا تختلف. عندنا هنا مستذئبون، وكذلك باسيليقيون، ولو بحثنا جيدًا، سنجد أيضًا مانتيكور. لذا قد تستدعي الحاجة وجود الويتشر».

- لا تتهرب يا آمر القلعة. أنا أسألُ، لأي غرض تحتاج الملكة إلى الويتشر في الوليمة، وفوق ذلك، تريده مرتديًا لباس دب أزرق بشعر متدل.

تلفَّت هاكسو حوله أيضًا، بل وانحنى على درابزين الممر.

همهم: «ثمة شيء سيئ يحدث، يا سيد جيرالت. يعني، في القصر. شيء ما يخيف».

- ما هو؟

- وما الذي يجب أن يخيف؟ الفزاعة. يقولون، إن هذا الشيء صغير، أحدب، له أشواك كالقنفذ. يدب في أرجاء القصر ليلًا، ويقرقع بسلاسله. يئن أنينًا خافتًا، ويتأوه في الحجرات.

- هل رأيتموه؟

بصق هاكسو: «لا. ولا أريد رؤيته».

تجهم الويتشر: «تخبصون بلا معنى، يا آمر القلعة. هذا الكلام غير متماسك. نحن ذاهبون إلى حفلة خِطبة. فما الذي عليَّ فعله هناك؟ أرقب كي لا يقفز ذاك الأحدب من تحت الطاولة، ولا يتأوه؟ أرقب دون سلاح؟ مرتديًا زيًّا مزركشًا كمزَّاح مهرج؟ إيه، يا سيد هاكسو».

عبس هاكسو: «فكروا ما تشاؤون. أمروني أن لا أقول لكم شيئًا. طلبتم، فقلت لكم. وأنتم تقولون: إني أخبص. أنتم غاية في اللطف».

- سامحوني، لم أقصد الإساءة إليكم، يا آمر القلعة. استغربت فقط...

أدار هاكسو رأسه، وكان لا يزال عابسًا: «إذن، توقفوا عن الاستغراب. لستم للاستغراب. وأنا أنصحكم نصحًا طيبًا، يا سيد ويتشر، إذا أمرتكم الملكة بخلع ثيابكم حتى التعري، وصبغ ردفيكم بطلاء أزرق، وشنق نفسكم رأسًا على عقب في الردهة، مثل نجفة، فافعلوا ذلك دون استغراب أو تردد. وإلا فقد تواجهكم إزعاجات جمة. فهمتهم؟».

- فهمت. لنذهب، يا سيد هاكسو. وليحدُثْ ما سيحدُث، فقد جعتُ بعد ذلك الحمَّام.

https://t.me/fantazynov

2

من غير احتساب التحية الرسمية المقتضبة، فإن الملكة كالانثي لم تبادل الويتشر أي كلمة، حين استقبلته على أنه «سيد ذات القرون الأربعة». لم تبدأ الوليمة، إذ استمر المدعوون في التجمع، وكان المُنذر يعلن قدومهم بصوت عالٍ.

كانت المائدة ضخمة، مستطيلة الشكل، يمكنها أن تَسعَ أكثر من أربعين رجلًا. تبوأت كالانثي صدرَ المكان، جالسة على عرش ذي مسند عالٍ. جلس عن يمينها جيرالت، وعن يسارها شاعر غنائي، رمادي الشعر، مع عوده، يُدعى دروجُدار. بقيَ الكرسيان اللذان في صدر المائدة، عن يسار الملكة، شاغرين.

جلس عن يمين جيرالت، على الجانب الأطول من المائدة، آمر القلعة هاكسو، والمحافظ الذي يصعب تذكر اسمه. خلفهما جلس الضيوف من إمارة أتري: الفارس الكئيب الصامت راينفارن، ومن بقي تحت رعايته، وهو الأمير ذو الخدين المنفوخين، ابن الاثني عشر عامًا، ويندهالم، أحد طالبي يد الأميرة. وبعدهما - فرسان سينترا الملونون، ومختلفو الألوان، والمـُقـْطـَعون المبايعون[1].

أعلن المُنذر: «البارون إيلِمبِرت من تيجّ!».

تمتمت كالانثي، وهي تلكز دروجُدار: «كودكوداك! لن تنقصنا التسلية».

انحنى الفارس النحيل ذو الشارب، المرتدي لباسًا فخمًا، انحنى طويلًا، لكنَّ عينيه المفعمتين بالحيوية والبهجة، وابتسامته الجائلة على شفتيه، تنفي عنه التواضع.

قالت الملكة بطريقة احتفالية رسمية: «أهلًا بكم، يا سيد كودكوداك. سرَّني قدومكم».

من الواضح أن لقب البارون رافق زمن نموه زمنًا أطول مما رافقه اسم عائلته.

(1) المُقْطَع، هو شخص دخل في التزامات متبادلة مع سيد أو ملك الدولة، فيُقْطِعَهُ السيد أرضًا (إقطاعية) لقاء تعهد المُقْطَع بتقديم المساعدة العسكرية لذلك السيد. أما المُقطَع فيتعهد بالطاعة والإخلاص لسيده.

صرح كودكوداك متنهدًا: «وأنا مسرور بهذه الدعوة. حسنًا، سألقي نظرة على الأميرة، إذا سمحتِ أيتها الملكة. من الصعب العيش وحيدًا، سيدتي».

ابتسمت كالانثي ابتسامة خفيفة، وهي تلفُّ خصلة من شعرها حول إصبعها: «هيه، يا سيد كودكوداك. لكنكم متزوج، كما هو معلوم لدينا جيدًا».

استاء البارون: «إيه. أنت نفسك تعرفين، يا سيدتي، مدى ضعف زوجتي ولين جسدها، والآن الجدري منتشر في مناطقنا. سأضع حزامي وسيفي، مقابل نعلين قديمين، في رهان على أن الحِداد سينتهي بعد عام».

ابتسمت كالانثي بلطف أكثر: «مسكين أنت، يا كودكوداك، ولكنك محظوظ في الوقت نفسه. زوجتك ضعيفة حقًّا. سمعت أنها حين أمسكت بك في كومة قش مع بَغِيٍّ، في أيام الحصاد الماضية، طاردتك بمذراة أقل من ميل بقليل، ولم تلحق بك. يجب أن تطعمها إطعامًا أفضل، وتعتني بها أحسن اعتناء، وأن تحرص على أن لا يبرد ظهرها ليلًا. وبعد مرور عام، سترى كيف ستتحسن.

انتابت كودكوداك الكآبة، لكنها كآبة غير مقنعة كثيرًا.

- فهمتُ التلميح. لكن، هل يمكنني البقاء في الوليمة؟

- سأكون سعيدة، أيها البارون.

صاح المُنذر، وقد بُحَّ صوته بشدَّة: «وفد إسكيليج!».

دخل أهل الجُزُر بخطو متحمس ومجلجل، كانوا أربعة أشخاص، يرتدون سُترات من الجلد اللامع، المُكشكَش بفرو الفقمة، والمحزَّم بشرائط من الصوف المقلَّم. كان يقودهم محارب نحيف، ذو وجه داكن وأنف عُقاب، وإلى جانبه شاب عريض المنكبين، ذو شعر قصير أحمر. انحنوا جميعًا أمام الملكة.

قالت كالانثي وقد احمرَّت قليلًا: «إنه لشرف كبير أن أرحب مجددًا، في قصري، بالفارس الرائع الذي هو إيست تويرسيتش من إسكيليج. ولولا الحقيقة المعروفة جيدًا لي بأنك تكنُّ احتقارًا للزواج، لكنتُ سُرِرْتُ آملة أنك ربما جئت طالبًا يد ابنتي بافيتا. فهل هي الوحدة فعلًا من أثقلت عليك، أيها السيد؟».

أجاب ساكن الجزيرة، الأسمر الوجه، رافعًا عينيه اللامعتين نحو الملكة: «أحيانًا، يا كالانثي الجميلة. لكنني أسيِّر حياتي بطريقة شديدة الخطورة، لا

تجعلني أفكر في علاقة دائمة. لولا أن... بافيتا شابة صغيرة، لا تزال عذراء، برعمًا غير متفتح، ولكن...».

- لكن ماذا، أيها الفارس؟

ابتسم إيست تويرسيتش جاعلًا بياض أسنانه يلمع: «البنت مرآة أمها. يكفي المرء أن ينظر إليك، أيتها الملكة، ليعرف أي جمال ستكون عليه الأميرة، حين تبلغ السن التي يجب أن تكون عليها المرأة لإسعاد المحارب. لكن في الوقت الحالي، فعلى الشبان التقدم لطلب يدها. من أمثال ابن أخت ملكنا بران، وهذا هو كراتش آن كرايت الذي جاء إلى هنا لهذا الغرض».

جثا كراتش على ركبة واحدة، حانيًا رأسه الأحمر، أمام الملكة.

- مَن أيضًا أحضرت يا إيست؟

جثا رجل متين البنية، قصير، وممتلئ الجسم، ذو لحية كالمكنسة، وآخر بدين وطويل، على ظهره آلة عود، بجانب كراتش آن كرايت.

- ها هو الكاهن المغوار، جِوال الفأر، وهو كما أنا، صديق ومستشار للملك بران. وهذا درايج بون-دهو، شاعر بلاطنا الشهير. ثلاثون بحارًا من إسكيليج ينتظرون في الفناء، يتحرَّقون أملًا أن تظهر لهم رائعة الجمال، كالانثي من سينترا، ولو حتى من النافذة.

- اجلسوا، أيها الضيوف الكرام. أنت، يا سيد تويرسيتش، هنا.

شغل إيست مكانًا شاغرًا في الطرف الضيق من المائدة، لا يفصله عن الملكة سوى كرسي فارغ، ومقعد دروجدار. جلس باقي القادمين من الجزيرة معًا على اليسار، بين المارشال فيسيجِرد وأبناء الحاكم إستريبت الثلاثة الذين يُنادَون بـ: البزَّاقة، وسُمنة الدبق، وماسِك التل.

مالت الملكة نحو مشير المحافظة: «الجميع تقريبًا حاضر. فلنبدأ، يا فيسيجرد».

صفَّق المشير بيديه. انطلق الغِلمان، حاملين الصحون والأباريق، في طابور طويل نحو المائدة، والضيوف المدعوون يحيُّونهم بهمهمة بهيجة.

كالانثي لم تأكل، على الأغلب، دفعت عنها ما قُدِّم إليها من لقيمات بشوكة فضية. استمر دروجدار، بعد أن التهم شيئًا على عجل، في الضرب على أوتار عوده. أما بقية الضيوف فقد أحدثوا دمارًا في وسط المشوي من الخنانيص،

والطيور، والأسماك، والمحار، حيث تصدَّر أحمر الشعر، كراتش آن كرايت، الحملة. وقد وبَّخ راينفارن من أتري الأمير الشاب ويندهالم بشدة، حتى إنه ضربه على يديه لمحاولته مَدِّهما لبلوغ الإبريق المملوء بعصير التفاح. أبهج كودكوداك جيرانه بتقليد صفير سلحفاة بنت طبق، بعد أن توقف لحظة عن نهش العظام. وأخذ الابتهاج يشتد أواره. ورُفِعَتْ أولى أنخاب الخمر، وشيئًا فشيئًا صار الجو أكثر هوجًا.

عدَّلت كالانثي الطوق الذهبي الضيق على شعرها الرمادي الناصع الذي كان ملفوفًا على شكل دوائر، والتفتت قليلًا تجاه جيرالت المنشغل بسحق قشرة جراد بحري، أحمر كبير.

قالت: «حسنًا، أيها الويتشر. بات الصوت عاليًا من حولنا بما يكفي كي نتبادل عدة كلمات بسرية. لنبدأ من المجاملات المؤدبة. لقد سررتُ بمعرفتك».

- إنه سرور متبادل، أيتها الملكة.
- بعد المجاملات تأتي التفاصيل. لديَّ عمل لك تنفذه.
- هكذا خمنت. نادرًا ما يدعوني أحد إلى وليمة بدافع المحبة الخالصة.
- إذن، على الأرجح لست شريكًا مثيرًا للاهتمام، وأنت في حضرة المائدة. هل من شيء آخر تخمنه؟
- أجل.
- وما هو؟
- سأقوله لكِ، حين أعرف ما المهمة التي ستوكلينها إليَّ، أيتها الملكة.

قالت كالانثي، وهي تفرك بأصابعها عقدًا من قطع الزمرد، كان أصغرها بحجم خنفساء الدودة البيضاء: «جيرالت، ما رأيك، ما المهمة التي يمكن أن تكون للويتشر؟ ما هي؟ حفر بئر؟ ترقيع ثقب في السطح؟ نسج قماش النجود الذي يصور جميع الوضعيات التي جربها الملك فريدانك والفاتنة سيرو في ليلة زفافهما؟ لعلك أنت نفسك أفضل من يعرف على أي شيء تقوم مهنتك».

- نعم، أنا أعرف. والآن يمكنني أن أقول لك ما أخمن، أيتها الملكة.
- أثرت فضولي.

- خمنتُ أنكِ، مثل كثيرين آخرين، تخلطين بين حرفتي ومهنة أخرى، مختلفة تمامًا.

مالت كالانثي بانسيابية نحو دروجدار، الذي كان يعزف على العود، مثيرة انطباعًا أنها شاردة الذهن، وغير حاضرة: «أوه، ومن هم، يا جيرالت، هؤلاء الآخرون الذين يوجد منهم الكثير، والذين كنت كريمًا معهم لتساويني بهم من حيث الجهل؟ وما المهنة التي يخلط هؤلاء الحمقى بينها وبين حرفتك؟».

قال جيرالت بهدوء: «أيتها الملكة، وأنا في طريقي إلى سينترا، قابلت قرويين، وتجارًا، وأقزامًا، يطوفون في القرى للبيع، ونحاسين وحطابين. حدثوني عن آكلة لحوم بشر لديها مخبأ في مكان ما، هنا في الغابات، هو منزل صغير مقام على ثلاث أرجل دجاج ذات مخالب. تحدثوا عن الرعب الذي عشش في الجبال. عن اليعاسيب الضخمة، والثعابين ذات الأسنان. وإن بحثنا جيدًا، قد نعثر أيضًا على مانتيكور. ما أكثر المهام التي يمكن أن ينفذها الويتشر، دون أن يضطر إلى التزين خلالها بأرياش وشعارات غريبة».

- لم تجب عن سؤالي.

- أيتها الملكة، لست أشك في أن التحالف مع إسكيليج، المعقود من خلال زواج ابنتك، ضروري لسينترا. ومن الممكن أيضًا أن أصحاب المكايد الذين يريدون إعاقته، يستحقون أن يتلقوا درسًا، وبطريقة لا يكون فيها الحاكم متورطًا. ولعل أفضل ما يمكن فعله، أن يلقنهم هذا الدرس سيد من ذات القرون الأربعة لا يعرفه أحد، ويختفي بعد ذلك من المشهد. والآن سأجيب عن سؤالك. أنت تخلطين بين حرفتي ومهنة المجرم المأجور. هؤلاء الآخرون الذين عددهم كبير جدًا، هم أولئك الذين في أيديهم السلطة. ليست هذه أول مرة أُستدعى فيها إلى البلاط الذي تتطلب مشكلات الحاكم فيه ضربات بالسيف سريعة. لكنني لم أقتل الناس من أجل المال قطٌّ، سواء كانت القضية قضية خير، أم شر. ولن أفعل ذلك أبدًا.

انتعش الجو حول المائدة حين أخذت الجعة بالتناقص. وجد أحمر الشعر، كراتش آن كرايت، مستمعين ممتنين له حين كان يقص عليهم حكاية معركة ثويث[1]. بعد أن خطَّ خريطة على المائدة بعظمة لحم مغموسة في

(1) ثويث: اسم مدينة على نهر يسمى باسمها في بوفيس، في عالم الويتشر.

الصلصة، علَّم عليها محددًا فيها الوضع التكتيكي، صارخًا بصوت عالٍ. نقنق كودكوداك فجأة، مثل دجاجة نقاقة أكثر من حقيقية، مثبتًا بذلك صواب تلقيبه بهذا الاسم ودقته، ومثيرًا ابتهاجًا شاملًا بين المدعوين، وارتباكًا بين الخدم، المقتنعين بأن الطائر الذي سخر من تيقظهم، تمكن بطريقة ما من التسلل إلى القاعة من الفناء.

ابتسمت كالانثي، لكنَّ عينيها كانتا مغلقتين وغاضبتين: «وها هو القدر قد عاقبني بويتشر مفرط في التخمين. ويتشر يفضح مكايدي وخططي الإجرامية الشائنة، دون أدنى احترام أو حتى على الأقل أدب معتاد. ولكن، ألم يجعل ذلك الافتتان بجمالي، وشخصيتي الأخاذة، من حصافتك أقل صفاء، بطريقة ما؟ لا تفعل ذلك مرة أخرى أبدًا، يا جيرالت. لا تتكلم إلى من هم لديهم السلطة بهذه الطريقة. لن ينسى كثيرون كلمات كهذه تقولها، إنك تعرف الملوك، وتعلم أن لديهم وسائل مختلفة. الخنجر. السم. الزنزانة. القراد المحموم. يوجد مئات، بل آلاف الوسائل التي درج الملوك على استخدامها للثأر لكبريائهم الجريحة. لن تصدق، يا جيرالت، كم هو سهل جرح كبرياء بعض الحكام. نادرًا ما يتحمل أحدهم بهدوء كلمات من مثل: 'لا'، 'لن أفعل'، أو 'أبدًا'. وأكثر من ذلك، يكفي أن يقاطع المرء مثل هذا الشخص، حين يتكلم، أو يقحم ملاحظات غير لائقة، فسيضمن عندئذ تكسير عظامه بالعجلة».

ضمت الملكة راحتي يديها البيضاوين، الضيقتين، معًا، وأسندت شفتيها إليهما برفق، وتوقفت عن الكلام متروِّية. لم يقاطع جيرالت، ولم يُقحم شيئًا من الكلام.

استأنفت كالانثي: «إن الملوك يقسمون الرجال إلى فئتين. يأمرون بعضهم، ويشترون بعضهم الآخر. يناصرون الحقيقة القديمة، المبتذلة، القائلة أن من الممكن شراء أي شخص. أي واحد. والأمر مسألة الثمن، وحسب. هل توافق على ذلك؟ آه، لا داعي لسؤالي هذا. فأنت أساسًا ويتشر، تؤدي عملك وتأخذ أجرك، وفيما يتعلق بك، فإن كلمة «شراء» تفقد دلالتها المُهينة. ثم إن مسألة الثمن في حالتك بديهية، مرتبطة بدرجة صعوبة المهمة، وجودة التنفيذ، والإتقان. وبشهرتك أيضًا، يا جيرالت. فالعُجُز في الأسواق الموسمية يغنُّون عن أفعال الويتشر من ريفيا، ذي الشعر الأبيض. إذا كان نصف ذلك على الأقل صحيحًا، فيمكنني الافتراض أن ثمن خدماتك ليس قليلًا. سيكون إشغالك في

أمور سهلة وتافهة، كمكايد القصور وجرائم القتل، مضيعة للمال. يمكننا هنا تدبير ذلك بأيدٍ أخرى أرخص».

زأر كودكوداك فجأة، وقد حاز إعجابًا لاهبًا لتقليده أصوات حيوان آخر: **«برااك! غاا-برااك!»**.

لم يعرف جيرالت أي حيوان كان ذاك، لكنه لن يرغب أبدًا في أن يلقى شيئًا مثله. أدار رأسه، وقد لاحظ النظرة الخضراء، السامة، الهادئة، من عيني الملكة. عزف دروجدار بصوت خفيض على العود، محني الرأس، محجوب الوجه وراء ستار من الشعر الشائب، المتدلي على يديه وآلته الموسيقية.

قالت كالانثي، مانعة الخادم بإشارة منها أن يصب ليملأ كأسها من جديد: «آه، يا جيرالت. أنا أتكلم، أما أنت فساكت. نحن في وليمة، جميعنا نريد التسلية والاستمتاع جيدًا. هيا سَلِّني. بدأت أفتقد ملاحظاتك الصائبة وتعليقاتك التخمينية. ثم إنني تنقصني مجاملة أو مجاملتان، وتحية الشرف، أو توكيد الطاعة أيضًا. طريقة التسلسل غير مهمة».

قال الويتشر: «حسنًا، أيتها الملكة، لا شك أنني شريك قليل الإثارة للاهتمام عند الجلوس وراء المائدة. لا يمكنني الكف عن الاستغراب، من أنكِ قد منحتِني شرف تبوُّؤ هذا المكان. كان ممكنًا إجلاس شخص مناسب، أكثر مني بكثير، هنا. أي شخص ترغبين فيه. كان يكفي أن تأمري أحدًا ما، أو تشتري أحدًا ما. والقضية مسألة الثمن فقط».

- تكلم، تكلم.

أمالت كالانثي رأسها إلى الخلف، وأغمضت عينيها، مانحة شفتيها مظهر ابتسامة لطيفة.

- وإذن، أتشرف وأشعر بالاعتزاز أنني أجلس إلى جوار الملكة كالانثي من سينترا، التي لا شيء يفوق جمالَها إلا حكمتُها. وبالقدر نفسه من عظيم الشرف، أرى أن الملكة شاءت أن تسمع عني، وبناءً على ما سمعتْهُ، فإنها لا تريد استخدامي في أمور تافهة. في الشتاء المنصرم، حاول الأمير هروبارِك الذي لم يكن عطوفًا أن يستأجرني للبحث عن حسناء، لم تعد تطيق مغازلته الفظة لها، فهربتْ من الباليه، وفقدتْ فردة من نعلها. كان عسيرًا عليَّ إقناعه بأن هذا الأمر يحتاج إلى صياد عظيم، وليس ويتشرًا.

استمعت الملكة، وهي تبتسم ابتسامة ملغزة.

- إن الحكام الآخرين، الذين لا يجارونك، يا سيدة كالانثي، من حيث الحكمة، لم يكفوا عن عرض مهام تافهة عليَّ. وكان همهم القضاء، بطريقة مبتذلة، على حياة ابن الزوج، أو زوج الأم، أو زوجة الأب، أو العم، أو العمة، ويصعب الآن إحصاؤهم. كانوا يرون أن المسألة مسألة الثمن، وحسب.

كانت ابتسامة الملكة يمكنها أن تعني كل شيء.

حنى جيرالت رأسه قليلًا: «لذا أكرر، أنني أكاد أطير فرحًا من اعتزازي بأني أستطيع الجلوس إلى جوارك، يا سيدتي. أما الاعتزاز، فيعني لنا، نحن معشر الويتشر، الكثير، الكثير. لن تصدقي، أيتها الملكة، كم هو كثير. مرة، جَرحَ أحد الحكام كبرياء أحد الويتشريين، بأن عرض عملًا لا يتماشى مع شرف معشر الويتشر وقانونهم. بل أكثر من ذلك، لم يستوعب الرفض المهذب، فأراد منعه من مغادرة قلعته. أكد كل من علقوا على هذا الحدث، بعدئذٍ، مُجمعين أن هذه الفكرة لم تكن أفضل أفكار هذا الحاكم».

قالت كالانثي بعد لحظة صمت: «جيرالت. أنت مخطئ. أنت شريك مثير للاهتمام جدًّا، وأنت تجلس إلى المائدة».

رفع كودكوداك رأسه، وهو ينفض رغوة الجعة عن شاربه ومقدمة قفطانه، وعوى مغنيًا بصوت نافذ في تقليد ناجح، نجاحًا عظيمًا، لذئبة في وقت الدورة التكاثرية. رددت الكلاب من الفناء، ومن كل المنطقة المحيطة، مصاحبة رجع العواء.

علَّم أحد الإخوة من إستريبت، وهو على الأرجح ماسِك التل، بعد أن غمس إصبعه في الجعة، خطًّا غليظًا حول التشكيلة التي رسمها كراتش آن كرايت.

صاح: «خطأ وعدم كفاءة! ما كان يجب تنفيذ ذلك بهذه الطريقة! هنا، على الجناح، كان لا بدَّ من توجيه الخيالة، والهجوم من مُجَنَّبَة الجيش!».

زمجر كراش آن كرايت، خابطًا المائدة بعظْمة، ملطخًا وجوه جيرانه وغلالاتهم بقطرات من الصلصة: «ها! وليضعُف قلب الجيش؟ والوضعية الأساس؟ سخافة!».

- الأعمى فقط، أو المريض عقليًّا، من لا يستخدم المناورة في مثل هذا الموقف!

صرخ ويندهالم من أتري: «هذا هو! هذا هو الصحيح!».

- ومن سألك أيها المتغوِّط الصغير؟

- أنت المتغوط الصغير، لا غيرك!

- سِدَّ بوزك، وإلا شطرتك بهذه العظْمة!

صاح إيست تويرسيتش، مقاطعًا المحادثة مع فيسيجرد: «اجلس على مؤخرتك، واصمت، يا كراتش. كفى، أوقفوا هذه المشاحنات. يا أيها السيد دروجدار! خسارة لموهبتكم! في الحقيقة، إن الاستماع إلى موسيقاكم الرائعة، مع أنها خافتة، يتطلب مزيدًا من التركيز والجدية. توقف عن بلع الطعام وكرع الشراب، يا درايج بون-دهو! لن تثير إعجاب أحد حول هذه المائدة، لا بهذا البلع، ولا بذاك الكرع. هيا انفُخ بمزمار القربة خاصتك، ومتع آذاننا بالموسيقى العسكرية اللائقة. من بعد إذنكِ، أيتها النبيلة كالانثي!».

همست الملكة لجيرالت، رافعة نظرها لحظة، نحو طاق السقف، في استسلام صامت. لكنها نكست رأسها كإشارة موافقة، وابتسمت ابتسامة طبيعية وودودة: «آه، يا أمي».

قال إيست: «درايج بون-دهو. اعزف لنا نشيد معركة كوتبوس! هذا لن يدخل فينا الشكوك على الأقل بشأن تحركات القادة التكتيكية! ولا بشأن من تلفع بمجد خالد هناك! بصحة البطلة كالانثي من سينترا!».

صاح الضيوف، وقد أفرغوا كؤوسهم، وطاساتهم الخزفية: «بالصحة! والمجد!».

أطلق مزمار القِربة، قِربة درايج بون-دهو طنينًا مشؤومًا، ثم انفجر بأنين رهيب، مديد، تطريبي. أخذ المدعوون بترديد النشيد، محدثين الإيقاع اللازم، وذلك بخبط أي شيء بالمائدة. كان كودكوداك يحدق بجشع إلى القربة المصنوعة من جلد الماعز، ولا شك أنه كان مفتونًا بفكرة استخراج النغمات المرعبة، المنبعثة من داخله، ووضعها في قائمة أعماله.

قالت كالانثي، ناظرة إلى جيرالت: «كوتبوس، معركتي الأولى. مع أنني أخشى إثارة سخط الويتشر، المعتز بنفسه، واحتقاره، سأعترف لك أننا كنا، في ذلك الوقت، نتقاتل على المال. فقد أحرق العدو القرى التي كانت تدفع لنا الضرائب، أما نحن، الجشعين والنَّهِمين، بدلًا من السماح لهم بذلك، انطلقنا إلى الميدان. سبب تافه، معركة تافهة، ثلاثة آلاف جثة تافهة نقرتها الغربان.

فانظر فقط، بدلًا من الشعور بالخجل، أجلس باعتزاز كطاووس، فخورة أن الأناشيد تُغنَّى عني. حتى لو كانت على مثل هذه الموسيقى البربرية الفظيعة».

استدعت، من جديد، إلى وجهها محاكاة ابتسامة مليئة بالسعادة والطيبة، برفعها كأسها الفارغة استجابة لأنخاب الخمر المرفوعة على امتداد المائدة الطويلة. ظل جيرالت صامتًا.

قَبِلَتْ كالانثي فخذًا من طير التدرج التي قدمها لها دروجدار، وبدأت تقضمها بإغواء: «فلنكمل. كما قلتُ، لقد أثرتَ اهتمامي. قيل لي إنكم، أنتم معشر الويتشر، طائفة مثيرة، ولم أصدق هذا كثيرًا. والآن أصدق. وأنتم عند الضرب، تصدرون صوتًا يعني أنكم خُلِقتم من فولاذ، لا من براز طيور. بيد أن هذا لا يغير شيئًا من حقيقة أنك هنا لإنجاز مهمة. وستنفذها من غير أن تتذاكى».

لم يبتسم جيرالت باستخفاف وبشاعة، مع أنه شعر برغبة قوية في ذلك. استمر في الصمت.

تمتمت الملكة، مبدية أنها تولي انتباهها كله لفخذ التدرج: «ظننت، أنك ستقول شيئًا ما. أو تبتسم. لا؟ هذا أفضل كثيرًا. هل يمكنني أن أعدَّ الاتفاق بيننا مبرمًا؟».

قال الويتشر بجفاف: «إن المهمات غير الواضحة، لا يمكن تنفيذها بوضوح، أيتها الملكة».

- وما غير الواضح هنا؟ أساسًا، أنت قد خمنت كل شيء على الفور. في الواقع، لديَّ خطط تتعلق بالتحالف مع إسكيليج، وبزواج ابنتي بافيتا. لم تخطئ أيضًا بافتراضك أن هذه الخطط مهددة، ولا بمسألة أنني أحتاج إليك للقضاء على هذا التهديد. ولكن مجال تخمينك انتهى هنا. إن الافتراض المزعوم بأنني أخلط بين مهنتك، ومهنة الساطي المأجور، جرحني بشدة. ضع في رأسك، يا جيرالت، أنني أُعدُّ بين هؤلاء الحكام القلائل الذين يعلمون بالضبط ما يمارس الويتشريون، وبما يجب أن يشتغلوا عليه. من ناحية أخرى، إذا قتل شخص أناسًا، وبمهارة أيضًا مثلما تفعل أنت، ومع أن ذلك ليس من أجل المال، فلا ينبغي أن يستغرب أن الكثيرين سينسبون إليه الاحترافية في هذا المجال. شهرتك تسبقك،

يا جيرالت، وصخبها أعلى من المزمار الملعون، خاصة درايج بون-دهو. كما أن فيها القليل من النوتات السارة.

أنهى زمار القربة حفلته الموسيقية، مع أنه لم يتمكن من سماع كلمات الملكة. كافأه المحتفلون بتهليل حماسي، فوضوي، صاخب، ومن ثم خصصوا وقتهم كله، بحماسة جديدة، للقضاء على احتياطات الطعام والشراب، وتذكُّرِ مسار المعارك المتنوعة، وإلقاء النكات الفاحشة عن النساء. أحدث كودكوداك أصواتًا صاخبة، لكن ما من سبيل كان متاحًا لتوكيد أكانت تلك الأصوات تقليدًا لحيوان آخر، أم محاولة للتخفيف عن المعدة المتخمة بحِمل زائد.

انحنى إيست تويرسيتش بعيدًا فوق المائدة.

قال: «أيتها الملكة، لا بدَّ أن تكون ثمة أسباب مهمة لتخصيص وقتك كله، للسيد من ذات القرون الأربعة، حصريًّا، لكن الوقت قد حان تمامًا لكي نبصر الأميرة بافيتا. فماذا ننتظر؟ أظن، أننا لا ننتظر حتى يثمل كراتش آن كرايت. وهذه اللحظة قريبة».

ابتسمت كالانثي بدفء. لم يتوقف جيرالت عن الدهشة من مدى ثراء ترسانة ابتساماتها. قالت: «أنت محق، كالعادة، يا إيست. في الواقع، لديَّ مسائل شديدة الأهمية للتباحث فيها مع الشريف رافيكس. لا تخفْ، فسأخصص لك وقتًا أيضًا. لكنك تعرف المبدأ الذي أسير عليه: الواجب أولًا، وبعد ذلك المتعة. يا سيد هاكسو!».

رفعت راحة يدها، وأشارت إلى آمر القلعة. نهض هاكسو دون أن ينبس بكلمة، انحنى وركض بسرعة على الدرج، واختفى في الرواق المظلم. التفتت الملكة من جديد إلى الويتشر.

- سمعتَ؟ طال الوقت جدًّا، ونحن نتحدث. إن توقفَّتْ بافيتا عن التجمُّل أمام المرآة، فستكون هنا بعد هُنيهة. فأصغِ فلن أكرر. أريد تحقيق ما اعتزمتُ فعله، وما حزرته أنت مصيب نسبيًّا. لا يمكن أن تكون ثمة حلول أخرى. فيما يتعلق بك، فلديك خيار. قد تُجبَر على التصرف بناءً على أوامري... لا أرى الإسهاب في الحديث عن عواقب العصيان مفيدًا. ستُكافأ على الطاعة، كما يجب أن يكون مفهومًا، بسخاء. أو يمكنك أن تكرمني بخدمة مدفوعة. لاحظ أنني لم أقل «أستطيع شراءك»، لأنني قررتُ عدم إيذاء كبريائك الويتشرية. إنه فرق هائل، أليس كذلك؟

- هذا الفرق الهائل قد أفلت بطريقة مَا من مجال انتباهي.
- إذن، ركز انتباهك أكثر، عندما أتحدث إليك. الفرق، يا عزيزي، يتلخص بأن المشتري يدفع حسب ما تزين له أهواؤه، ومؤدي الخدمة هو نفسه من يحدد ثمنها. واضح؟
- نسبيًّا. فلنفترض، إذن، أنني أختار شكل الخدمة المدفوعة. لكنني، كما أظن، ينبغي لي أن أعرف مأهية هذه الخدمة؟
- لا، لا ينبغي لك. أجل، الأوامر يجب أن تكون محددة، ولا لبس فيها. أما إذا ما تحدثنا عن الخدمة المدفوعة، فالأمر يختلف؟ تهمني النتيجة. ليس إلا. الأمر متروك لك بأي وسيلة تؤمنه لي.

وإذ رفع جيرالت رأسه، لقي نظرة جِوال الفأر السوداء الثاقبة. فتَّت الكاهن من إسكيليج كسرة الخبز التي كان يمسكها بكفه، وهو شارد الذهن، دون أن ينزل بصره عن الويتشر، ثم ترك الفتات تتساقط. نظر جيرالت إلى الأسفل. أمامه، وعلى لوح المائدة المصنوع من خشب البلوط، تحركت الفتات، وحبوب الجريش، وقطع قشور الروبيان الضاربة إلى الحمرة، تحركت بسرعة كالنمل. فشكلت أحرفًا رونية. واندمجت الأحرف الرونية -خلال لحظة- في كلمة واحدة. في سؤال.

انتظر جِوال الفأر، دون أن يغض بصره عنه. أومأ جيرالت برأسه إيماءة، تكاد لا تلاحظ. نكس الكاهن جفنيه مع وجهه الحجري، وكنس الفتات من على المائدة.

صاح المُنذر: «أيها السادة النبلاء! بافيتا من سينترا!».

سكت الضيوف، وهم يديرون رؤوسهم إلى الدرَج. نزلت الأميرة ببطء، يسبقها آمر القلعة، والخادم الملكي ذو الشعر الأشقر والمعطف القرمزي. كان لون شعرها مطابقًا تمامًا لون شعر والدتها -الرمادي الناصع- لكنها جعلته مجدولًا في ضفيرتين سميكتين، تصلان إلى أسفل خصرها. ولم تتزين بافيتا بأي زينة، إلا بالإكليل المرصع بقطعة من حجر كريم، منحوت بإتقان بديع، والحزام الموشَّى بوصلات ذهبية بالغة الصغر، والضاغط على فخذيها بفستان أزرق، فضي طويل.

تبوأت الأميرة كرسيًّا شاغرًا، بين دروجدار وإيست تويرسيتش، وقد سارت إليه في موكب ضم الخادم الملكي، والمنذر، وآمر القلعة، وفيسيجرد.

واهتمَّ على الفور فارس جزيري بتقديم الكأس لها، وراح يسليها بالحديث. لم يلاحظ جيرالت أنها ردَّت بأكثر من كلمة واحدة. كانت عيناها مسبلتين في ثبات، تغطيهما رموش طويلة، طوال الوقت، حتى في أثناء الصخب المرافق لأنخاب الخمر التي كانت تنهال عليها من جهات مختلفة من المائدة. لا شكَّ أن جمالها قد خلق انطباعًا رائعًا في نفوس المحتفلين - فقد توقف كراش آن كرايت عن صريخه، وحدق صامتًا إلى بافيتا، إلى حد أنه نسي كوب جعته. التهم ويندهالم من أتري الأميرة أيضًا بعينيه اللامعتين بتدرجات مختلفة من اللون الأحمر، وكأنه لم تعد تفصله عن ليلة الزفاف سوى بضع حبيبات من رمل الساعة الرملية. وراح أيضًا كودكوداك والإخوة من إستريبت يتفحصون وجه الفتاة الصغير بتركيز مريب.

قالت كالانثي بصوت خافت، وبدا واضحًا أنها مسرورة بالنتيجة: «أها. وماذا تقول يا جيرالت؟ ها هي ذي البنت تشبه أمها تمامًا، إلا أنها لا تتصف بالتواضع الزائف. حتى إنني أشعر بشيء من الشفقة عليها بسبب هذا الثقيل أحمر الشعر، كراتش. أملي كله هو أن من هذا الجرو قد يتخلق شخص من طبقة إيست تويرسيتش. فإن الدم هو نفسه. تسمعني يا جيرالت؟ يجب أن تتحالف سينترا مع إسكيليج، لأن مصالح الدولة تتطلب ذلك. يجب أن تتزوج ابنتي الشخصَ المناسب، فهي ابنتي. هذه هي النتيجة بالذات التي عليك أن تحققها لي».

- أعليَّ تحقيقها؟ أليست إرادتك كافية لكي يحدث ذلك، أيتها الملكة؟
- يمكن للأمور أن تسير بطريقة تكون الإرادة فيها غير كافية.
- وما الذي يمكن أن يكون أقوى من إرادتك؟
- القدر.
- أها. وإذن أنا، الويتشر المسكين، عليَّ مواجهة قدر أقوى من الإرادة الملكية. ويتشر يقاتل القدر! يا لها من سخرية.
- ما السخرية هنا؟
- دعكِ من هذا. أيتها الملكة، يبدو أن الخدمة، التي تطلبينها تقع في حدود المستحيل.

نطقت كالانثي من خلف شفتيها المبتسمتين بتراخ: «لو كانت في حدود الممكن، لاستطعتُ التغلب على الأمر وحدي، ولم أكن لأحتاج إلى جيرالت من

ريفيا ذي الشهرة والمجد. كُفَّ عن التذاكي. كل شيء قابل للتدبير، المسألة مسألة الثمن وحسب. اللعنة، يجب أن يكون في قائمة الأسعار الويتشرية ثمن ما يقع في حدود المستحيل. أخمن أنه ليس قليلًا. حقق النتيجة التي حدثتك عنها، وسأعطيك كل ما تطلب».

- ماذا قلتِ أيتها الملكة؟

- سأعطيكَ ما تطلب. لا أحب أن يطلب مني أحد أن أكرر. أتساءل أيها الويتشر، هل تحاول قبل تكليفك بأي عمل، أن تنفِّر من يوكل لك المهمة بهذه الشدة، كما تفعل معي الآن؟ الوقت يجري. أجب بنعم، أو لا؟

- نعم.

- أفضل. أفضل، يا جيرالت. صارت إجاباتك أقرب كثيرًا إلى الكمال، وأكثر شبهًا بتلك التي أتوقعها حين أطرح الأسئلة. الآن مد يدك اليسرى بتكتم، وتلمس مسند عرشي.

أدخل جيرالت يده تحت البطانة الصفراء المزرقَّة. عثر خلال لحظة تكاد تكون فورية، على سيف مثبت على المسند المغلف بجلد ماعز. سيف يعرفه جيدًا.

قال بصوت خافت: «أيتها الملكة، بصرف النظر عما قلتُ من قبل عن قتل الناس، تدركين طبعًا أن السيف لا يكفي لرد القدر؟».

أدارت كالانثي رأسها: «أدرك. نحتاج أيضًا إلى الويتشر ويده على مقبض سيفه. كما ترى، حرصتُ على ذلك».

- أيتها الملكة...

- ولا أي كلمة أخرى، يا جيرالت. مرَّ وقت طويل جدًّا ونحن نتآمر. إنهم ينظرون إلينا، وإيست سيغضب. تحدث إلى آمر القلعة بعض الوقت. كُل شيئًا، واشرب. لكن ليس كثيرًا. أريد أن تكون يدك واثقة.

امتثل لها. انضمت الملكة إلى المحادثة التي دارت بين إيست، وفيسيجرد، وجِوال الفأر، بمشاركة بافيتا الصامتة والناعسة. وضع دروجدار عوده جانبًا، وراح يعوض عن تأخره في الأكل. كان هاكسو قليل الكلام. سأل المحافظ، ذو الاسم الذي يصعب تذكره الذي يبدو أن أخبارًا تناهت إلى سمعه عن شؤون ذات القرون الأربعة ومشكلاتها، سأل بأدب أكانت الأفراس تلد أمهارها على

https://t.me/fantazynov

نحو جيد. أجاب جيرالت بنعم، وأفضل بكثير من الفحول. لم يكن متأكدًا أكانت النكتة قد لقيت استحسانًا. ولم يطرح المحافظ المزيد من الأسئلة.

كانت عينا جِوال الفأر لا تزالان تبحثان عن تواصل مع عيني الويتشر، بيد أن فتات المائدة توقفت عن الحركة.

أخذت صداقة كراتش آن كرايت وأخوين من الإخوة مِن إستريبت تتوطد أكثر. ثالث الإخوة، الأصغر، لم يعد صالحًا للاستخدام، بعد محاولته مواكبة وتيرة الشرب التي فرضها درايج بون-دهو. وقد تبدى أن شاعر البلاط خرج من هذه المحاولة سالمًا.

ردَّد المجتمعون في آخر المائدة، وهم موظفون إداريون أصغر سنًّا، وأقل شأنًا، أغنية معروفة كاذبة عن جَدْيٍ صغير ذي قرنين، وجَدَّةٍ تحب الانتقام، ولا تتحلى بروح الدعابة.

هُرِعَ خادم أجعد الشعر، ونقيب الحرس بألوان سينترا الصفر المزرقة إلى فيسيجرد. استمع المشير، عابسًا، إلى المعلومة التي أخبر بها، فنهض ووقف خلف العرش، انحنى بشدة إلى الأسفل، وتمتم بشيء للملكة. ألقت كالانثي نظرة سريعة على جيرالت، وأجابت بإيجاز، بكلمة واحدة. انحنى فيسيجرد أكثر، وهمس، نظرت الملكة إليه بحدة، ودون أن تنبس بكلمة، خبطت على مسند العرش براحة يدها المبسوطة. أحنى المشير رأسه، وأصدر أمرًا لنقيب الحرس. لم يسمع جيرالت ما فحوى ذاك الأمر. لكنه لاحظ أن جِوال الفأر كان يتحرك بقلق، وينظر إلى بافيتا. كانت الأميرة تجلس ساكنة، منكسة رأسها.

دوى في القاعة وقع خطوات ثقيلة، لها صوت كخشخشة المعادن، مخترقة صخب اللغو عند المائدة. رفع الجميع رؤوسهم إلى الأعلى، وأداروها.

كان الشكل الذي راح يقترب متدرعًا درعًا مركبًا من صفائح حديد وجلد مدبوغ في الشمع. انزاحت صفيحة الصدر المقوسة، البارزة الحافات، المصبوغة باللونين الأسود والأزرق، انزاحت إلى الأحزمة المجزَّأة وواقيتي الفخذين القصيرتين. انتصبت ألواح الكتفين المصفحة بالأشواك الفولاذية الحادة، وكان القناع، بحجابه المشبك على نحو كثيف، والممطوط على شكل بوز كلب، أيضًا مرصَّعًا بزوائد حادة كقشرة الكستناء.

اقترب الزائر الغريب من المائدة، مقرقعًا ومخشخشًا، ووقف ساكنًا قبالة العرش.

تحدَّث الوافد الجديد من خلف حجاب خوذته، منحنيًا انحناءة لا مرونة فيها: «الملكة المشرفة، السادة النبلاء. اغفروا لي أنني عكَّرتُ صفو وليمتكم العامرة. أنا القنفذ من إرلينفالد».

قالت كالانثي ببطء: «نرحب بك، أيها القنفذ من إرلينفالد. خذ مكانك حول المائدة. نحن في سينترا نفرح بكل ضيف».

انحنى القنفذ من إرلينفالد مرة أخرى، ولمس صدره بقبضته المدسوسة في قفاز من حديد: «شكرًا أيتها الملكة. بيد أنني لم أجئ إلى سينترا ضيفًا، بل لأمر مهم، ولا يحتمل التأخير. إذا سمحت الملكة كالانثي، سأطرح قضيتي على الفور، ودون إضاعة وقتكم».

قالت الملكة بحدة: «أيها القنفذ من إرلينفالد. إن الاهتمام الجدير بالثناء بوقتنا لا يسوِّغ عدم الاحترام. وهكذا هو التحدث معي من خلف منخل حديدي. لذا اخلع خوذتك. سنتحمل بتدبير ما إضاعة الوقت الذي سيأخذه منك هذا الفعل».

- يجب أن يظل وجهي، أيتها الملكة، مغطى في الوقت الحالي. بعد إذنك.

سرت همهمة غاضبة وسط المجتمعين، ولغط أخذ يشتد هنا وهناك بشتائم تلوكها الأسنان. حرك جِوال الفأر شفتيه دون صوت، حانيًا رأسه. أحس الويتشر كيف كهربت التعويذة الهواء في ثانية واحدة، وكيف حركت ميداليته. نظرت كالانثي إلى القنفذ، مضيقة عينيها، وطارقة بأصابعها مسند العرش.

وأخيرًا قالت: «آذنُ لك. وأريد أن أصدق أن الدافع الذي يسيِّرك مهم بما يكفي. قل إذن، ما الذي أتى بك، أيها القنفذ عديم الوجه».

قال الوافد: «شكرًا على الإذن. لكنني، وأنا غير قادر على تحمل اتهامي بعدم الاحترام، أوضح أن الأمر يتعلق بقَسَم الفروسية. ممنوع عليَّ أن أكشف عن وجهي قبل حلول منتصف الليل».

أكدت الملكة، وهي ترفع يدها عرضًا، أنها تقبل التوضيح. تقدم القنفذ إلى الأمام، مقرقعًا بدرعه الشائك.

أعلن بصوت عالٍ: «منذ خمسة عشر عامًا، يا سيدة كالانثي، تاه زوجك الملك روجنِر، إذ كان في الصيد في إرلينفالد. وحين كان هائمًا في أراضٍ وعرة، سقط من على حصانه في وادٍ سحيق، وأصابه التواء في الساق. ارتمى

في قاع الخانق، وصار ينادي طلبًا للمساعدة، لم يجبه إلا فحيح الأفاعي وعواء المستذئبين المقتربين إليه. كان سيموت حتمًا، لولا المساعدة التي تلقاها».

أكدت الملكة: «أعلم أن الأمر هكذا كان. ولما كنت تعلم ذلك أيضًا، فإني أخمن أنك أنت من قدم له المساعدة».

- أجل. وفقط بفضلي أنا عاد إلى القصر سالمًا كاملًا. إليكِ، يا سيدتي.
- إذن، أنا مدينة لك بالامتنان، أيها القنفذ من إرلينفالد. إن هذا الامتنان لا يقلل من حقيقة أن روجنر، سيد قلبي وفِراشي، قد رحل من هذا العالم فعلًا. سيسعدني أن أسأل، بأي طريقة يمكنني أن أظهر لك هذا الامتنان، لكنني أخشى أن يسيء مثل هذا السؤال إلى فارس نبيل، أقسَمَ قسَم الفروسية، ويسيِّر أفعاله كلها على هدي قانون الفروسية. فأنا سأفترض أن المساعدة، التي قدمتها للملك، لم تكن خالصة، دون أي منفعة.
- تعلمين جيدًا، أيتها الملكة، أنها لم تكن خالصة، دون منفعة. وتعلمين أيضًا أنني جئت لأخذ المكافأة، التي وعدني بها الملك مقابل إنقاذ حياته.

ابتسمت كالانثي، لكن شررًا أخضر ومض في عينيها: «آه، هكذا؟ إذن، أنت وجدت الملك في قاع الخانق، أعزل، جريحًا، قد تُرك هدية للأفاعي والوحوش. وفقط عندما وعدكَ بمكافأة أسرعت لإنقاذه؟ ولو لم يشأ، أو لم يستطع أن يعدك بمكافأة، لكنتَ تركته هناك، ولما كنتُ عرفتُ، حتى يومنا هذا، أين تُبلَى عظامه؟ آه، يا للنبالة. بكل تأكيد، كان سلوكك في ذلك الوقت يسير على هدي قَسَم فروسية شديدة الخصوصية».

تصاعدت شدة الغمغمة بين المجتمعين.

واصلت الملكة الحديث، مبتسمة ابتسامة تنذر بالسوء أكثر فأكثر: «واليوم تأتي لأخذ مكافأتك، يا قنفذ؟ بعد خمسة عشر عامًا؟ ولعلك تعوِّل على الحصول على الفوائد المترتبة على المبلغ المستحق التي تزايدت خلال ذلك الوقت؟ هنا ليس بنك الأقزام، يا قنفذ. تقول إن روجنر وعدك بمكافأة؟ حسنًا، سيكون من الصعب إحضاره إلى هنا لكي يدفع لك. ربما سيكون من الأسهل إرسالك إليه، إلى العالم الآخر. هناك ستتفقان على مَن بمَ يدين لمن. أحببتُ زوجي كثيرًا، يا قنفذ، إلى درجة أنني ما كنت أقدر على التوقف عن



التفكير في أنني كان يمكن أن أفقده حينذاك، قبل خمسة عشر عامًا، لو أنه لم يشأ مساومتك. إن التفكير في ذلك يثير فيَّ شعورًا ليس لطيفًا كثيرًا نحو شخصك. أيها الغريب المقنَّع، هل تعلم أنك أنت الآن، هنا في سينترا، في قصري وأمام قدرتي، عاجز أيضًا وقريب من الموت، كما كان روجنر وقتذاك، في قاع الخانق؟ أستعرض عليَّ شيئًا ما، ثمنًا ما، مكافأة ما، إذا وعدتكَ بأنك ستخرج من هنا حيًّا؟».

ارتجفت الميدالية على رقبة جيرالت، واهتزت بشدة. ألقى الويتشر نظرة سريعة على جِوال الفأر، واحتكَّ ببصره الثاقب والقلق قلقًا واضحًا. هز رأسه قليلًا، ورفع حاجبيه متسائلًا. نفى الكاهن كذلك، وأشار وبحركة تكاد لا تُلاحَظ من لحيته الشعثاء إلى القنفذ. لم يكن جيرالت متأكدًا.

صاح القنفذ: «كلماتك أيتها الملكة، معدَّة من أجل تخويفي. ولإثارة غضب السادة النبلاء المجتمعين هنا. وازدراء ابنتك الجميلة بافيتا. وفوق كل شيء، كلماتك غير صحيحة. وأنت تعرفين ذلك جيدًا!».

بانت على شفتي كالانثي تكشيرة قبيحة جدًّا: «بكلمات أخرى، أنا أكذب مثل كلب».

تابع الوافد كلامه، دون اكتراث: «تعرفين جيدًا، أيتها الملكة، ما حدث في ذلك الوقت في إرلينفالد. تعلمين أن روجنر، بعد إنقاذه، هو نفسه، وبمحض إرادته، قد أقسم أن يعطيني كل ما أطلب. أدعو الجميع ليكونوا شهودًا على ما سأقوله الآن! عندما أُنقِذ الملك من المغامرة السيئة، ونُقِل إلى جوار حاشيته، سألني مرة ثانية ماذا أطلب، فأجبته. طلبت منه أن يعد بأن يعطيني ما ترك في المنزل، وهو ما لا يعرفه ولا يتوقعه. وأقسم الملك إن ذلك سيحدث. وبعد عودته إلى القصر وجدكِ، يا كالانثي، قد ولدتِ. نعم، أيتها الملكة، لقد انتظرتُ هذه الأعوام الخمسة عشر، وتراكمت الفائدة على مكافأتي. اليوم، عندما أنظر إلى بافيتا الحسناء، أرى أن الانتظار كان يستحق كل هذا العناء! أيها السادة والفرسان! قسمٌ منكم جاء إلى سينترا ليطلب يد الأميرة. وأنا أعلن أنكم جئتم إلى هنا عبثًا. أصبحت بافيتا الحسناء لي، بقوة القسَم الملكي، ومنذ اليوم الذي ولدتْ فيه!».

انفجرت ضجة بين الضيوف. راح أحدهم يصرخ، وثانٍ يشتم، وآخر يخبط المائدة بقبضته، قالبًا الأواني. انتزع ماسِك التل من إسترِيبت سكينًا من بين

لحم الضأن المشوي، ولوح بها. من الواضح أن كراتش آن كرايت كان يحاول، منحنيًا، معرفة أكان ممكنًا كسر لوح من حامل المنضدة.

صرخ فيسيجرد: «إنه أمر لا يصدق! ما الأدلة التي لديك؟ الأدلة؟».

صاح القنفذ، ساحبًا كفه من قفازه الحديدي: «وجه الملكة، خير دليل!».

جلست بافيتا ساكنة، ولم ترفع رأسها. تكاثف شيء غريب جدًّا في الهواء. كانت ميدالية الويتشر تتدافع على السلسال تحت السترة. رأى كيف نادت الملكة الخادم الملكي، الواقف خلف العرش، بإيماءة منها، وهمست له بأمر قصير. لم يسمع جيرالت ما الأمر. لكن الدهشة التي ارتسمت على وجه الصبي، والأمر الذي كان لا بدَّ من تكراره، هما ما شغلا فكر الويتشر. هُرِعَ الخادم نحو المخرج.

لم يخفت الضجيج حول المائدة. وتوجه إيست تويرسيتش إلى الملكة.

قال بهدوء: «كالانثي. أهو يقول الحقيقة؟».

نطقت الملكة بامتعاض، عاضَّة على شفتيها، وساحبة الوشاح الأخضر على ذراعها: «حتى إن كان كذلك، فماذا؟».

عبس إيست: «إن كان يقول الحقيقة، فيجب الوفاء بالوعد».

- حقًّا؟

سأل الجزيري بكآبة: «هل عليَّ أن أفهم أنك تتعامل مع جميع الوعود بالقدر نفسه من عدم الاكتراث؟ بما في ذلك، تلك التي حُفِرَتْ في ذاكرتي جيدًا؟».

تفاجأ جيرالت الذي لم يتوقع قطُّ أن يبصر على وجه كالانثي حمرة عميقة الغور، وعينين رطبتين، وشفتين مرتجفتين.

همست الملكة: «إيست. هذا شيء مختلف...».

- حقًّا؟

زعق كراتش آن كرايت بطريقة غير متوقعة، هابًّا من مكانه: «آه، أنت يا ابن الكلب! آخر أحيمق، زعم أنني فعلت شيئًا عبثًا، مزقته السلطعونات في قاع خليج ألينكِر! لم أبحر من إسكيليج إلى هنا لأعود خالي الوفاض! لقد ظن نفسه منافسًا ابن العاهرة! هيا، فليحضر أحدهم سيفي، وأعطوا هذا المأفون حديدة، هنا فورًا! وسنرى حالًا مَن...».

قال إيست بطريقة لاذعة، وهو يتكئ بقبضتيه على المائدة: «هلا أغلقت فمك قليلًا يا كراتش؟ يا درايج بون-دهو! أحملك مسؤولية ما سيأتي من سلوك ابن أخت الملك!».

صرخ راينفارن من أتري، وهو ينهض: «وتُسكتني أنا أيضًا، يا تويرسيتش؟ من يجرؤ على منعي من أن أغسل بالدم الإهانة، التي وُجِّهَتْ هنا إلى أميري؟ وإلى ابنه ويندهالم، وهو الوحيد الذي يستحق يد بافيتا وغرفة نومها! هاتوا السيوف! هنا، حالًا، على الفور، وسأثبت لذاك القنفذ، ولا أدري إن كان هكذا يُسمى، كيف نثأر في أتري لمثل هذه الإهانات! تُرى، هل من أحد، أو شيء ما، يقدر على إيقافي لفعل ذلك؟».

قال إيست تويرسيتش بهدوء: «أجل. مراعاة للعادات الحميدة. لا يجوز الشروع بالتقاتل هنا، أو تحدي أي شخص دون الحصول أولًا على موافقة سيدة هذا المنزل. ما هذا، هل قاعة عرش سينترا حانة، يمكن لأحدكم فيها أن يلطم بوز الآخر، ويطعنه بالسكاكين، وقتما شاءت أهواؤه؟».

من جديد، بدأ الجميع يتصارخون، وراحوا يتشاتمون، ويلوحون بأيديهم. خفتَ الشغب، كما لو أنه قُطِعَ بسكين، إذ دوى في الغرفة فجأة زعيق قصير، وحانق من بيسون مُهيَّج.

قال كودكوداك محشرجًا، وهو ينهض من كرسيه: «نعم، لقد أخطأ إيست. لم تعد القاعة تبدو حتى كأنها حانة. إنها شيء على هيئة حديقة حيوانات، لذا كان البيسون موجودًا هنا أيضًا. كالانثي المشرَّفة، اسمحي لي أن أقول رأيي في المشكلة التي أمامنا هنا».

قالت كالانثي باستفاضة: «كثير من الأشخاص، كما أرى، لديهم آراؤهم الخاصة حول هذه المشكلة، ويبوحون بها حتى دون إذن مني. غريب، لماذا لا تثيركم مشكلتي الخاصة؟ وفق رأيي الشخصي، فإن انهيار هذا القصر اللعين على رأسي، أسرع حدوثًا من إعطاء بافيتا لغريب الأطوار هذا. لا نية لي بتاتا أن...».

- إن قسَم روجنر...

بدأ القنفذ الكلام، لكن الملكة قاطعته على الفور، وقد خبطت الكأس الذهبية بالمائدة.

- إن قسَم روجنر يهمني بقدر أهمية ثلج العام المنصرم! أما في ما يخصك، يا قنفذ، فأنا لم أقرر بعد، إذا ما كنت سأسمح لكراتش، أو راينفارن، بلقائك على أرض المعركة، أو ببساطة، إذا ما كنتُ سآمر بشنقك. وأنت تقاطعني عندما أتحدث، تؤثر بدرجة كبيرة في قراري!

جيرالت الذي لا يزال قلقًا من اهتزاز ميداليته، كان ينظر في أرجاء القاعة، فجأة التقى بصره عيني بافيتا الخضراوين كالزمرد، مثل مقلتي أمها. لم تعد الأميرة تخفيهما تحت رموشها الطويلة؛ نقلتهما من جِوال الفأر إلى الويتشر، غير مكترثة بالآخرين. عَمِهَ جِوال الفأر، وتمتم بشيء وهو يحني ظهره.

حشرج كودكوداك، الذي كان لا يزال واقفًا، حشرجة مديدة.

أومأت الملكة: «تكلم. ادخل الموضوع مباشرة، وأوجز ما أمكن».

- تحت أمرك، أيتها الملكة. كالانثي المشرَّفة، وأنتم أيها الفرسان! في الحقيقة، لقد وضع القنفذ من إرلينفالد مطلبًا غريبًا أمام الملك روجنر، وطالبه بمكافأة غريبة، حين صرح له الملك بتحقيق كل أمنية يطلبها. لكن دعونا لا نتظاهر بأننا لم نسمع بمَثل هذه المطالب، وبقانون المفاجأة القديم قدم البشرية. بالثمن الذي يمكن أن يطلبه الشخص الذي ينقذ حياة شخص ما في موقف كان يبدو أنه ميؤوس منه، والذي يحقق أمنية، كانت تبدو أنها مستحيلة. «ستعطيني أول شيء يخرج لك لتحيا». تقولون، يمكن أن يكون كلبًا، أو حارسًا عند البوابة، أو حتى الحماة التي نفد صبرها لتزمجر صارخة على صهرها العائد إلى المنزل. أو: «ستعطيني ما تجده في منزلك، ولا تتوقعه». وبعد أوبة من رحلة طويلة، أيها السادة الكرام، وعودة غير متوقعة، عادة ما يكون ذلك الشيء عشيقًا في سرير الزوجة. لكن، يحدث أحيانًا أن يكون طفلًا. طفلًا يختاره القدر.

عقدت كالانثي حاجبيها: «أوجز، يا كودكوداك».

- تحت أمرك. أيها السادة! أما سمعتم بالأطفال الذين اجتباهم القدر؟ ألم يُعطَ البطل الأسطوري، زاتريت فوروتا، للأقزام عندما كان طفلًا، لأنه كان أول من لقيه والده، حين عاد إلى الحامية؟ والمجنون داي الذي أُرغِم مسافرًا على إعطاء ما ترك في منزله، ولم يكن يعلم ما هو؟ وهذه المفاجأة كانت لسوبري الشهير الذي حرر لاحقًا المجنون داي

من اللعنة الجاثمة عليه. تذكروا أيضًا زيفيلينا، التي أصبحت ملكة على ميتينا بفضل قضية القزم رمبليستلت، وفي مقابل ذلك وعدته بطفلها الأول. لم تفِ زيفيلينا بوعدها، عندما جاء رمبليستلت لأخذ المكافأة، فأجبرته بالسحر على الهرب. بعد مدة وجيزة، ماتت هي والطفل بالجائحة. لا يمكن العبث بالقدَر دون عقاب.

تجهمت كالانثي: «لا تخوفني، يا كودكوداك. منتصف الليل يقترب، وهو وقت المخاوف. هل تتذكر أي أساطير أخرى من طفولتك التي كانت من دون شك صعبة؟ إن لم يكن كذلك، فاجلس».

فتل البارون شاربه الطويل: «أستعطف كرمكم لمواصلة الوقوف. أود أن أذكِّر الجميع بأسطورة أخرى. إنها أسطورة قديمة منسية، أظن أننا، كلنا، سمعناها في طفولتنا الصعبة. وفَّى الملوك في هذه الأسطورة بوعودهم التي قدموها للناس. ونحن، المـُقـْطـَعين المساكين، لا تربطنا بالملوك سوى الكلمة الملكية: وعليها ترتكز المعاهدات، والتحالفات، وامتيازاتنا، وإقطاعاتنا. ثم ماذا؟ علينا أن نشك في هذا كله؟ أن نرتاب من حرمة الكلمة الملكية؟ أن ننتظر حتى تصير أهميتها بقدر أهمية ثلوج العام المنصرم؟ في الحقيقة، إذا كان الأمر سيسير على هذه الشاكلة، فتنتظرنا بعد الطفولة الصعبة شيخوخة صعبة!».

زعق راينفارن من أتري: «إلى جانب من تقف أنت، يا كودكوداك؟».

- اهدأ! دعه يتكلم!

- هذا النقَّاق المنتفخ بالعدوى يهين صاحبة الجلالة!

- البارون من تيج على حق!

قالت كالانثي فجأة، وهي تنهض: «اصمتوا. دعوه يكمل».

انحنى كودكوداك: «الشكر الجميل. لقد انتهيت الآن».

ساد صمت غريب، بعد الضجة التي أثارتها كلمات البارون قبل لحظات. كانت كالانثي لا تزال واقفة. لم يظن جيرالت أن يكون أحد غيره قد أدرك ارتجاف يدها التي فركت بها جبهتها.

وأخيرًا تحدثت: «يا سادتي، أنتم تستحقون أن أشرح لكم. نعم، هذا... القنفذ... يقول الحقيقة. لقد أقسم روجنر له حقًا، على ما لم يتوقعه. يبدو أن

ملكنا المأسوف عليه كان ساذجًا في شؤون النساء، ولم يكن يجيد العد إلى تسعة... ولم يعترف لي بالحقيقة إلا وهو على فراش الموت. لأنه كان يعلم ما سأفعل به، لو اعترف بهذا القسَم في وقت سابق. كان يعرف ما تقدر أن تفعله الأم التي يُتصرَّف بطفلها بمثل هذه الدرجة من التهور».

صمت الفرسان والمشرفون. وقف القنفذ ساكنًا كتمثال حديدي شائك.

وتابعت كالانثي: «أما كودكوداك، حسنًا، ذكرني كودكوداك أنني لست أمًّا، بل ملكة. لا بأس إذن. بصفتي ملكة، سأعقد المجلس غدًا. سينترا ليست بلد استبداد. سيقرر المجلس، أكان قسَم الملك الراحل سيحدد مصير وارثة العرش. وسيقضي أكان يجب تسليمها، هي وعرش سينترا أيضًا، لأفَّاق، أو أكان ينبغي التصرُّف حسب ما يتفق مع مصالح المملكة».

صمتت كالانثي لحظة، ونظرت بطرف عينها إلى جيرالت.

- أمَّا ما يخص الفرسان النبلاء الذين وفدوا إلى سينترا على أمل طلب يد الأميرة... فلم يتبقَّ لي إلا أن أعبر عن شديد أسفي لما تعرضوا له هنا من خدش للكرامة وإهانة للشرف. من جراء السخرية التي لحقت بهم. لست أنا المذنبة في ذلك.

وسط همهمة الأصوات التي سرت بين الضيوف، التقط الويتشر ما همس به إيست تويرسيتش.

قال الجزيري لاهثًا: «أقسم بكل آلهة البحر. هذا لا يجوز. إنه تحريض واضح على إراقة الدماء. أنت، يا كالانثي، تحرضينهم ليس إلا...».

هسهست الملكة بشراسة: «اخرس، يا إيست. فسأغضب».

لمعت عينا جِوال الفأر السوداوان، حين أشار بهما الكاهن إلى راينفارن من أتري الذي كان يتهيأ للنهوض مكفهرًا وكئيب الوجه. كان رد فعل جيرالت فوريًّا، فتجاوزه، ووقف أولًا، وهو يهز كرسيه بصخب.

قال بصوت عالٍ رنان: «لعل عقد المجلس لن يكون ضروريًّا».

صمتوا جميعًا، ناظرين إليه بدهشة. أحس جيرالت بنظرة بافيتا الزمردية، وببصر القنفذ من خلف ثقوب قناعه الأسود، ينصبَّان عليه، وأحس أيضًا **بالقوة** تتجمع كموجة طوفان، تتصلب في الهواء. رأى كيف الدخان المنبعث من المشاعل والفوانيس، بدأ يتخذ أشكالًا خيالية تحت تأثير هذه **القوة**. كان

يعلم أن جِوال الفأر يرى ذلك أيضًا. وكان يعلم أيضًا أن لا شخصَ آخرَ يمكنه رؤيته.

كرر بهدوء: «قلت قد يكون عقد المجلس ليس ضروريًّا. هل تفهم ما أعنيه، أيها القنفذ من إرلينفالد؟».

تقدَّم الفارس الشائك إلى الأمام خطوتين مقرقعتين.

قال بصوت كتيم من خلف قناع خوذته: «أفهم. أحمق من لن يفهم. سمعتُ ما قالته، قبل لحظات، السيدة الرحيمة والنبيلة كالانثي. لقد وجدتْ طريقة رائعة للتخلص مني. أقبلُ تحديك، أيها الفارس الذي لا أعرفه!».

قال جيرالت: «لا أتذكر أنني دعوتك للتحدي. لا أنتوي مبارزتك، أيها القنفذ من إرلينفالد».

نادت كالانثي، وهي تعوج شفتيها، ناسية أن تسمي الويتشر بلقب «النبيل رافيكس»: «جيرالت! خفف الوطء! لا تَضعْ صبري على محك الاختبار!».

أضاف راينفارن على نحو ينذر بالسوء: «وصبري أيضًا».

أما كراتش آن كرايت، فهدر بغضب فقط. أظهر له إيست تويرسيتش قبضته المشدودة بإيماءة ذات مغزى. هدر كراتش بصوت أعلى.

راح جيرالت يتكلم: «لقد سمع الجميع، كيف تحدث البارون من تيج عن الأبطال المشهورين، الذين أُخِذوا من والديهم بقوة القسم نفسه الذي ألحَّ القنفذ به على الملك روجنر. لكن لماذا، ولأي غرض، يطلب أحدهم مثل هذه الأيمان؟ أنت تعرف الجواب، أيها القنفذ من إرلينفالد. فمثل هذا القسم قادر على خلق رابطة مصيرية قوية لا تنفصم، بين من يتطلب القسم ومادته، أي الطفل-المفاجأة. قد يكون هذا الطفل، الذي اختاره مصير أعمى، مقدرًا لأشياء غير عادية. قد يكون قادرًا على أداء دور عظيم الأهمية في حياة من يربطه القدر به. لهذا السبب تحديدًا، يا قنفذ، سألتَ روجنر عن الثمن الذي تَطلبه اليوم. أنت لا تريد عرش سينترا. تريد أن تأخذ الأميرة».

ضحك القنفذ بصوت عالٍ: «الأمر كما تقول بالضبط، أيها الفارس الذي لا أعرفه. هذا ما أطلبه بالتحديد! أعيدوا إليَّ هذه التي هي قدري!».

قال جيرالت: «يجب إثبات ذلك».

- أتجرؤ على الشك في ذلك؟ بعدما أكدت الملكة صحة كلماتي؟ بعد ما قلته، أنت نفسك، قبل لحظة؟

- أجل. لأنك لم تحدثنا بكل شيء. قد عرف روجنر، يا قنفذ، قوة **قانون المفاجأة** وأهمية اليمين التي حلفها. وقد حلفها، لأنه كان يعلم أن للقانون والعرف منعة حامية لمثل هذه الأيمان. منعة حارسة حتى تتحقق، حين تؤكدها قوة القدر فقط. أقول، أيها القنفذ، إنه ليس لك على الأميرة، حتى الآن، أي حقوق. ستكسبها فقط عندما...

- عندما ماذا؟

- عندما توافق الأميرة نفسها على الذهاب معك. هذا ما ينص عليه **قانون المفاجأة**. موافقة الطفل، لا الوالدين، هي التي تؤكد القسَم، وتثبت أن الطفل وُلِدَ حقًّا في ظل القدر. لهذا السبب عدتَ بعد خمسة عشر عامًا، أيها القنفذ. فهذا الشرط، أدخله الملك روجنر إلى القسَم.

- من أنتَ؟

- أنا جيرالت من ريفيا.

- من أنت، يا جيرالت من ريفيا، حتى تريد أن تصنع من نفسك مرجعية في مسائل الأعراف والقوانين؟

قال جِوال الفأر بصوت خشن: «إنه يعرف هذا القانون أفضل من أي شخص آخر، لأنه طُبِّقَ عليه في وقت مضى. فقد أُخِذَ من منزل والديه حينذاك، لأنه كان الشخص الذي لم يتوقع والده أن يجده في بيته بعد عودته. لأنه كان مقدرًا لشيء آخر. وبقوة القدر، أصبح كما هو الآن».

- ومن هو؟

- ويتشر.

دق الجرس في غرفة المحرس، خلال الصمت الذي أرخى ظلاله، معلنًا بنبرة كئيبة، منتصف الليل. ارتجفوا جميعًا، رافعين رؤوسهم عاليًا. أظهر جِوال الفأر، وهو ينظر إلى جيرالت، تعبيرًا غريبًا مدهوشًا على قسمات وجهه. لكن أكثر ما لفت النظر أن القنفذ اقشعرَّ، وتحرك باضطراب. سقطت يداه اللتان كانتا في القفازين المصفحين، منفلتتين على جانبيه، وراحت خوذته الشائكة تتأرجح بتردد.

قوة غريبة مجهولة، تكاثفت بغتة، كضباب أشيب، مالئة القاعة.

قالت كالانثي: «هذا صحيح. إن الذي بيننا هنا، جيرالت من ريفيا، هو ويتشر. مهنته جديرة بالاحترام والتقدير. قد ضحى كثيرًا لحمايتنا من الأهوال والكوابيس التي يحملها الليل، وتبعث بها قوى شريرة تؤذي الناس. إنه يقتل كل فزاعة، وكل وحش يتربص بنا في الغابات والأودية. وأيضًا كل من لديه الوقاحة للمرور على مقارِّنا».

ظل القنفذ صامتًا.

ثم تابعت الملكة، رافعة يدها المحلاة بالخواتم: «وبعد، فلينفذ القانون، وليتحقق القسَم الذي تطالب بتحقيقه، أيها القنفذ من إرلينفالد. لقد دقت ساعة منتصف الليل. قسمك الآن لم يعد ساري المفعول. اخلع القناع. قبل أن تفصح ابنتي عن إرادتها، قبل أن تقرر مصيرها، دعها ترى وجهك. كلنا نرغب في رؤية وجهك».

رفع القنفذ من إرلينفالد كفه المصفحة ببطء، وسحب رباط خوذته، ثم خلعها ممسكًا بها من النتوء الحديدي، وقذفها إلى الأرض بقرْقعة. صرخ أحدهم، وشتم ثانٍ، وسحبَ آخرُ نفَسَ هواء مُرفَقًا بصفير. ارتسمت ابتسامة غاضبة، غاضبة جدًّا، على وجه الملكة. ابتسامة انتصار قاسٍ.

من فوق صفيحة الصدر العريضة، نصف الدائرية، حدق إليهم انتفاخان أسودان، نافران، من عينين تتبوآن جانبي خطم مفلطح ممدود، مغطى بشعر أشعث أحمر، مِسلح بشعيرات راجفة، ومليء برواشم حادة لونها أبيض. تقنفذ رأس الشكل الواقف في وسط القاعة، وعنقه، بعُرف من أشواك قصيرة رمادية متحركة.

تكلم المخلوق: «هكذا أبدو تحديدًا، كما تعلمين جيدًا، يا كالانثي. لم يستطع روجنر، وهو يتحدث عن المغامرة التي حدثت له في إرلينفالد، أن يقفز عن وصف من كان يدين بحياته له. وقد أقسم له ما أقسم، بصرف النظر عن شكله. لقد أعددتِ نفسك جيدًا لوصولي، أيتها الملكة. إن رفضك المتعالي والمزدري للوفاء بالكلمة قد أشار به عليكِ أتباعكِ المـُقـْطـَعون. حين فشلتْ محاولة تحريض الخُطَّاب الآخرين عليَّ، كان لا يزال لديكِ في فرق الاحتياط ويتشر قاتل، يجلس عن يمينكِ، رهن يديكِ. وأخيرًا، الخداع التافه المتدني. أردتِ إذلالي، يا كالانثي. فاعلمي أنكِ قد أذللتِ نفسكِ».

وقفت كالانثي، واتكأت بقبضتها المشدودة على وركها: «كفى. فلننتهِ من هذا. بافيتا! ترين من، أو بالأحرى ما، يقف أمامك ويدعي أن له حقًّا عليكِ. وفقًا **لقانون المفاجأة** والعرف الخالد، القرار لكِ. أجيبي. كلمة واحدة منك تكفي. فإن قلتِ «نعم»، أصبحتِ مِلكًا، وفريسة لهذا الوحش. وإن قلتِ «لا»، لن تلمحيه مرة أخرى أبدًا».

ضغطت **القوة** النابضة في القاعة على صدغي جيرالت بطوق حديدي، وهدرت في أذنيه، وصلَّبت شعر عنقه. نظر الويتشر إلى مفاصل أصابع جِوال الفأر، التي راحت تبيضُّ، مشدودة على حافة المائدة. وإلى السائل الرقيق من العرق جرى على خد الملكة نحو الأسفل. وإلى فتات الخبز على المائدة، المتحركة كالديدان، مشكلة أحرفًا رونية، تتفرق، ثم تتجمع معًا من جديد في كتابة واضحة: **احذر!**

كررت كالانثي: «بافيتا! أجيبي. هل تريدين الذهاب مع هذا المخلوق؟».

رفعت بافيتا رأسها.

- نعم.

تردد رجع **القوة** التي ملأت القاعة، هادرة بصوت أصم على أقواس الطاق. لا أحد، لا أحد البتة، أصدر أي صوت كان.

تهاوت كالانثي ببطء، ببطء شديد، على العرش. وقد خلا وجهها تمامًا من أي ملامح.

انتشر في الصمت صوت القنفذ هادئًا: «لقد سمع الجميع. أنتِ أيضًا، يا كالانثي. وأنتَ، أيها الويتشر، الماكر، قاطع الطريق المأجور. لقد تثبتت حقوقي. علت الحقيقة والقدر فوق الكذب والمخادعة. ماذا سيتبقَّى لكم، أيتها الملكة النبيلة، الويتشر المتنكر؟ الفولاذ البارد؟».

لم ينطق أحد.

تابع القنفذ، وهو يحرك شعرات شاربه ويطبق فكيه: «أكثر ما أرغب فيه أن أغادر هذا المكان ومعي بافيتا، على الفور، لكنني لن أحرم نفسي من متعة خاصة. أنتِ، يا كالانثي، من ستحضرين ابنتكِ إلى هنا، حيث أقف، وتضعين راحة يدها البيضاء في راحة يدي».

أدارت كالانثي رأسها ببطء تجاه الويتشر. الأمر كان في عينيها. لم يتحرك جيرالت، وقد شعر ورأى كيف أن **القوة**، التي راحت تتقطر في الهواء، تركز عليه. فقط عليه. وها هو قد عرف. ضاقت عينا الملكة، ورجفت شفتاها...

زأر فجأة كراتش آن كرايت، هابًّا من مكانه: «ماذا؟! ما هذا؟ اليد البيضاء؟ في يده؟ أميرة مع هذا، ذي اللبدة التي تزكم الأنوف؟ مع هذا... خطم الخنزير؟».

ردَّد راينفارن: «وأنا أردت أن أقاتله كفارس! أقاتل هذا البعبع، هذه الدابة! حرِّشوا الكلاب عليه! الكلاب!».

صرخت كالانثي: «يا حُرَّاس».

ثم سارت الأمور بسرعة. التقط كراتش آن كرايت سكينًا من على المائدة، وقلب الكرسي بضجيج. مطِيعًا أمر إيست، دون تفكير، ضربه درايج بون-دهو بأُرغول القربة على قَذال رأسه، بكل قوته. هوى كراتش على المائدة، بين سمك الحَفْش في الصلصة الرمادية، وعظام الأضلاع المعوجة المتبقية من الحلوف المشوي.

وثب راينفارن نحو القنفذ، لامعًا بخنجر استلَّه من كمه. وإذ هب كودكوداك واقفًا، ركل الكرسي الخشبي تحت قدميه مباشرة. قفز راينفارن برشاقة فوق عائق أمامه، لكن لحظة تأخير واحدة كانت كافية؛ ضلله القنفذ بمراوغة قصيرة، وأنزله على ركبتيه بضربة هائلة من قبضته المصفحة. اندفع كودكوداك لانتزاع الخنجر من راينفارن، لكن الأمير ويندهالم أوقفه، شادًّا على فخذه وكأنه كلب صيد.

ركض الحراس مسلحين بفؤوسهم، وسيوفهم العريضة، من جهة المدخل. أشارت كالانثي، وكانت منتصبة وهائجة، إلى القنفذ بإيماءة آمرة وعنيفة. راحت بافيتا تصرخ، وإيست تويرسيتش يشتم. هبَّ الجميع من أماكنهم، لا يدرون تمامًا ماذا سيفعلون.

صرخت الملكة: «اقتلوه!».

استدار القنفذ نحو الحراس المهاجمين، نافثا حممه بهيجان، وكاشفًا عن أنيابه. كان دون سلاح، لكنه مشدود بالفولاذ الشائك، الذي احتكت به نتوءات الحراب بصوت خشخشة. لكن الضربة قذفته إلى الخلف، مباشرة إلى راينفارن الذي كان ينهض، فثبته ممسكًا به من ساقيه. زأر القنفذ، وهو يصد

بقميصيْ مرفقيه الحديديين طعنات النصال المسننة المتهاوية على رأسه. طعنه راينفارن بخنجره، لكن النصل انزلق على صفائح واقية الصدر. حشر الحراس القنفذ، مصالبين رماحهم، عند الموقد المنحوت. وجد راينفارن، المتدلي عند حزامه، شقًّا في الدرع المصفح، وغرز خنجره فيه. فانكمش القنفذ متكورًا.

صرخت بافيتا صرخة رقيقة، واثبة على الكرسي: «دونيييييي!».

اندفع الويتشر راكضًا نحو المتقاتلين، عبر المائدة، وبيده سيفه، مسقطًا الأطباق والطاسات والكؤوس. كان يعلم أن الوقت قصير. أخذ زعيق بافيتا يكتسب نبرة غير طبيعية، أكثر فأكثر. رفع راينفارن خنجره ليطعن طعنة أخرى.

ضرب جيرالت بسيفه، قافزًا من على المائدة، وجثا على ركبتيه. نشج راينفارن عاويًا، مترنحًا على الحائط. دار الويتشر ملتفًّا، وطعن بشفرة حسامه الحارس، الذي حاول غرز سن حربته الحادة بين واقية فخذ القنفذ، والصفيحة الفولاذية على صدره. سقط الحارس على الأرض، فاقدًا خوذته المسطحة. ركض حراس آخرون من جهة المدخل.

زمجر إيست تويرسيتش، وهو ممسك بالكرسي: «هذا لا يجوز!».

وبزخم قوي حطَّم الأثاث غير المريح على الأرضية، وانقضَّ بما تبقى في يده، على أولئك الراكضين قدمًا.

تهاوى القنفذ، وهو مثبَّت في آن واحد بخطافيِّ المِطْرَد، مُحدثًا قرقعة، وراح يصرخ وينفخ مُجرجَرًا على الأرض. وثب الحارس الثالث، ورفع حربته ليطعن. فشقَّ جيرالت صدغه بسن سيفه. ارتد أولئك الذين كانوا يسحبون القنفذ، ملقين حرابهم. أما أولئك، الذين كانوا يركضون من جهة المدخل، فتراجعوا أمام جزء مكسور من الكرسي الذي كان يئزُّ في يد إيست، كسيف بالمور السحري في يُمنى زاتريت فوروتا الأسطوري.

بلغ زعيق بافيتا ذروته، ثم بدا كأنه انكسر فجأة. وقع جيرالت على الأرض ممددًا، وقد أحس بشيء ما ينذر بالسوء، إذ التقط بعينه وميضًا لونه يميل إلى الأخضر. أحس بألم فظيع في أذنيه، وسمع دويًّا رهيبًا، وصراخًا مخيفًا ينبثق من حناجر كثيرة. ثم كان صراخ الأميرة الثابت الرتيب المرتجف.

ارتفعت المائدة مهتزة، ناثرة من حولها الأواني والصحون والطعام، وتطايرت الكراسي الثقيلة في أرجاء القاعة، مقرقعة على الجدران، ورفرفت مُطيِّرة سحب غبار، وقماشَ نجود وسجادًا جداريًّا. انبعثت قعقعة وصخب من جهة المدخل، وطقطقة جافة لرماح حراب، راحت تتشقق كعيدان.

انخلع العرش، ومعه كالانثي الجالسة عليه، واندفع كالسهم مخترقًا القاعة، واصطدم بالحائط مدويًا، وتناثر. سقطت الملكة متهاوية كدمية من رُقع.

وثب إيست تويرسيتش نحوها، وما كاد يقف على قدميه، حتى أمسكها بين ذراعيه، وحماها بجسده من الشظايا، التي كانت تتكسر على الجدران والأرضية.

زحف جيرالت، ضاغطًا على الميدالية في يده، بأسرع ما يمكن، نحو المكان الذي كان جِوال الفأر، بفضل معجزة مجهولة، لا يزال فيه على ركبتيه، لا على بطنه، ورفع عاليًا عصًا قصيرة من غصن زعرور. كانت ثمة جمجمة فأر عالقة بطرف العصا. وعلى الحائط، خلف ظهر الكاهن، احترقت بنيران أكثر من حقيقية، سجادة جدارية تصور حصار قلعة أورتاجور، وحريقها.

نشجت بافيتا. وانهالت كالسوط بصراخها على كل شيء، وكل شخص. وانهار كل من حاول من المستلقين على الأرضية النهوض، فتدحرج، أو التصق بالحائط. أمام عيني جيرالت، أُسقِط وعاء الصلصة الفضي الكبير، المنحوت على هيئة قارب متعدد المجاديف، والمقلوب رأسًا على عقب، أسقط وهو يئزُّ في الهواء، المحافظ ذا الاسم الذي يصعب تذكره، الذي كان يحاول الفرار. تساقط المِلاط من السقف دون ضجيج. كانت المائدة تطوف تحت السقف، وكراتش آن كرايت الملتصق بها، كان يلقي شتائمه المقززة.

زحف جيرالت حتى بلغ جِوال الفأر، وكلاهما سقطا خلف التل الذي شكَّله، على التوالي من الأسفل إلى الأعلى، باشكوت من إستريبت، وبرميل جعة، ودروجدار، وكرسي، وعود دروجدار.

صرخ الكاهن، حاجبًا الصخب والقعقعة: «إنها **قوة** بدائية نقية! هي لا تستطيع السيطرة عليها».

أجاب جيرالت صارخًا: «أعلم!».

أصابه طائر التدرج المشوي الذي لم يعرف من أين سقط، والذي لم تزل على ردفه بضع ريشات، بضربة على ظهره.

- يجب إيقافها! قد بدأت الجدران تتشقق!

- أرى ذلك!

- أنت مستعد؟

- نعم!

- واحد! اثنان! الآن!

ضرباها في وقت واحد، جيرالت بعلامة أراد، وجِوال الفأر بتعويذة رهيبة من ثلاثة مستويات، ومن جرَّائها، كما كان يبدو، ستبدأ الأرضية بالغرق. تكسَّر الكرسي الذي كانت تجلس عليه الأميرة، متحولًا إلى شظايا صغيرة. كأن بافيتا لم تُلاحِظ ذلك؛ كانت لا تزال معلقة في الهواء، داخل نطاق أخضر شفاف. أدارت رأسها نحوه، دون أن تتوقف عن الصراخ، وانكمش محياها الصغير فجأة، ليرسم تكشيرة تنذر بالسوء.

زأر جِوال الفأر: «بحق كل الشياطين!».

صرخ الويتشر، وهو محدودب الظهر: «انتباه! سدَّ عليها، يا جِوال الفأر! سدَّ عليها، وإلا انتهى أمرنا!».

انقلبت المائدة على الأرضية بعنف، محطمة حاملها الساند، وكل ما كان تحتها. قفز كراتش آن كرايت، الذي كان على المائدة مطروحًا، مستويًا بارتفاع ثلاثة أذرع إلى أعلى. تساقط وابل ثقيل من الصحون، وبقايا الطعام في كل مكان، وانفجرت دوارق الكريستال عند اصطدامها بالأرض. هدر الإفريز الذي انفصم عن الجدار، هديرًا كالرعد، مزلزلًا أسس القصر الحصين.

صرخ جِوال الفأر مصوبًا عصاه إلى الأميرة: «إنه يبطئ كل شيء! إنه يبطئ كل شيء! الآن ستنتهي **القوة** بأكملها إلينا!».

صد جيرالت، بضربة من سيفه، شوكة ضخمة ذات سِنَّين، كانت تحلق نحو الكاهن رأسًا.

- سدَّ عليها، يا جِوال الفأر!

رمتهما العينان الزمرديتان بشرارتين من البرق خضراوين. التفت شرارتا البرق في دوائر مخروطية تعمي البصر، متشكلة في دوامات، انهالت من داخلها **القوة** عليهما مثل مدق، ساحقة جمجمتيهما، ومُطفئة أعينهما، وقابضة أنفاسهما. إلى جانب **القوة**، تساقط عليهما الزجاج، وسيراميك

المايوليا، والطاسات، والشمعدانات، والعظام، وأرغفة الخبز المقضومة، وألواح الخشب، والدبش، وقطع الحطب المحترقة من الموقد. حلَّق آمر القلعة هاكسو فوق رأسيها، صارخًا بوحشية كأنه ديك خلنج كبير. تناثر رأس شبوط ضخم مسلوق على صدر جيرالت، وعلى الحقل الذهبي، والدب، والعذراء، من ذات القرون الأربعة.

فجأة سمع الويتشر، من خلال تعويذات جِوال الفأر التي كانت تهز حيطان القاعة، ومن خلال صراخه وعويل الجرحى، والضجة، والقعقعة، والقرقعة، ومن خلال عويل بافيتا، سمع أفظع صوت قُيِّضَ له أن يسمعه على الإطلاق.

كان كودكوداك يخنق مزمار القربة، خاصة درايج بون-دهو، بيديه وركبتيه. أما هو نفسه، فكان يصرخ حاجبًا الأصوات الرهيبة الآتية من المنفاخ، ملقيًا رأسه إلى الخلف، ويعوي، ويزأر، ويشخر، ويزعق، ويجأر، وينعق في مزيج من أصوات جميع الحيوانات المعروفة، وغير المعروفة، والداجنة، والبرية، والأسطورية.

صمتت بافيتا مذعورة، وهي تحدق إلى البارون، وفمها مفتوح على آخره. فترت **القوة** دون سابق إنذار.

زأر جِوال الفأر، ملوحًا بعصاه: «الآن، يا ويتشر!».

ضرباها. فانبعج النطاق المخضَّر، المحيط بالأميرة، تحت تأثير الضربة كفقاعة صابون، وامتص الفراغ، على الفور، **القوة** المعربدة في كل أنحاء القاعة. طقطقت بافيتا بتثاقل على الأرض، وانفجرت باكية.

بعد لحظة من الصمت الذي رنَّ في الأذنين، بعد انقضاء الصخب الجهنمي قبل قليل، بدأت الأصوات تنبثق، بمشقة وعناء، من بين الأنقاض والدمار، ومن خلال المعدات والأدوات المحطمة، والأجساد الساكنة.

كرر كراتش آن كرايت، وهو يبصق الدم المتدفق من شفتيه المشدودتين بقوة: «*Cuach op arse, ghoul y badraigh mai an cuach*».

قال جِوال الفأر بمشقة، نافضًا عن مقدمة بدلته عصيدة الحنطة السوداء: «اضبط نفسك، يا كراتش. ثمة نساء هنا».

كرر إيست تويرسيتش بين لحظات من التوقف عن التقبيل: «كالانثي. الحبيبة. محبوبتي. كالانثي!».

فتحت الملكة عينيها، لكنها لم تحاول أن تحرر نفسها من عناقه إياها.

قالت: «إيست. الناس ينظرون».

- فلينظروا.

سأل المشير فيسيجرد، وهو يزحف من تحت السجادة الجدارية المتمزقة: «أما من أحد يود أن يشرح لي ماذا حدث؟».

قال الويتشر: «لا».

صرخ ويندهالم بصوت واهن، منحنيًا فوق راينفارن: «طبيب».

صاح أحد الإخوة من إستريبت، وهو ماسك التل، وقد راح يطفئ بقفطانه قماش النجود الذي كان يحترق: «ماء. الماء، بسرعة!».

قال كودكوداك بصوت مبحوح: «وجِعة!».

حاول عدد من الفرسان الذين كان لا يزال في وسعهم الوقوف على أقدامهم، حمل بافيتا، لكنها أبعدت أيديهم عنها، ونهضت وحدها، وسارت بخطوات مترنحة نحو الموقد، حيث كان القنفذ سانِدًا ظهره إلى الحائط، محاولًا التخلص من صفائح الدرع الملطخة بالدم، بطريقة مرتبكة.

شخر جِوال الفأر متذمرًا، وهو ينظر نحوهما: «شباب اليوم! يبدؤون مبكرًا! وشيء واحد فقط في أذهانهم».

- ما هو؟

- ما هو، ألا تعرف، أيها الويتشر، أن العذراء، أعني تلك التي لم يمسسها أحد، لن يكون بمقدورها استخدام **القوة**؟

تمتم جيرالت: «فلتحترق الشياطين عذريتها. من أين لها عمومًا مثل هذه القدرات؟ على حد علمي، لا كالانثي ولا روجنر...».

قال الكاهن: «ورثَتْها من الأجداد دون شك. كانت جدتها، أداليا، ترفع الجسر القابل للحركة بتحريك حاجبيها. هيا، يا جيرالت، هلا نظرت! إنها لم تشبع بعد!».

أشارت كالانثي للحراس، وهي لا تزال معلقة على كتف إيست تويرسيتش، قاصدة القنفذ الجريح. اقترب جيرالت وجِوال الفأر بسرعة، لكن ذلك لم يكن مفيدًا. ارتدَّ الحراس عن الشكل الذي كان يكاد يكون مستلقيًا، وتراجعوا هامسين ومتمتمين.

انمحى بوز القنفذ الوحشي، انطمس، وبدأ يفقد معالمه. تحولت أشواكه وشعيرات شاربه، وهي تتموج، إلى شعر أسود لامع ملتف، وإلى لحية تطوق وجهًا رجوليًّا، شاحبًا، حاد الزوايا، محلًّى بأنف بارز.

تلعثم إيست تويرسيتش: «ماذا... من هذا؟ القنفذ؟».

قالت بافيتا بنعومة: «دوني».

أشاحت كالانثي برأسها، ضاغطة على شفتيها.

تمتم إيست: «مسحور؟ ولكن كيف...».

قال الويتشر: «دقت ساعة منتصف الليل. في هذه اللحظة بالتحديد. لقد كان الجرس الذي سمعناه سابقًا مجرد سوء فهم وخطأ. مِن دقّاق الجرس. أليس كذلك، يا كالانثي؟».

تأوه الرجل المسمى دوني، مجيبًا بدلًا من الملكة التي لم تكن لديها النية للإجابة، على أي حال: «صحيح، صحيح، ولكن ربما، بدلًا من الجدال، ليساعدني أحد في إزالة هذه الصفائح عني، وليأتوا بطبيب. لقد طعنني هذا المجنون تحت ضلعي».

قال جِوال الفأر، وهو يخرج عصاه: «ولمَ الطبيب؟».

اعتدلت كالانثي، رافعة رأسها باعتزاز: «كفى. هذا يكفي. عندما ينتهي كل شيء، أريد أن أراكم في حجرتي. أنتم، من تقفون هنا، جميعكم. إيست، وبافيتا، وجِوال الفأر، وجيرالت، وأنتَ... دوني. يا جِوال الفأر؟».

- نعم، أيتها الملكة.
- هل هذه عصاك السحرية... لقد كسرتُ عمودي الفقري. وما حوله.
- تحت أمرك، أيتها الملكة.

3

تابع دوني كلامه، وهو يحك صدغه: «... هذه لعنة. منذ الولادة. لم أعلم قطُّ ما السبب، من فعل بي ذلك. إني من منتصف الليل، حتى مطلع الفجر، إنسان طبيعي، وبدءًا من الفجر... رأيتم ما أكون. أراد والدي، أكيرسبارك، إخفاء ذلك الأمر. إن الناس في مايخت مؤمنون بالخوارق، ويمكن للسحر، واللعنات في العائلة المالكة أن تكون مأسوية لمصير السلالة. أخذني أحد فرسان والدي من الدار، ورباني، وجُبنا العالم كلانا معًا، فارس ضال مع فتى يتهيأ للفروسية، ثم بعد أن لقي مصرعه، صرت أرتحل وحدي. لم أعد أذكر ممن سمعت أن الطفل-المفاجأة يمكنه أن يحررني من اللعنة. بعد ذلك بقليل، قابلتُ روجنر. والبقية تعرفونها».

- البقية نعرفها، يمكننا التخمين جيدًا -أومأت كالانثي برأسها- خاصة أنك لم تنتظر الخمسة عشر عامًا التي اتفقتما عليها أنت وروجنر، وبكرت فقلبت رأس ابنتي. بافيتا! منذ متى؟

نكست الأميرة رأسها، ورفعت إصبعًا واحدة.

- ألا انظروا. أنتِ، أيتها الساحرة الصغيرة. وتحت أنفي مباشرة! دعوني فقط أعرف من أدخله إلى القصر ليلًا! دعوني أصل إلى سيدات البلاط، اللواتي ذهبتِ معهنَّ لجمع زهور كعب الثلج. زهور كعب الثلج، اللعنة! فماذا عليَّ أن أفعل بكما الآن؟

بدأ إيست: «كالانثي...».

- أبطئ، يا تويرسيتش. لم أنتهِ بعد. يا دوني، الأمر تعقد بشدة. منذ عام وأنت مع بافيتا، وماذا؟ لا شيء. هذا يعني أنك ساومت الأب غير الحقيقي على القسَم. لقد سخر منك القدر. يا لها من مفارقة ساخرة، كما يقول جيرالت من ريفيا، الحاضر هنا بيننا.

عبس دوني: «فليذهب القدر إلى الجحيم، والأيمان، والمفارقة. أحب بافيتا وهي تحبني، هذا فقط الذي يهم. لا يمكنكِ أن تقفي في طريق سعادتنا، أيتها الملكة».

ابتسمت كالانثي ابتسامة من ابتساماتها الواثقة: «يمكنني، يا دوني، يمكنني، وبقدر كبير. ومن حسن حظك، لا أريد ذلك. أنا مدينة لكَ بشيء ما، يا دوني. من أجل ذلك الشيء، أنت تعلم ما هو. كنت قد حسمت أمري... عليَّ أن أطلب منك أن تسامحني، لكنني، جدًّا لا أحب ذلك. لذا فإني أعطيك بافيتا، وبذلك نصفِّي الحساب بيننا. يا بافيتا؟ لعلك لم تغيري رأيك؟».

نفت الأميرة، وهزت رأسها بحماسة.

ابتسم دوني: «شكرًا سيدتي. شكرًا. أنت ملكة حكيمة، وكريمة النفس».

- نعم، بالتأكيد. وجميلة.

- وجميلة.

- يمكنكما البقاء في سينترا، إن أردتما. الناس هنا أقل إيمانًا بالخرافات والخوارق من سكان مايخت، وسرعان ما يعتادون. على أي حال، حتى وأنت في هيئة القنفذ، كنت محبوبًا إلى حد كبير. لكن لا يمكنك، في الوقت الراهن، أن تأمل بكسب العرش. أنتوي الحكم بعض الوقت، إلى جانب ملك سينترا الجديد. لقد تقدم النبيل إيست تويرسيتش إليَّ بعرض محدد.

- كالانثي...

- نعم، يا إيست، أنا موافقة. لم أسمع قطُّ اعترافًا بالحب كاعترافك، وأنا ملقاة على الأرضية، وسط أنقاض عرشي، لكن... كيف قلتَ هذا يا دوني؟ هذا فقط هو الذي يهم. ومن الأفضل أن لا يقف أحد في طريق سعادتي، أنصحكم بالحسنى. وأنتم، لمَ هكذا تحدقون؟ أنا لست مسنَّة إلى هذا الحد، كما تظنون، وأنتم تنظرون إلى ابنتي التي توشك أن تصبح متزوجة.

همهم جِوال الفأر: «شباب اليوم. «البنت مرآة أمها...»».

- بماذا تمتم هناك أيها الساحر؟

- لا شيء، يا سيدتي.

- هذا جيد. بالمناسبة، يا جِوال الفأر، لديَّ عرض لك. سوف تحتاج بافيتا إلى معلم. ينبغي لها أن تتعلم كيفية التصرف بموهبتها المميزة. أحب

هذا القصر، أفضِّل أن يبقى قائمًا كما هو الآن. قد ينهار في أثناء نوبة الهستيريا القادمة لابنتي الموهوبة. فماذا تقول، أيها الكاهن؟

- هذا شرف لي.

أدارت الملكة رأسها تجاه النافذة: «أعتقد. الفجر قد. حان...».

استدارت فجأة تجاه بافيتا ودوني، حيث كانا يتهامسان، أحدهما يمسك بيدي الآخر، وجبهتاهما تكادان تحتكان.

- دوني!

- نعم، أيتها الملكة؟

- هل تسمع؟ الفجر! أشرق الآن! وأنت...

نظر جيرالت إلى جِوال الفأر، وجِوال الفأر إلى جيرالت، وبدأ كلاهما يضحك.

- وأنتما، ما الذي يفرحكما هكذا، أيها الساحران؟ ألا تريان...

أكد جيرالت: «نرى، نرى».

شخر جِوال الفأر: «انتظرنا أن تري أنتِ. كنت أتساءل متى ستستوعبين».

- ماذا؟

قال الويتشر: «لقد أبطلتِ اللعنة. أبطلتِها. في اللحظة التي نطقتِ فيها: 'أعطيك بافيتا'، تحقق القدَر».

أكد الكاهن: «بالضبط».

قال دوني ببطء: «بحق الآلهة. وأخيرًا، إذن. إلى الجحيم، ظننتُ أنني سأُسَرُّ أكثر، وأنهم سيعزفون على ناي الزرنة، أو من هذا القبيل... إنه الاعتياد. أيتها الملكة! شكرًا. بافيتا، هل سمعتِ؟».

قالت الأميرة دون أن ترفع جفنيها: «همم».

تنهدت كالانثي، وهي ترنو إلى جيرالت بناظريها المتعبين: «وبهذا ينتهي كل شيء نهاية موفقة. أليس كذلك، أيها الويتشر؟ لقد أُبطِلَت اللعنة، وثمَّة حفلا زفاف على الأبواب، وسيستغرق إصلاح قاعة العرش ما يقرب الشهر، أربعة قتلى، وعدد لا يحصى من الجرحى، ورواينفارن من أتري يكاد لا يتنفس.

دعونا نبتهج. هل تعلم، أيها الويتشر أنني، في لحظة من اللحظات، جاءتني رغبة في أن أكلفك...».

- أعلم.

- لكنني الآن يجب أن أنصفك. لقد طلبتُ نتيجة، وحصلت على النتيجة. ستتحالف سينترا مع إسكيليج. وابنتي تتزوج زواجًا لا بأس به. فكرت خلال لحظة، أن كل هذا كان، على أي حال، سيتحقق وفق ما يمليه القدر، حتى لو لم أستدعِك إلى هذه الوليمة، ولم أجلسك بجواري. لكنني أخطأتُ. كان يمكن لخنجر راينفارن أن يغير القدر. لكن السيف بيد الويتشر أوقف راينفارن. لقد اجتهدتَ في عملك بأمانة، يا جيرالت. الآن مسألة الثمن. قل، ماذا تطلب.

قال دوني، وهو يتلمس جنبه المضمَّد: «لحظة. مسألة الثمن، تقولون. أنا المدين، وعليَّ أن...».

ضيقت كالانثي عينيها: «لا تقاطعني يا صهري. حماتك لا تطيق أن يقاطعها أحد. تذكر ذلك. واعلم أنك لست مدينًا لأحد بشيء. وقد تصادف أنك كنت ما يشبه مادة الاتفاق الذي أبرمتُه مع جيرالت من ريفيا. قلتُ لك، قد سوَّينا الحساب بيننا، ولا أرى معنى لكي أضطر إلى الاعتذار إليك عن ذلك، إلى ما لا نهاية. لكن الاتفاق لا يزال ساريًا عليَّ. حسنًا، يا جيرالت. الثمن الذي تطلب».

قال الويتشر: «حسنًا. أطلب وشاحك الأخضر، يا كالانثي. ليذكرني دائمًا بلون عينيْ أجمل ملكة أعرفها».

ضحكت كالانثي، وخلعت قلادة الزمرد من عنقها.

قالت: «هذه الحِلية بها حجارة ذات تدرج لوني أنسب. احتفظ بها مع الذكرى الودود».

سأل دوني بتواضع: «هل لي أن أقول شيئًا؟».

- أي نعم، يا صهري، تفضل، تفضل.

- لا أزال أقرُّ أنني مدين لك أيها الويتشر. فقد كانت حياتي مهددة بخنجر راينفارن. ولولاك لهلكت تحت ضربات الحراس. إذا كان يوجد كلام عن

أي ثمن مطلوب، فأنا من يجب أن يدفعه. أقسم إنني أستطيع تحمله. ماذا تطلب، يا جيرالت؟

قال جيرالت ببطء: «دوني. الويتشر، الذي يُطرَح عليه مثل هذا السؤال، يجب أن يطلب تكراره».

- لذا أكرر. لأنني، كما ترى، مدين لكَ أيضًا لسبب آخر. عندما علمت هناك، في القاعة، من أنت، كرهتكَ وفكرتُ فيك بطريقة شديدة السوء. عددتكَ أداة عمياء متعطشة للدماء، شخصًا يقتل دون أي تفكير، أو أي إحساس، ويمسح الدم من حد السيف، ويحسب المال. لكنني اقتنعت أن مهنة الويتشر تستحق الاحترام حقًّا. فأنت لا تحمينا من **الشر** الكامن في الظلام وحسب، بل أيضًا من ذلك الكامن فينا نحن. يا للخسارة أن عددكم قليل جدًّا.

ابتسمت كالانثي. وهذه أول مرة في تلك الليلة، كان جيرالت فيها يميل إلى الإقرار بأنها كانت ابتسامة طبيعية.

- لقد أحسن صهري القول. ولا بدَّ لي من أضيف كلمتين إلى هذا البوح. كلمتين بالضبط. سامحني، جيرالت.

قال دوني: «وأنا أكرر. ماذا تطلب؟».

تكلم جيرالت بجدية: «دوني، كالانثي، بافيتا. وأنت، أيها الفارس القويم تويرسيتش، يا ملك سينترا القادم. لكي يصبح المرء ويتشرًا، يجب أن يولد في ظل القدر، وقليلون جدًّا يولدون بهذه الصورة. لذلك عددنا قليل جدًّا. نحن نكبر سنًّا، نهلك، وليس لدينا من نورثه معرفتنا وقدراتنا. ما من أحد يخلفنا. وهذا العالم مليء **بالشر**، الذي لا ينتظر شيئًا سوى انقراضنا».

همست كالانثي: «جيرالت».

- نعم، أنتِ لا تخطئين، أيتها الملكة. دوني! ستعطيني ما قد صار في حوزتك، لكنك لا تعلم شيئًا عنه. سأعود إلى سينترا بعد ست سنوات، لأتحقق أكان القدر كريما عليَّ.

فتح دوني عينيه الواسعتين: «بافيتا. أظن أنكِ لا...».

نادت كالانثي: «بافيتا! هل أنت ... هل أنت...».

خفضت الأميرة عينيها، واحمر وجهها. ثم أجابت.



صوت العقل 5



- جيرالت! هيه! أنت هنا؟

رفع رأسه فوق الصفحات الخشنة المصفَرَّة من *تاريخ العالم* لرودريك دي نوفمبر، وهو عمل مثير للاهتمام، مع أنه كان مثيرًا للجدل إلى حد ما، وقد بدأ بدراسته منذ يوم أمس.

- أنا هنا. ماذا حدث يا نينِّيكي؟ هل تحتاجين إليَّ؟
- لديك ضيف.
- مُجدَّدًا؟ مَن، هذه المرة؟ الدوق هيريوارد شخصيًّا.
- لا. إنه ياسكير، هذه المرة، صاحبك، هذا الجوَّال، هذا المتطفل، والعطَّال البطَّال، كاهن الفن هذا، النجم الساطع في أغاني بالاد[1] وشعر الحب. كالعادة، يشع بالشهرة، متضخمًا كمثانة خنزير، تذفر منه رائحة الجعة. هل تريد رؤيته؟
- طبعًا. فهو صديقي.

أبدت نينيكي استياءها، وهزت كتفيها.

- لا أفهم هذه الصداقة. إنه نقيضك المطلق.
- الأضداد ينجذب بعضها إلى بعض.

(1) البلدًا أو البلدَّة، أو البالادا: هو نوع من الشعر الغنائي، شائع في الآداب الأوروبية.

- من الواضح. أوه، ها هو ذا قادم -أشارت بحركة من رأسها- شاعرك الشهير.
- إنه حقًّا شاعر مشهور، يا نينِّيكي. أظنكِ لن تزعمي أنك لم تسمعي قصايد البالادا من تأليفه.

تجهَّمت الكاهنة: «سمعتُ. وكيف لا. حسنًا، لا معرفة لي بهذا، ربما مهارة القفز بحرية من الغنائية المؤثرة إلى القذارة الفاحشة هي الموهبة تحديدًا. دعنا من هذا. واعذرني، فلا يمكنني أن أبقى جالسة رفقتكم. لست في مزاج مناسب اليوم، لا لشعره ولا لنكاته البذيئة».

انبثق من الممر ضحك متتابع، وطنطنة عود، ووقف ياسكير على عتبة المكتبة مرتديًا سترة ليلكية ذات كُفَّتين مخرمتين على الكُمَّين، وقبعة مُيِّلت إلى الجانب. انحنى التروبادور، عند رؤيته نينِّيكي، انحناءة مبالغ فيها، كانسًا الأرضية بريشة بلشون، مثبتة على قبعته.

قال، وهو يئنُّ ببلادة: «احترامي العميق، أيتها الأم الموقرة. المجد لِمليتيلي العظيمة وكاهناتها، لينابيع الفضيلة والحكمة...».

شخرت نينيكي: «كُفَّ عن الهراء، يا ياسكير. ولا تلقبني باسم الأم. واعلم بأن مجرد التفكير في أنك يمكن أن تكون ابني، يجعل الذعر يتملكني».

دارت على عقبيها وخرجت، وهي تحف بردائها الملامس الأرض. قلَّد ياسكير انحناءة التحية، مُبديًا على وجهه تكشيرة قرد.

قال بوداعة: «لم يتغير شيء. ولا تزال لا تفهم النكات بتاتًا. استشاطت غضبًا عليَّ، لأنني بعد وصولي دردشت لحظات مع حارسة البوابة، وهي شقراء لطيفة ذات رموش طويلة، وضفيرة عذراء تصل إلى مؤخرتها النحيلة، التي كان عدم قرصها سيكون خطيئة. لذلك قرصتها، أما نينِّيكي التي أقبلت عندئذ... و، وماذا يعني. أحييك، يا جيرالت».

- أحييك، يا ياسكير. كيف علمت أنني هنا؟

اعتدل الشاعر، وشدَّ سرواله.

قال: «كنت في فيزيما. سمعت عن استريجا، وعلمت أنك أُصِبْتَ بجراح. خمَّنتُ إلى أين يمكن أن تكون قد ذهبت، طلبًا للنقاهة. كما أرى، فإنك تعافيت؟».

- ما تراه صحيح. لكن حاول أن تشرح ذلك لنينِّيكي. اجلس، دعنا ندردش.

جلس ياسكير، نظر إلى الكتاب الملقى على المكتب.

ابتسم: «تاريخ؟ رودريك دي نوفمبر؟ قرأته، قرأته. عندما كنت أدرس في الأكاديمية في أوكسِنفورت، شغل التاريخ المرتبة الثانية في قائمة المواد المفضلة لديَّ».

- والمرتبة الأولى لمن كانت؟

قال الشاعر بجدية: «للجغرافيا. كان أطلس العالم أكبر حجمًا، وكان من الأسهل إخفاء قارورة الفودكا المفلطحة خلفه».

ضحك جيرالت ضحكة جافة، نهض، وأخذ من أحد الأرفف كتابَي *السحر الخفي* و*الخيمياء* للونيني وتيرس، وأخرج إلى نور النهار إناءً مفلطحًا، مضفَّرًا بالقش، ومخبَّأً خلف مجلد بالغ السمك.

أشرقت أسارير الشاعر بوضوح: «ياه. الحكمة والإلهام، كما أرى، لا يزالان يختبآن في مجاميع الكتب. أوووه! هذا ما أحب! إنه نبيذ من البرقوق، أليس كذلك؟ نعم، إنها الخيمياء، كما تسمى. هذا هو حجر الفلاسفة، يستحق الدراسة حقًّا. بصحتك يا أخي. أوووه، إنه قوي كالطاعون!».

- ما الذي أتى بك إلى هنا؟

تناول جيرالت القارورة من الشاعر، اجترع منها، وأخذ يسعل، متحسسًا رقبته المضمدة. وتابع: «وما وجهتك؟».

- لا وجهة لي. أعني، يمكنني الذهاب إلى حيث تذهب. يمكنني مرافقتك. هل تفكر أن تتسلى هنا مدة طويلة؟

- غير طويلة. ألمحَ لي الدوق المحلي أنني غير مرحب بي في أراضي أملاكه.

عرف ياسكير جميع الملوك، والأمراء، وكبار الملاك، والشيوخ من ياروجا إلى جبال التنين: «هيريوارد؟ لا تهتم به. لن يجرؤ على استثارة نينِّيكي، والإلهة مليتيلي. فسيجعل الناس حصنه رمادًا».

- لا أريد متاعب. وعلى أي حال، فقد مضى على مكوثي هنا مدة طويلة جدًّا. أنا ذاهب صوب الجنوب، يا ياسكير. بعيدًا إلى أقصى الجنوب.

لا أجد عملًا هنا. الحضارة. فلأي بلاء سيحتاجون إلى الويتشر هنا؟ عندما أسأل عن أي شغل، ينظرون إليَّ كما لو كنت غريب أطوار.

- ماذا تخبص أنت أيضًا. أي حضارة تلك. عبرتُ من بوينا قبل أسبوع، وبينما كنت أقطع أنحاء البلاد راكبًا، أُتخِمت بسماع قصص عدَّة مختلفة. وعلى ما يبدو أن عفاريت الماء، والدخداخيات، وخيامر الصحراء، والعلاجيم الطائرة، وكل القذارات الممكنة موجودة هنا. فينبغي أن تغرق بالشغل حتى أذنيك.

- هذه القصص سمعتها أنا أيضًا. نصفها إما مختلق، وإما مبالغ فيه. لا، يا ياسكير، إن العالم يتغير. ثمة شيء ينتهي.

رشف الشاعر رشفة من القارورة، ضيَّق عينيه، وتنهد بمشقة.

- أنت تبكي من جديد على مصيرك الويتشري الحزين؟ وتتفلسف حيال ذلك؟ ألاحظ العواقب المضللة للقراءات الخاطئة. لأن مقولة أن العالم يتغير، قد اهتدى إليها حتى هذا الشيخ البالي رودريك دي نوفمبر. بالمناسبة، فكرة تغير العالم هذه، هي الفرضية الوحيدة في أطروحته، التي يمكن الاتفاق معها دون تحفظ. لكنها ليست فرضية كاشفة كافية، كي تُضطر إلى إتحافي بها هنا، وفي الوقت ذاته، تُلبس وجهك قسمات مُفكر، وهذا ما لا يناسب محياك إطلاقًا.

جرع جيرالت جرعة من القارورة، بدلًا من أن يجيب.

تنهد ياسكير مجددًا: «نعم، نعم. العالم يتغير، والشمس تغرب والفودكا تنتهي. وماذا ينتهي أيضًا، حسب رأيك؟ لقد ذكرتَ شيئًا عن النهاية، أيها الفيلسوف».

قال جيرالت بعد لحظة صمت: «سأعطيك بعض الأمثلة. من الشهرين الماضيين اللذين قضيتهما على شاطئ بوينا هذا. ذات يوم إذ وصلت، رحت أنظر، فأرى جسرًا. تحت الجسر يجلس عفريت الترول، ويطلب أجرة من كل عابر. من يرفض، يكسر له ساقه، وأحيانًا كلتيهما. لذا، قلتُ أذهب إلى العمدة، وأسأل، كم تعطونني مقابل عفريت الترول هذا. يفتح العمدة فمه بذهول. ويسأل. كيف يكون هذا، ومن سيصلح الجسر إذا لم يقف العفريت هناك؟ يعتني العفريت بالجسر، ويصلحه بانتظام من عرق جبينه، وبإتقان، كما يلاحظ. إذن، فالأرخص دفع رسم العبور له. لذا، قلتُ أواصل الذهاب، أنظر،

فأرى شوكي الذيل. هو ليس كبيرًا، نحو خمسة أراشين[1]، من طرف الأنف إلى نهاية الذيل. يطير ويحمل نعجة بمخالبه. وأذهب إلى القرية، أسأل، كم تدفعون مقابل ذاك الزاحف. فيصيح الفلاحون، وهم جاثون، لا، إنه التنين المفضل لابنة البارون الصغرى، إن تسقط من ظهره حرشفة واحدة، سيحرق البارون النجع، ويسلخ جلودنا. أواصل الذهاب، فيزداد شعوري بالجوع. أسائل الناس إن كان ثمة عمل، نعم، موجود، لكن أي عمل؟ هذا يطلب القبض على روسالكا، وذاك على حورية الماء، وذلك على شيطانة المستنقعات... لقد فقدوا عقولهم فقدًا كاملًا، والقرى مليئة ببنات أبكار كثيرات كثرة اللفت، وهنَّ يردن شخصًا غير بشري. وآخر يطلب مني أن أقتل الشَّوَّال[2]، وأن أمده بعُظيْمة من كفه، لأنها إذا سُحِقَتْ ورُشَّتْ في الحساء، فمن المفترض أنها تقوي الفحولة...».

تدخل ياسكير: «هذا مجرد ادعاء كاذب. جربتُها. لا تقوِّي شيئًا بتاتًا، لكنها تمنح الحساء طعم مرق من أغطية القدمين. ولكن، إذا صدَّق الناس ذلك، وكانوا على استعداد للدفع...».

- لن أقتل الشوَّالين. ولا أي كائن آخر غير ضار.
- إذن، ستسير جائعًا. اللهمَّ، إلا إذا غيرت عملك.
- إلى ماذا؟
- إلى أي عمل كان. صِرْ كاهنًا. فلن تكون سيئًا مع ورعك وأخلاقك، ومع معرفتك بطبيعة الناس، وكل الأشياء. حقيقة أنك لا تؤمن بأي آلهة، لا ينبغي لها أن تمثل مشكلة. أعرف قليلًا من الكهنة يؤمنون. صِرْ كاهنًا، وتوقف عن ندب نفسك.
- لا أندب نفسي. إني أؤكد الحقائق.

وضع ياسكير ساقًا على ساق، وتفحص نعل الحذاء القديم باهتمام.

---

(1) أرشين: وحدة قياس للطول، تساوي تقريبًا ثلاثة أرباع المتر، كانت تستخدم قديمًا في روسيا.

(2) الشَّوَّالة: حشرة من رتبة طويلات الأجنحة. يستخدم الكاتب هذا الاسم مذكَّرًا، لذا ذكَّرناه أيضًا.

- أنت تذكرني، يا جيرالت، بصياد مسن، اكتشف في نهاية حياته أن رائحة السمك كريهة، وأن من الماء يتأتى ما ينخر العظام. كن متسقًا. إن الثرثرة والتأسف لن يُصلحا شيئًا. وإني إن رأيت أن التهافت على طلب الشعر قد انتهى، لعلقت العود على مسمار، وصرت بستانيًّا. وزرعت الورود.

- أنت تخبص. لن تكون قادرًا على مثل نكران الذات هذا.

وافق الشاعر، وكان لا يزال محدقًا إلى النعل: «حسنًا، وربما لن أكون. لكنَّ مهنتينا مختلفتان بعض الشيء. إن التهافت على طلب الشعر، وصوت أوتار العود، لن ينخفض أبدًا. فيما يخص عملك، فالأمر أسوأ. أنتم، معشر الويتشر، أنفسكم، تتخلصون من العمل، بالتدريج ولكن باستمرار. كلما عملتم بطريقة أفضل وبضمير أكبر، قلَّت عليكم الأعمال. بالأساس، إن غايتكم، ومسوغ وجودكم، عالمٌ خالٍ من الوحوش، عالمٌ هادئ وآمن. أيْ: عالمٌ يكون فيه الويتشريون زائدين على الحاجة. مفارقة، أليس كذلك؟».

- صحيح.

- في الماضي، عندما كانت لا تزال وحيدات القرن تحيا، كانت مجموعة كبيرة جدًّا من الفتيات اللواتي كن يصُنَّ الفضيلة ليتمكنَّ بالتمسك بها. هل تذكر؟ وصيادو الفئران مع قصباتهم الموسيقية؟ كان الجميع يتقاتلون، حتى من أجل خدماتهم. ولقد أنهاهم الخيميائيون بإيجاد سموم فعالة، وتداخل مع ذلك الأمر التدجين الواسع للقطط، وبنات مقرض، وبنات عُرس. كانت هذه الحيوانات الصغيرة أرخص وألطف، ولم تكن تكرع ذاك القدر الكبير من الجعة. أتلاحظ التشابهات؟

- ألاحظ.

- استفد إذن من تجارب الآخرين. حين فقدَ أبكار وحيدات القرن أعمالهم، راحوا على الفور يجرون عمليات الجماع التي لم يعهدوها من قبل. بعضهم، وكانوا راغبين في تعويض سنين نكران الذات، اشتهروا فيما بعد على نطاق واسع بتقنياتهم وحماستهم. أما صائدو الفئران... حسنًا، فالأحرى أن لا تقلدهم، لأنهم كانوا، بقضهم وقضيضهم، يثملون، فصاروا رثاثًا ساقطين. حسنًا، يبدو أن الدور الآن على معشر الويتشر. هل تقرأ رودريك دي نوفمبر؟ ثمة إشارات، على ما أذكر، إلى

الويتشريين، أولئك الذين بدأوا يجوبون البلاد، منذ ما يقرب الثلاثمئة عام. في الوقت الذي كان الفلاحون يخرجون فيه للحصاد في جحافل مسلحة، كانت القرى تحاط بحاجز ثلاثي من أوتاد مسننة، وقوافل التجار تسير سيرًا يشبه مسير الجيوش مدفوعة الأجر، والمجانيق تقف على الحواجز الترابية في عدد قليل من البلدات، متأهبة ليلَ نهارَ، لرجم قذائفها. فنحن، البشر، كنا متطفلين هنا. فقد حكم هذه الأرض التنانين، والمانتيكورات، والجريفينات، والسحالي الدودية، ومصاصو الدماء، والمستذئبون، والاستريجات، والكيكيمورات، ووحوش الخيمر، والعلاجيم الطائرة. وكان لا بدَّ من انتزاع هذه الأرض منهم، قطعة تلو الأخرى، كل وادٍ، وكل شِعب من الشعاب، وكل غابة إبرية، وكل فسحة بين الشجر. ونجحنا في ذلك، وليس من دون مساعدة معشر الويتشر التي لا تقدر. لكن ذلك الزمن ولى، يا جيرالت، من غير رجعة. لن يسمح لك البارون بقتل شوكي الذيل، لأنه على الأرجح آخر دراكونيد على مدى ألف ميل، ولم يعد يثير الرعب، بل التعاطف والحنين إلى الأيام الخوالي. أَلِفَ عفريت الترول، القابع أسفل الجسر، الناس، ولم يعد وحشًا يُخوَّف به الأطفال، إنه أثر راسخ، ونقطة جذب محلية، ونافعة أيضًا. ماذا عن خيامر الصحراء، والمانتيكورات، والسحالي الدودية؟ تقبع في عرائن وسط أدغال نائية، وفي جبال لا يمكن الوصول إليها...

- كنتُ على حق أكثر منك. ثمة شيء ينتهي. سواء أعجبك ذلك أم لا، ثمة شيء ينتهي.
- لا يعجبني أنك تخطب طارحًا عموميات مبتذلة. لا تعجبني تعابير وجهك حين تفعل هذا. ماذا يحدث لك؟ ما عدت أعرفك، يا جيرالت. إيه، يا للوباء، فلنمضِ أسرع ما يمكن إلى الجنوب، إلى تلك البلاد الوحشية. حين تجزُّ رؤوس عدد من الوحوش، ستغادرك حالة الكآبة حالًا. والوحوش هناك، على ما يبدو، ليست قليلة. يقولون إنه إذا أرهقت الحياة الجَدَّةَ هناك، ذهبت وحدها وحيدة إلى الغابة لجلب الحطب، دون أن تأخذ معها رمحًا. والنتيجة مضمونة. ينبغي لك أن تستقر هناك استقرارًا دائمًا.
- ربما ينبغي لي. لكنني لن أستقر.
- لماذا؟ هناك يكسب الويتشر كسبًا أسهل.

جرع جيرالت جرعة من القارورة: «الكسب أسهل، لكن الإنفاق أصعب. بالإضافة إلى ذلك، هناك يأكلون برغل الشعير والدخن، وللجعة طعم البول، والفتيات لا يغتسلن، والبعوض يلدغ».

قهقه ياسكير بصوت صاخب، مسندًا قذال رأسه إلى رف الكتب، إلى متون الأسفار المجلدة.

قال: «الدخن والبعوض! هذا يذكرني برحلتنا الأولى معًا إلى حافة العالم. هل تذكر؟ تعارفنا في الاحتفال المحلي في مدينة جوليتا، ورحت تقنعني...».

- أنت الذي أخذت تقنعني. وكان لا بدَّ أن تهرب من جوليتا بأسرع ما يمكن للحصان أن يجري، لأن الصبية التي وطأتَها تحت منصة الموسيقيين كان لها أربعة إخوة كبار. لقد بحثوا عنك في جميع أنحاء المدينة، مهددين بخصيك وإغراقك في القطران ونشارة الخشب. لذلك لصقت بي حينئذ.

- وأنت كدت تطير فرحًا، قافزًا من ملابسك، لأنك وجدت رفيقًا. فحتى ذلك الحين، لم يكن في إمكانك التحدث في طريقك إلا إلى الفرس وحسب. لكن، فليكن ما تريد، أنت على حق، كان الأمر كما تقول. كان عليَّ آنذاك أن أختفي مدة من الوقت، وبدا لي أن وادي الزهور كان ملائمًا تمامًا لهذا الغرض. كان من المفترض، أساسًا، أن يكون ذلك حافة العالم المأهول، وطليعة الحضارة، و**الجديد**، وأقصى نقطة على حدود عالميْن... هل تذكر؟

- أذكر، يا ياسكير.

حافة العالم

1

نزل ياسكير من درج النزل بحذر، حاملًا جرَّتين تقطران رغوة. حشر نفسه، وهو يشتم بصوت لا يتعدَّى أنفه، بين مجموعة أطفال فضوليين متدافعين من كل جانب. عبَرَ الفناء بخط قطري، متجنبًا روث البقر.

كان أكثر من عشرة من المستوطنين متجمعين حول المائدة المصفوفة في الميدان، حيث كان الويتشر يتحدث إلى مدير الناحية. وضع الشاعر الأكواب وجلس. أدرك على الفور أن المحادثة لم تتقدم شبرًا واحدًا، خلال غيابه القصير.

كرر جيرالت مرات ومرات، لا يعرف عددها، وهو يمسح رغوة الجعة من على فمه: «أنا ويتشر، يا سيد مدير الناحية. لا أتاجر بأي شيء. لا أزوال تجنيد المتطوعين في الجيش، ولست قادرًا على علاج الرعام. أنا ويتشر».

أوضح ياسكير مرات ومرات، لا يعرف عددها: «هذه مهنة. مهنة الويتشر. أتفهمون ذلك؟ إنه يقتل الاستريجات ومصاصي الدماء. ويُتلف كل القاذورات المقرفة. بمهنية، مقابل المال. أتدركون ذلك، يا مدير الناحية؟».

انبسطت جبهة مدير الناحية المحروثة بأثلام عميقة من التفكير الثقيل: «آها! ويتشر! كان يجب أن تقول ذلك من البداية!».

أكد جيرالت: «بالضبط. لذلك سأسأل على الفور: هل يمكن إيجاد عمل ما لي هنا؟».

بدأ مدير الناحية يفكر من جديد، بطريقة ملحوظة: «آآآآ... عمل؟ يعني هذه... يعني... الأرواح الأربعة؟ تسألون، هل الأرواح الأربعة موجودة هنا؟».

ابتسم الويتشر، وأومأ برأسه، وهو يفرك ببراجمِهِ جفنَه الذي أخذ يسبب الحكة من جرَّاء الغبار.

توصل مدير الناحية إلى استنتاج بعد لحظة مطولة: «موجودة. فقط انظروا إلى هناك، هل تريان تلك الجبال؟ هناك يعيش معشر الإلف، هناك مملكتهم الخاصة. أقول لكم، إن قصورهم الخاصة كلها من الذهب الخالص. ياه، يا ربي! إنهم الإلفيون، أقول لكم. رُعب. من يذهب إلى هناك، لا يعود أبدًا».

قال جيرالت ببرود: «ظننت ذلك. لهذا السبب تحديدًا لن أسعى إلى هناك بتاتًا».

قهقه ياسكير بوقاحة. فكر مدير الناحية مليًّا، كما توقع جيرالت.

وأخيرًا قال: «آها. نعم بالتأكيد. ولكنَّ أرواحًا أربعة أخرى موجودة هنا أيضًا. ويمكن رؤية مَن يدرج قادمًا إلينا مِن ديار الإلفيين. يا رب، إنهم موجودون، وموجودون. يصعب عدهم. والأسوأ ستكون مورا[1]، هل أنا على صواب، يا قوم؟».

انتعش «القوم»، وتحلقوا حول المائدة من جميع الجهات.

قال واحد منهم: «مورا! نعم، نعم، مدير الناحية يقول الحقيقة. هي عذراء شاحبة، تذهب من كوخ إلى كوخ عند انبلاج الفجر، ويموت الأطفال من ذلك».

أضاف عسكري مرتزق آخر، من برج الحراسة المحلي: «والعفاريت الصغيرة. تُجعِّد أعراف الخيول في الإصطبلات!».

- والخفافيش! الخفافيش هنا موجودة!

- والأفاعي الضخمة! بسببها، تستشري بالمرء البثور!

انقضت الدقائق القليلة التالية في تعداد مكثف للوحوش، التي تفرض على الفلاحين المحليين أفعالها المخجلة، أو وجودها وحده فقط. علم جيرالت وياسكير عن غيلان السكارى وعفاريت المامون، التي بسببها لا يستطيع

(1) مورا: فتاة بكر، تنتقل من بيت إلى بيت قبل الفجر، وتنقل الأمراض إلى الأطفال.

الفلاح النزيه العودة إلى المنزل، وهو في حالة سُكر، وعن العلاجم التي تطير، وتشرب الحليب من البقر، وعن الرأس على أرجل عنكبوتية يجري عبر الغابة، وعن أقزام كوبولد يرتدون قبعات حمر، وعن الكراكي الرمحي الخطر الذي ينتزع الملابس الداخلية من أيدي النسوان اللواتي يغسلن ثيابهنَّ، وبعد لحظة تراه يتولى أمر النساء أنفسهنَّ. ولا يمر الأمر، كالعادة، دون أن يبلغوا أن العجوز نارادكوفا تطير في الليل على قضيب لتحريك الجمر، وخلال النهار تجمع المحاصيل، وأن الطحان يغش الطحين بمسحوق من البلوط، وأن شخصًا اسمه دودا، وهو يتحدث عن الوكيل الملكي لأملاك الأرض، وصفه باللص والدنيء.

استمع جيرالت بهدوء، هازًّا رأسه بتركيز موفق، وطرح بضعة أسئلة تتعلق، أولًا، بالطرق وتضاريس المنطقة، ثم نهض وأومأ إلى ياسكير.

قال: «إلى اللقاء إذن، أيها الناس الطيبون. سأعود قريبًا، وسنرى وقتئذٍ ما يمكن عمله».

سارا بصمت بمحاذاة المنازل الفقيرة، والأسوجة، تشيعهما كلاب تنبح، وأطفال يتصايحون.

نطق ياسكير، وقدماه على الركابيْن، وهو يقطف تفاحة صغيرة من غصن خرج فوق سياج البستان: «جيرالت. طوال الطريق كنت تشكو أن سعيك لإيجاد شغل يزداد صعوبة. ويتضح مما سمعته قبل لحظات، أنك ستعمل هنا حتى الشتاء، ودون أي قسط من الراحة. كنت ستكسب بعض القروش، وأنا كنت سأحوز موضوعات رائعة لأغاني بالادا. فاشرح لي لماذا، إذن، نتابع المسير؟».

- ما كنت سأكسب فلسًا واحدًا هنا، يا ياسكير.

- لماذا؟

- لأن كلمة حق واحدة لم تكن في ما قالوه.

- عفوًا، ماذا؟

- لا وجود لأي من المخلوقات المسوخ، التي تحدثوا عنها.

بصق ياسكير بذرةً من التفاحة، وألقى بعَضَّة منها على الكلب الهجين المرقَّط الذي تعود الانقضاض بشراسة ليعض أرسغ الخيل: «أظنك تمزح! لا، هذا مستحيل. تفحصت هؤلاء الناس، وأنا أعرف الناس. لم يكذبوا».

وافق الويتشر: «لا. لم يكذبوا. آمنوا إيمانًا عميقًا بكل شيء. وهذا ما لا يغير الوقائع».

صمت الشاعر بعض الوقت.

- ولا واحد من تلك الوحوش... ولا واحد؟ لا يمكن لهذا الأمر أن يكون. يجب أن يكون شيء مما ذكروه هنا. شيء واحد على الأقل! اعترفْ.
- أعترف. شيء واحد موجود هنا بالتأكيد.
- ها! ماذا؟
- الخفافيش.

غادرا راكبين إلى ما وراء السياجات الأخيرة، على الطريق الريفي بين المروج الصفر من لون الشلجم، وحقول الحبوب المتمايلة على الرياح. كانت العربات المحملة تدب على الطريق في الاتجاه المعاكس. نقل الشاعر ساقه عبر قربوس السرج، وأسند عوده إلى ركبته، وراح يطنطن على أوتاره ألحانًا مفعمة بالحنين، ملوحًا بيده، بين الحين والآخر إلى الصبايا السافرات المقهقهات، والجائلات عبر الطرق الجانبية، حاملات أمشاط الأرض على أكتافهن الشديدة الصلابة.

قال فجأة: «جيرالت. إن الوحوش موجودة. ربما لا يوجد الكثير منها بقدر ما كان من قبل، وربما لا تتربص وراء كل شجرة في الغابة، لكنها كائنة. موجودة. فما السبب الذي دفع الناس، إذن، إلى أن يختلقوا، إلى ذلك، مثل تلك الأشياء التي لا وجود لها؟ وأكثر من ذلك، يصدقون ما يخترعون؟ هاه؟ يا جيرالت من ريفيا، الويتشر الشهير؟ ألم تفكر في السبب؟».

- فكرت، أيها الشاعر الشهير. وأعرف ما السبب.
- مثير للاهتمام.

أدار جيرالت رأسه: «الناس يحبون اختلاق الوحوش والفظائع. فهم سيبدون لأنفسهم عندئذ أقل وحشية. عندما يشربون حتى الثمالة، أو يغشون، أو يسرقون، أو يسوِّطون الزوجة بالعنان، أو يجوِّعون جدةً عجوزًا حتى

الموت، أو يمزقون بفأس ثعلبًا اصطادوه في قطيع، أو يفرمون بالسهام آخر أحادي قرن بقي في العالم، يحبذون، مع ذلك، الاعتقاد أن مورا التي تدخل الأكواخ عند انبلاج الفجر، أكثر وحشية منهم. عندئذٍ، ينتاب قلوبهم شعور ما من الارتياح. ويسهل عليهم العيش».

قال ياسكير بعد دقيقة صمت: «تذكرتُ. سأختار القوافي وأنظم أغنية بالاد عن ذلك».

- انظمها. لكن لا تعول على أنك ستحوز تصفيقًا كثيرًا.

سارا راكبين ببطء، لكن سرعان ما غابت عن نظريهما آخر منازل المنطقة المأهولة. وقطعوا، خلال وقت قصير، خطَّ المرتفعات المغطاة بالأشجار.

أوقف ياسكير حصانه وتلفَّت: «ها. انظر، يا جيرالت. أليس المكان رائعًا هنا؟ إديلا، فلتذهب الشياطين. العين تفرح!».

كانت الأرض وراء التلال تنحدر بلين تجاه حقول مستوية ملساء، تقطعها فسيفساء من زروع مختلفة الألوان. وفي وسطها، لمعت صفحات مستديرة ومنتظمة، كوريقة برسيم، لقيعان ثلاث بحيرات تحفُّ بها أحزمة داكنة من أجمات النغت. رسم الأفقُ خط جبال ضبابيًّا، يميل إلى الزرقة، يعلو الفضاء الأسود غير المتناسق للغابة الصنوبرية.

- فلنذهب، يا ياسكير.

كان الطريق الريفي يؤدي إلى البحيرات رأسًا، على طول السدود الترابية والبرك المخفية في آجام النغت، الملأى بالبط المهجن، الكثير البطبطة، وبط الشرشير، والبلشونات، وطيور الغطاس. أثارت وفرة الحيوانات، ذات الريش، الدهشة أمام آثار النشاط البشري التي يمكن رؤيتها في كل مكان - كانت السدود الترابية مصونة، ومزروعة بالمساند الخشبية، والقنوات المدعومة بالحجارة وجذوع الشجر. وكانت معدات معايرة الماء بجانب البرك، التي لم تفسد إطلاقًا، تشرشر مبقبقة بمرح. وتظهر الزوارق، والمنصات بين القصب على جوانب البحيرات، وتبرز أعمدة الشِّباك والقراقير من قيعان البحيرات.

نظر ياسكير حوله فجأة.

قال بتوتر: «أحد الأشخاص يسير خلفنا. راكبًا في عربة!».

سخر الويتشر دون أن ينظر إلى الوراء: «أمر لا يخطر على البال. في عربة؟ وأنا ظننت أن السكان المحليين يركبون الخفافيش».

هدر التروبادور: «أتعرف ما سأقول لك؟ كلما اقتربنا أكثر من حافة العالم، ازدادت حدة نكاتك. والتفكير إلى ماذا سيؤدي ذلك مخيف!».

مضيا في طريقهما مبطئين، ولما كانت العربة التي يجرها حصانان أبلقان فارغة، فقد تجاوزتهما بسرعة.

- برررررر!

أوقف السائق الحصانين بعدهما مباشرة. كان يرتدي سترة من جلد الغنم على جلده العاري، وشعره يصل إلى حاجبيه: «بحمد الآلهة أسبِّحُ، أيها الكرام!».

رد ياسكير الخبير بأحكام العادات: «ونحن نسبِّحُ بحمدهم».

تمتم الويتشر: «إن شئنا».

أفصح سائق العربة: «اسمي القُرَّاص. لقد شاهدتكما عندما كنتما تتجاذبان الحديث مع مدير ناحية بوسادا العليا. أنا أعلم أنكما ويتشر».

أرخى جيرالت العنان للفرس، وتركها تشخر على نباتات القُرَّاص بجانب الطريق.

تابع الرجل المرتدي سترة جلد الغنم: «سمعتُ كيف مدير الناحية أطنب بالحكي معكما. لقد سبرتُ تعابير وجهيْكما، ولم أشعر بالاستغراب. لم أسمع مثل هذه الترهات، والأكاذيب، منذ زمن بعيد».

أخذ ياسكير يضحك. وكان جيرالت ينظر إلى الرجل بانتباه، ولم يقل شيئًا. أما الرجل، الذي يُدعى القراص، فتنحنح.

وسأل: «ألا ترغبون في أن تحصلوا على عمل حقيقي لائق، يا سيد ويتشر؟ لديَّ شيء ما لكم».

- ما هو؟

لم يخفض القُرَّاص عينيه.

- الحديث عن الشغل على قارعة الطريق لا يصلح. فلنذهب إلى منزلي، إلى بوسادا السفلى. سنتحدث هناك. وطريقكما، بالأساس، من هناك على أي حال.

- من أين لك هذا اليقين؟

- من حقيقة أنك لن تجد طريقًا أخرى هنا، وحصاناكما يسيران وخطمهما في ذلك الاتجاه، وذيلاهما ليسا في الاتجاه المعاكس.

راح ياسكير يضحك مجددًا.

- ماذا تقول في ذلك، يا جيرالت؟

قال الويتشر: «لا شيء. الحديث على قارعة الطريق لا يصلح. إذن، فلنمضِ إليكم، يا جناب القراص».

اقترح الرجل: «اربطا الفرسين بالسلم واجلسا في العربة. سترتاحان أكثر. لماذا تجهدان أردافكما على السرج الخشن؟».

- هذه حقيقة مُنزلة.

صعدا بصعوبة إلى العربة. تمدد الويتشر على القش بتلذذ. جلس ياسكير على لوح خشبي، خائفًا، كما يبدو، من أن يوسخ معطفه الأخضر الأنيق. سأسأ القراص الحصانين، وراحت المركبة تقرقع على طول السد الترابي المقوَّى بألواح الخشب.

عبروا جسرًا فوق قناة، انتشر فيها النينوفر وعدس الماء، ومروا بشريط من المروج المحشوشة. بعد ذلك، امتدَّت على مد النظر حقول مزروعة.

قال ياسكير: «لا يمكن التصديق أن هذه هي حافة العالم، نهاية الحضارة. ألقِ نظرة فقط، يا جيرالت. الشيلم كالذهب، وحقل الذرة يمكن أن يختبئ فيه رجل ضخم ممتطيًا حصانه. أو هذا الشلجم، انظر ما أضخمه».

- هل تعرف شيئًا عن الزراعة؟

قال ياسكير بتعالٍ: «علينا، نحن الشعراء، أن نكون على معرفة بكل شيء. وإلا، جلبنا لأنفسنا العار إن كتبنا. يلزمك التعلم يا عزيزي، التعلم. في يد الزراعة مصير العالم، لذا من الجيد معرفة الزراعة. الزراعة تطعم، وتُلبِس، وتقي من البرد، وتوفر الترفيه، وتدعم الفن».

- قد ذهبتَ بعيدًا بعض الشيء في أمر الترفيه والفن.

- والفودكا ممَّ تُصنع؟

- أفهم.

- أنت تفهم قليلًا. تعلَّمْ. انظر، تلك الزهور البنفسجية. إنها زهور الترمس.

تدخل القراص: «في الحقيقة، إنها بيقية. أنتم لم تروا الترمس، أليس كذلك؟ لكنكم، أيها السيد، أصبتم بشيء واحد. ينبت هنا كل شيء بكثافة، وينمو فيسر القلب. ولهذا يقولون: وادي الزهور. ولذلك استقر أجدادنا هنا، بعد أن طردوا الإلفيين أولًا من هنا».

لكز ياسكير الويتشر، المتمدد على القش، بمرفقه: «وادي الزهور. أو دول بلاثانًّا. انتبهت؟ لقد طُرِدَ الإلفيون، لكن الاسم القديم للإلفيين لم يجرِ الإقرار بضرورة تغييره. ربما ضاق خيالهم. وكيف عيشكم هنا مع معشر الإلف، أيها المضيف؟ إنهم في الجبال عندكم، خلف النحاس».

- لا نخالطهم ولا يخالطوننا. هم في شأنهم، ونحن في شأننا.

قال الشاعر: «هذا أفضل حل. أليس كذلك، يا جيرالت؟».

لم يرد الويتشر.

2

تلحَّس جيرالت الملعقة العظمية، ووضعها في صحن عميق فارغ: «شكرًا على كرم الضيافة، شكرًا ألف مرة أيها المضيف. والآن، فلنتكلم في الموضوع، إذا سمحتم».

وافق القراص: «حسنًا، يمكننا التكلم. ماذا، يا إدهون؟».

أشار إدهون، وهو كبير من بوسادا السفلى، رجل ضخم له نظرات قاتمة، أشار إلى الفتيات، فسارعن لجمع الأواني من على المائدة، وغادرن قاعة اللقاءات، من سوء حظ ياسكير وحسرته الواضحة، وقد كان منذ بداية الوليمة لا يغلق فمه أمامهنَّ، ويرغمهنَّ على الضحك المكتوم في أثناء النكات غير اللائقة.

قال جيرالت، وهو ينظر إلى النافذة التي اخترقها ضجيج طَرْقَاتِ فؤوس وصوت منشار. كان عمل ما يجري على قدم وساق، خلال تقطيع الخشب في

الفناء، فوصلت إلى الغرفة رائحة صمغية نفاذة: «هأنذا أستمع. قولوا، بماذا يمكنني أن أفيدكم هنا».

نظر القراص إلى إدهون، هز كبير النجع رأسه، وتنحنح.

وقال: «حسنًا، الأمر على النحو التالي. يوجد هنا حقل واحد...».

ركل جيرالت تحت الطاولة ياسكير الذي كان قد تهيأ لقول تعليق مزعج.

تابع إدهون: «الحقل. هل كلامي صحيح، أيها القراص؟ هذا الحقل تُرِكَ بورًا مدة طويلة، لكنني حرثته، والآن نزرع هناك القنب، والجنجل، والكتان. حقل هائل، أقول لكم. يصل حتى غاب الصنوبر».

لم يستطع الشاعر التحمل: «وماذا؟ ماذا يوجد في هذا الحقل؟».

رفع إدهون رأسه، وحك ما خلف أذنه: «حسنًا، هناك شيطون يعربد».

شخر ياسكير: «ماذا؟ أي شيء هذا؟».

- إنني أقول. شيطون.

- أي شيطون؟

- وكيف يجب أن يكون؟ شيطون وكفى.

- لا يوجد شياطين!

قال جيرالت بصوت هادئ: «لا تتدخل يا ياسكير. وأنتم استمروا بالكلام، يا سيد إدهون».

- إنني أقول: شيطون.

في وسع جيرالت أن يكون صبورًا صبرًا لا مثيل له، إن أراد ذلك: «قد عرفتُ هذا. حدثوني كيف يبدو، من أين طلع، وبماذا يزعجكم. بالترتيب، واحدة تلو الأخرى، لو تكرمت».

رفع إدهون كفه المشدودة، وبدأ يعد ثانيًا أصابعه واحدة تلو الأخرى، بصعوبة بالغة: «حسنًا. واحدة تلو الأخرى، في الحقيقة، كونكم إنسانًا حكيمًا. حسنًا، بالتأكيد. يبدو هو، يا سيدي، مثل شيطون، نسخة طبق الأصل شيطون. من أين طلع؟ حسنًا، ولا من أي مكان. طاخ، طيخ، فرقعة، فأنظرُ: شيطون. ولدى السؤال أكان يزعجنا، فهو في الحقيقة لا يزعجنا. بل حتى إنه يساعد أحيانًا».

قهقه ياسكير، وهو يحاول إخراج ذبابة من الجعة: «يساعد؟ الشيطان؟».

- لا تتدخل يا ياسكير. وأنتم استمروا بالكلام، يا سيد إدهون. بأي طريقة يساعدكم هذا، كيف تسمونه...

كرر القروي الأمي بطريقة قاطعة: «شيطون. حسنًا، إنه يساعد هكذا: يُخصِّب الأرض، ويحرك التربة، ويقضي على المناجذ[1]، وينفِّر الطيور، ويعتني باللفت والبنجر. ويأكل يرقات اليسروع التي تفقس في الكرنب. لكنه في الحقيقة يأكل الكرنب أيضًا. ولن يلتهم شيئًا آخر. كما هي حال كل شيطون».

قهقه ياسكير مجددًا، ثم طقطق بأصابعه، وقذف بذبابة مبللة بالجعة على قط نائم بجوار الموقد. فتح القط إحدى عينيه، ونظر إلى الشاعر نظرة تأنيب.

قال الويتشر بهدوء: «بيد أنك مستعد لتدفع لي للتخلص من هذا الشيطان، أليس كذلك؟ وبكلمات أخرى، أنتم لا تريدونه في منطقتكم؟».

نظر إدهون إليه بكآبة: «ومن منا يريد في موطنه شيطونًا؟ هذي هي أرضنا من جَد إلى جد، من الهِبَة الملكية، وليس للشيطون فيها شيء. سنبصق على مساعدته لنا، ما هذا، أليس لدينا، نحن، أيادٍ؟ وهذا، يا سيد ويتشر، ليس شيطونًا، بل دابة شريرة، وفي رأسه يتكوم الخراء، أرجو المعذرة، إلى درجة لا تطاق. في الصباح لا يمكن معرفة ما سيعتمل في دماغه مساءً. مرة، يا سيدي، يفسد البئر بفضلاته، ومرة أخرى يطارد فتاة، ويخيفها، ويهدد بوَطْئها. يسرق، يا سيدي، الممتلكات المتواضعة، وطعام الناس والجيش. يدمر ويخرِّب، يفرض نفسه بغلظة، يحفر في السدود الترابية، يحفر حفرًا مثل الإيَّل المسكي أو مثل القندس، وقد انسربت المياه من بركة واحدة كليًّا، ونفقت أسماك الشبوط. كان يشعل غليونه، ابن العاهرة، في كومة تبن كبيرة، ولم يبقِ من التبن كله إلا رماد الدخان...».

قاطعه جيرالت: «أفهم. ومع ذلك، فهو إذن، يزعج».

راح إدهون يهز رأسه: «لا. لا يزعج. يلهو وحسب، أي نعم».

التفت ياسكير إلى النافذة، كابحًا ضحكته. ظل الويتشر صامتًا.

---

(1) مناجذ: جمع «خُلد» من غير لفظه، وهو حيوان يعرف باسم الفأر الأعمى.

قال القراص الذي ظل محافظًا على صمته حتى الآن: «وما يمكن القول هنا. أنتم ويتشر، أليس كذلك؟ إذن، فافعلوا مع هذا الشيطان ما يلزم. كنتم تبحثون عن عمل في بوسادا العليا، أنا نفسي سمعت هذا. وها هو العمل بين أيديكم. سندفع لكم ما يلزم. لكن خذوا بعين الاعتبار أننا لا نريدكم أن تقتلوا الشيطان. لا، ولا بتاتًا».

رفع الويتشر رأسه، وابتسم بفظاظة.

وقال: «هذا مثير للاهتمام. وكنت سأقول، إنه استثنائي».

عبس إدهون: «ماذا؟».

- شرطكم فريد من نوعه. من أين لكم كل تلك الرحمة؟

- ليس مسموحًا القتل -عبس إدهون عبوسًا أشد- لأن في هذا الوادي...

قاطعه القراص: «ليس مسموحًا، وكفى. أمسكوه وحسب، يا سيد، أو اطردوه إلى ما بعد الجبل السابع. ولن نؤذيكم وقت دفع أجرتكم».

ظل الويتشر صامتًا، دون أن يتوقف عن الابتسام.

سأل إدهون: «أستعقدون الاتفاق؟».

- أود أولًا أن أتفحصه تمامًا، شيطانكم هذا.

نظر القرويان الثريان، أحدهما إلى الآخر.

قال القراص: «هذا حقكم».

ثم نهض: «وهي مشيئتكم. يتجول الشيطان ليلًا في جميع أنحاء المنطقة، لكنه يجلس في أثناء النهار في مكان ما، وسط نباتات القنب. أو بين أشجار الصفصاف العتيقة عند المستنقع. يمكنكم مشاهدته هناك. لن نستعجلكم. إذا رغبتم في قسط من الراحة، فاستريحوا ما شئتم من الوقت. لن نبخل عليكم، لا بالطعام ولا بالراحة، وفقًا لقانون الضيافة. نترككم بخير».

هب ياسكير من الكرسي واقفًا، ونظر إلى الفناء، وإلى القرويَيْن اللذين كانا يبتعدان عن المنزل الريفي: «جيرالت. لم أعد أفهم أي شيء على الإطلاق. لم يمر يوم واحد منذ أن تحدثنا عن الوحوش المتخيَّلة، حتى فجأة أصبحتَ أنت منخرطًا في اصطياد الشياطين. وحقيقة أن الشياطين هي اختلاق، وأنها مخلوقات خرافية، يعلمها الجميع، ما عدا بعض القرويين الجاهلين، على ما يبدو. فماذا تعني حماستك غير المتوقعة؟ أفترض، وأنا أعرفك بعض الشيء،

أنك لم تحط من منزلتك لتؤمن لنا، بهذه الطريقة، المنامة، والأكل، وغسل الملابس الداخلية؟».

تجهم جيرالت: «حقًّا. يبدو أنك تعرفني قليلًا فعلًا، أيها المغني».

- إذن، أنا لا أفهم.

- وما الذي هنا يجب أن يُفهم؟

صرخ الشاعر، موقظًا القط من نومه نهائيًّا: «الشياطين لا توجد! لا توجد! الشياطين لا وجود لها، فلتذهب إلى جحيم الشيطان!».

ابتسم جيرالت: «هذا صحيح. لكنني، يا ياسكير، لم يكن في مقدوري قطُّ مقاومة إغراء النظر إلى شيء غير موجود».

3

تمتم الويتشر، وهو يلقي نظرة على أجمة القنب المتشابكة، الممتدة أمامهما: «ثمة شيء واحد مؤكد. هذا الشيطان ليس غبيًّا».

بدا على ياسكير الفضول: «من أين تستنتج ذلك؟ من حقيقة أنه يمكث في غيضة عصية على الاختراق؟ لدى أي أرنب كان ما يكفي من الفهم لفعل ذلك».

- الأمر يتعلق بخصائص القنب الفريدة. مثل هذا الحقل الضخم يُصدِر هالة قوية مضادة للسحر. جلُّ التعاويذ ستكون عديمة الفائدة هنا. وهناك، انظر، هل ترى تلك الأوتاد؟ إنها للجنجل. إن حبوب اللقاح من أكواز الجنجل لها تأثير مماثل. أراهن على أن ذلك ليس مصادفة. هذا الوغد يستشعر الهالة، ويعرف أنه في أمان هنا.

تنخَّم ياسكير، وعدَّل سرواله.

قال، وهو يحك جبينه تحت القبعة: «أتساءل، كيف ستتعامل مع هذا أيضًا، يا جيرالت. لم أركَ قطُّ وأنت تمارس عملك. أفترض أنك تعرف شيئًا أو أكثر عن اصطياد الشياطين. أحاول أن أتذكر بعض قصايد البالادا من التاريخ القديم. كانت إحداها فاحشة، لكنها مسلية، عن شيطان وامرأة،. امرأة... انتبه».

- اعفني من المرأة، يا ياسكير.

- كما تشاء. أردت فقط أن أكون نافعًا، لا أكثر. أما الأناشيد القديمة، فينبغي عدم الاستهانة بها، إذ تكمن فيها حكمة راكمتها أجيال كثيرة. ثمة بالادا عن مزارع أجير، يدعى يولوب، وهو...

- كفَّ عن الكلام. حان الوقت لبدء العمل. العمل من أجل المأكل والملبس النظيف.

- ماذا تريد أن تفعل؟

- سأفتش بين القنب بعض الوقت.

شخر التروبادور: «هذا أمر فريد من نوعه. مع أنه غير باذخ».

- وأنت، كيف ستتهيأ لذلك؟

تجهم ياسكير: «بذكاء. بمكر. مع حملة مطاردة، على سبيل المثال. لو قُيِّضَ لي لطردت الشيطان من الدغل، وللحقت به على صهوة حصاني، في حقل نظيف، واصطدته بالحبل من رقبته. ما رأيك في هذا؟».

- مفهوم، مثير للاهتمام تمامًا. من يدري، ربما يكون قابلًا للتطبيق، إذا كنت ترغب في المشاركة، لأننا نحتاج إلى شخصين على الأقل لإنجاز عملية كهذه. لكننا لن نبدأ الصيد بعد. أريد، في الوقت الحالي، أن أهتدي إلى معرفة ماهية هذا الشيطان. لهذا السبب، لا بدَّ لي من أن أمكث في حقل القنب.

الآن فقط لاحظ الشاعرُ هذا: «هيه! لم تأخذ سيفك!».

- ومن أجل ماذا؟ أنا أعرف أيضًا قصايد البالادا عن الشياطين. لا المرأة، ولا المزارع الأجير المُسمى يولوب، استخدما السيف.

تلفت ياسكير حواليه: «هممم... أعلينا أن ندفع أنفسنا إلى قلب هذه الدَّيْسة؟».

- أنتَ لسَت مجبورًا. يمكنك العودة إلى القرية، وانتظاري هناك.

احتجَّ الشاعر: «أوه، لا. هل عليَّ تضييع فرصة كهذه؟ أريد أن أرى الشيطان أيضًا، وأقتنع أكان مخيفًا حقًّا إلى هذا الحد الذي يرسمونه فيه. سألت أكان ضروريًّا أن نتسلل عبر القنب، ما دام الدرب موجودًا».

غطى جيرالت عينيه بكفه: «حقًّا. الدرب موجود. فلنستفد منه».

- وماذا لو كان هذا درب الشيطان؟

- هذا أفضل بكثير. فلن يرهقنا المشي كثيرًا.

راح الشاعر المغني يثرثر، وهو يخطو خلف الويتشر على مسلك ضيق وغير مستوٍ، بين القنب.

- تعرف، يا جيرالت. اعتقدت دائمًا أن «الشيطان» هو مجرد كناية استعارية، اختُرِعَتْ لتكون شتيمة. «فلتأخذه الشياطين»، «فلتكن الشياطين»، «إلى الشيطان». ونحن نتشارك في قول ذلك. عندما يرى أفراد عِرق الهافلينج الضيوف قادمين، يقولون: «تجيء الشياطين مجددًا بشخص ما». والأقزام يقسِمون: «*Duwel hoael*» عندما يخفقون في شيء ما، ويطلقون على البضاعة السيئة: «*Duweisheyss*». وفي **لغة القدماء** قول كهذا: «*A d'yaebl aep arse*».

وهو يعني...

- أعرف ماذا يعني. كُفَّ عن الهراء، يا ياسكير.

سكت ياسكير، ثم خلع قبعته المزيَّنة بريشة من طائر البلشون، وحرك بها الهواء، ثم مسح جبينه المتعرق. ساد الديسة حر خانق، وثقيل، ورطب، تزيد من وطأته الرائحة العالقة في الهواء، المنبعثة من الأعشاب المزهرة، الضارة منها، وغير الضارة. انعطف المسلك قليلًا، لينتهي خلف المنعطف مباشرة بفسحة صغيرة دِيست حشائشُها.

- انظر، يا ياسكير.

كان في قلب الفسحة حجر كبير مسطَّح ملقى، وعليه عدة صحون خزفية. استرعت النظر شمعة شحمية بين الصحون، تكاد تكون محترقة إلى آخرها. رأى جيرالت حبات ذرة وفول عالقة بفطائر دهن مذاب، وكذلك بذور وحبوب أخرى غير معروفة.

غمغم: «هكذا أنا قد خمنت. إنهم يقدمون له القرابين».

قال الشاعر مشيرًا إلى الشمعة: «كبد الحقيقة. ويحرقون بقية شمعة للشيطان. لكنهم يطعمونه، كما أرى، حُبيبات، كما لو أنه طائر حسون الشوك. يا للوباء، يا لها من حظيرة خنازير ملعونة! كل شيء هنا لزج، من جرَّاء العسل والقطران. ماذا...».

حجب ثغاء صاخب خطر كلمات الشاعر التالية. ثمة شيء خشخش وخبط بين القنب، ثم ظهر من الأجمة أغرب مخلوق رآه جيرالت على الإطلاق.

كان طول المخلوق أكثر من قامة واحدة بقليل، وكانت عيناه جاحظتين، وله قرنا ماعز ولحية. الفم أيضًا متحرك، مقسم وناعم، يستدعي إلى الذهن صورة عنزة تجتر. كان الجزء السفلي من جسم المخلوق مغطى بشعر أحمر داكن، غزير، طويل يبلغ حتى أظلاف حافريه المشقوقين. وكان هذا العجيب الغريب مزوَّدًا أيضًا بذيل طويل، ينتهي بشُرَّابة كخيوط الفرشاة، يكنس به بنشاط وهمة.

نبح الوحش، وهو يرفع ويخفض حافريه: «أوق! أوق! ماذا هنا؟ اغربوا، اغربوا، أو آخذكم بالقرنين، أوق! أوق!».

لم يستطع ياسكير التحمل: «هل سبق أن ركلك أحد على مؤخرتك، أيها التيس؟».

- أوق! أوق! بيئئئئئئ!

ثغا الماعز المُقرَّن. كان من الصعب تقييم أكان ذلك تأكيدًا، أم نفيًا، أو حتى ثغاء من أجل الفن، وحسب.

هدر الويتشر: «اصمت، يا ياسكير. ولا أي كلمة».

صقعَ المخلوق صُقاعًا هائجًا، وقد اتسعت شفته، كاشفة عن أسنان حصان صفر: «بليبليبليبيئئئئئئئ! أوق! أوق! أوق! بليؤلاييييؤيليؤؤبيئئئئئ!».

هز ياسكير رأسه: «بكل تأكيد. الأرغُن اليدوي والجرس لك. عندما تذهب إلى البيت، يمكنك أخذهما».

هسهس جيرالت: «توقف، إلى الجحيم. أنت تفسد كل شيء. احتفظ بنكاتك الحمقاء لنفسك...».

جأر الماعز المُقرَّن بصوت صاخب ووثب: «نكات! نكات، بيئئئ، بيئئئئ! وصل أصحاب نكتة جدد، ها؟ جلبُوا كُريَّات حديد؟ إذن، سأعطيكم كُريات حديدية أيها الأوغاد، أنتم، أوق، أوق، أوق! اشتهيتم النكات، بيئئئئ؟ خذوا النكات! خذوا كرياتكم! خذوا!».

وثب المخلوق، ولوح بيده بعنف. صرخ ياسكير، وجلس على الدرب ممسكًا بجبهته. ثغا المخلوق، ولوَّح من جديد موسعًا حركة يده. أزَّ شيء ما قرب أذن جيرالت.

- خذوا كرياتكم! بيئئئ!

ضربت كُريَّة حديد، قطرها بوصة واحدة، ذراع الويتشر، وأصابت أخرى ركبة ياسكير. أخذ الشاعر يشتم شتمًا قاذعًا، وهم بالفرار. وقفز جيرالت خلفه، دون انتظار، وراحت الكريات تئز فوق رأسه.

زعق الماعز المُقرَّن، قافزًا مرة بعد أخرى: «أوق! أوق! بيئئئ! سأعطيكم الكريات! يا أصحاب النكتة في الغائط!».

أزت كُرية في الهواء. راح ياسكير يشتم أقذع الشتائم، أشد مما كان، ممسكًا بقذال رأسه. ارتمى جيرالت جانبًا، بين القنب، لكنه لم يتمكن من تفادي القذيفة التي أصابته في كتفه. كان لا بدَّ من الاعتراف أن الشيطان كان يرمي بدقة مروعة، وقد بدا أن لديه مخزونًا من الكريات لا ينضب. تناهى إلى سمع الويتشر، وهو يدور مراوغًا وسط الأجمة، ثغاء النصر أطلقه الشيطان المظفَّر، وإثر ذلك مباشرة، سمع أزيز كُرية أخرى، وشتائم ياسكير، وخبطات قدمِيه، وهو هارب على الدرب.

ثم حل الصمت.

4

وضع ياسكير حدوة حصان مبردة في دلو على جبهته: «أتعلم، يا جيرالت. لم أتوقع هذا الشيء. هذا القبح الشنيع بقرنيْ ولحية ماعزة، هذا التيس المشعر، طاردك كأنك صبي أرعن. وأنا تلقيت ضربة على رأسي. انظر، أي ورم سبَّب لي».

- هذه المرة السادسة التي تُريني إياه. لا يبدو أكثر إثارة مما كان عليه أول مرة.

- لطيف أنت. لكنني ظننت أنني سأكون في أمان بجانبك!

- أنا لم أطلب منك أن تجول خلفي بين القنب. وبدلًا من ذلك، طلبت منك أن تضبَّ على لسانك السليط. أنت لم تسمع كلامي، فلتتعذب الآن. بصمت، لو تكرمت، فها هم قادمون.

دخل القراص وإدهون، ضخم الجسم، غرفة الاستقبال. خلفهما مشت، بخطى وئيدة، جُديْدة شائبة، وملتوية ككعكة مملحة، تقودها صبية شقراء ونحيفة نحفًا مخيفًا.

بدأ الويتشر الحديث دون مقدمات: «حضرة إدهون، حضرة القراص الكريمين. قبل أن أغادركم، سألت أكنتم، أنتم أنفسكم، قد حاولتم اتخاذ إجراء ما في ما يخص شيطانكم هذا. قلتم إنكم لم تفعلوا أي شيء. لديَّ سبب يدفعني إلى الاعتقاد أن الأمر لم يكن كذلك. أنتظر توضيحًا».

تمتم مستوطنا النجع فيما بينهما، ثم سعل إدهون في قبضته سعالًا خفيفًا، وتقدم خطوة.

- أنتم محقون، يا سيدي. نسألكم المسامحة. لقد كذبنا لأن العار ابتلعنا. أردنا، نحن وحدنا، أن نأخذ الشيطان بالمكر، ونجعله يغرب عنا بعيدًا...

- بأي طريقة؟

قال إدهون ببطء: «لقد طلع، عندنا في الوادي، قبل مدة من الزمن، بعابع مرعبة. تنانين طائرة، دخداخيات أرضية، مستعركون، مصاصو دماء، عناكب عملاقة، أفاعٍ مختلفة. وكنا نبحث في كتابنا دائمًا عن وسيلة للخلاص من كل قذارة».

- في أي كتاب؟

- دعينا نرى الكتاب يا جدَّة. الكتاب، أقول. الكتاب! سيفور دمي الآن! طرشاء كجذع شجرة! يا ليليي، قولي لجدتك أن ترينا الكتاب!

انتزعت البُنيَّة الشقراء السِّفْر الكبير من أصابع العجوز المعقوفة، وناولته الويتشر.

تابع إدهون: «في هذا الكتاب، الذي وُجِدَ في سلالتنا منذ أزمنة غابرة، ثمة وسائل للخلاص من جميع الوحوش، والأسحار، والغرائب التي كانت في العالم من قبل، والكائنة الآن، أو التي ستكون».

قلب جيرالت في يديه مجلدًا ضخمًا، وثقيلًا، وسميكًا، مغطى بغبار مدهن. كانت الفتاة لا تزال تقف أمامه، وهي تفرك مئزرها بكفيها. كانت أكبر سنًّا مما خمن في البداية؛ ما أضلَّه قدها الناعم الصغير الذي كان مختلفًا تمامًا عن القوام الصلب لفتيات النجع الأخريات، اللواتي قد يكن من قريناتها.

وضع الكتاب على المنضدة، وقلَّب الغلاف الخشبي الثقيل.

- هيا ألقِ نظرة عليه، يا ياسكير.

قال الشاعر المغني، وهو يمعن النظر إليه عبر كتفه مقدِّرًا، ولم تزل الحدوة موضوعة على جبينه: «أول حروف رونية. أقدم خط مستخدم حتى عصر إدراج الأبجدية الحديثة. كان لا يزال يعتمد على أحرف الإلف الرونية وإيدوجرامات الأقزام. تركيب مُسلٍّ، وهذا ما قيل آنذاك. رسوم ومزخرفات مثيرة للاهتمام. مثل هذه الأشياء لا ترى كثيرًا، يا جيرالت، وإن حدث ذلك، ففي مكتبات المعابد فقط، وليس في قرى على حافة العالم. بحق كل الآلهة، من أين لكم هذا، أيها الفلاحون الأحباء؟ ولعلكم لا تريدون جعلنا نصدق أنكم تستطيعون قراءة هذا كله؟ يا جدة؟ هل يمكنك قراءة هذه الرونيات الأولى؟ هل يمكنكِ قراءة أي أحرف رونية؟».

- ماذا!!!؟

اقتربت الفتاة الشقراء من جدتها، وهمست بشيء مباشرة في أذنها.

أظهرت الجدة المسنة، بابتسامة، لثتها التي لا أسنان فيها: «أقرأ؟ أنا؟ لا، يا ذهبتي. ما نلتُ هذا الفن».

قال جيرالت ببرود، ملتفتًا إلى إدهون والقراص: «اشرحا لي، بأي طَريقة تستخدمان الكتاب، وأنتما لا تجيدان قراءة الأحرف الرونية؟».

قال إدهون بكآبة: «الجدة الكبرى تعرف دائمًا ما هو موجود في الكتاب. وما تعرفه، تعلمه لإحدى الشابات، وقد حان الوقت لأن تُوارى الثرى. تلاحظون، أنتم أنفسكم، أن ساعة جدتنا قد أزفت. لذا أخذت الجُديْدة ليليي إلى المنزل، والآن تُعلِّمُها. لكن الجدة إلى الآن هي خير من يَعلَم».

تمتم ياسكير: «الساحرة العجوز، والساحرة الشابة».

قال جيرالت متشككًا: «إذا فهمت جيدًا، فالجدة تعرف الكتاب كله عن ظهر قلب؟ أليس كذلك؟ يا جدة؟».

أجابت الجدة، بوساطة ليليي مجددًا: «ليس كله، لا، بتاتًا، وإنما فقط ما يكون بجانب الرسمة».

فتح جيرالت الكتاب عشوائيًّا. مثلت الرسمة، الظاهرة على صفحة ممزقة قليلًا، خنزيرًا مرقطًا، ومُقرَّنًا، على هيئة قيثارة اللير: «آها. تفاخري إذن، يا جدة. ماذا مكتوب هنا؟».

تلمظت الجدة، وتفحصت الرسمة، ثم أغمضت عينيها.

ورتلت: «الأرخص المُقرَّن، أو الثور. سماه الجهلة بالبيسون خطأً. لديه قرنان وينطح بهما...».

عدل الويتشر من وضع عدة صفحات ملتصقة: «هذا كافٍ. جيد جدًّا، حقًّا. وهُنا؟».

- عفاريت السحاب وشياطين الغيم كثيرة التنوع. هذه تصب الأمطار، وتلك تبذر الرياح، وهاتيك تلقي الصواعق. أتريد حماية المحاصيل منها، خذ سكينًا من حديد جديدة، وثلاث حصص من براز الفأر، وشحم البلشون الرمادي...

- جيد، برافو. هممم... وهنا؟ ما هذا؟

أظهرت الرسمة بعبعًا أشعث الشعر مخيفًا، يمتطي حصانًا، وله عينان ضخمتان، وأسنان أكبر منهما بكثير. يمسك البعبع سيفًا كبيرًا بيمناه، وكيس مال بيسراه.

غمغمت الجدة: «مُستسحِر. يسميه البعض ويتشر. استدعاؤه أمر بالغ الخطورة، لكن لا بدَّ منه دائمًا، لأنه إن لم تكن وسيلة لفعل شيء ضد الوحش والقذارة، فالمستسحِر يمكنه فعل ذلك. لكن الحرص واجب عندئذ...».

تمتم جيرالت: «يكفي. يكفي يا جدة. شكرًا لك».

احتجَّ ياسكير بابتسامة خبيثة: «لا، لا. ماذا هناك بعد ذلك؟ يا له من كتاب مثير للغاية! تكلمي، هيا يا جدة، تكلمي».

- إيييي... احرصوا أن لا تلمسوا المستسحِر، فإن فعلتم أصابكم الجرب. وأخفوا العذارى عنه، لأن المستسحِر شهواني بما يفوق كل حد...

ضحك الشاعر: «هذا وصف مطابق تمامًا، صورة طبق الأصل».

أما ليليي، حسب ما بدا لجيرالت، فقد ابتسمت ابتسامة لا تكاد تلاحظ.

تمتمت الجدة مضيقة عينيها: «...مع أن المستسحِر شديد الجشع، ومولعًا بالذهب، فلا تعطوه أكثر من قرش فضي واحد، أو قرشًا ونصف القرش، مقابل الغريق. وقرشين فضيين مقابل المُستقِطِّ. وقروشًا فضية أربعة مقابل مصاص الدم...».

تمتم الويتشر: «تلك أيام كانت. شكرًا لك يا جُديْدة. والآن أرينا أين ذكرُ الشيطان هنا، وماذا يحكي الكتاب عن الشياطين. هذه المرة أوَدُّن[1] أن أسمعن المزيد من النصائح، لأنني أشعرن بالفضول لمعرفة الطريقة التي استخدمتموها ضده».

ضحك ياسكير ضحكة خفيفة: «حذارِ، يا جيرالت. لقد بدأت تنزلق في هذه الرطانة في كلامك. هذا سلوك مُعدٍ».

قلَّبت الجدة التي كانت تتحكم في وتيرة ارتعاش يدها بمشقة، عدة صفحات. انحنى الويتشر والشاعر فوق الطاولة. وحقيقة، ظهر قاذف الكريات في الرسمة، وكان مقرنًا، ومشعرًا، ومذيلًا، ومبتسمًا بخبث.

تلت الجدة: «الشيطون. يسمى أيضًا روكيتا أو سيلفان. ضد ممتلكات المنزل والدواجن، بالغ الضرر، شديد الإزعاج. أتريد طرده من جوار نجوعكم، افعلن ذالكم...».

غمغم ياسكير: «حسنًا، حسنًا».

تابعت الجدة محركة إصبعها على الرق: «خذ من الجوز حفنة واحدة. أما بعدها، فخذ من كريات الحديد، حفنة. جرة عسل، وقطرانًا، بعدها. برميلًا من الصابون الصلب، ولبنًا جامدًا، بعده. إلى حيث يجلس الشيطون، اذهب ليلًا. وبأكل الجوز ابدأ. حينئذ سيقترب الشيطون الذي هو نهم، ويسأل أشهيٌّ الأكل أم لا. عندها أعطه كريات الحديد...».

تمتم ياسكير: «ليأخذكم الوباء. وليرجفكم...».

قال جيرالت: «اهدأ. حسنًا يا جدة. استمري».

- ... بعد أن تنخدش أسنانه، سيشتهي الشيطون، وهو يراقبك وأنت تأكل العسل، سيشتهي العسل أيضًا. أعطه القطران، وكُلْ أنت اللبن الجامد.

---

(1) أضفنا النون على بعض الأفعال عمدًا، جريًا على أسلوب الكاتب لإبراز اللغة المختلفة لهؤلاء القوم.

سرعان ما ستسمع أحشاءه تبقبق منقبضة، لكن تظاهر كأن شيئًا لم يحدث. وإذا أراد الشيطون اللبن الجامد، فأعطه الصابون. وبعد الصابون، لن يقاوم الشيطون...

قاطعها جيرالت بوجه حجري، ملتفتًا نحو إدهون والقراص: «وصلتم إلى الصابون؟».

تأوه القراص: «أين نحن من ذلك. يا ليت وصلنا إلى الكريات. أوه، يا سيد، لقد أعطانا فولًا عندما عض الكرية...».

اهتاج ياسكير غضبًا: «ومن قال لكم أن تعطوه هذه الكمية من الكريات؟ المذكور في الكتاب، أن تعطوه حفنة واحدة فقط فقط. وأنتمو أعطيتموه جِوالًا من هذيك الكريات! زوَّدتموه بالذخيرة لما يكفي نحو حولين، مخبولون أنتمو!».

ابتسم الويتشر: «حذارِ. أنت تنزلق في الرطانة. هذا أمر مُعدٍ».

- أشكرك.

رفع جيرالت رأسه فجأة، ونظر إلى عينيِ الفتاة الواقفة بجانب جدتها. لم تغُضَّ ليليِ بصرها. كانت عيناها زرقاوين ناصعتين وشرستين.

سأل بحدة: «لماذا تقدمون للشيطان قرابين على هيئة حبوب؟ أساسًا، واضح تمامًا أنه عاشب نموذجي».

لم تجب ليليي.

- سألتكِ سؤالًا يا فتاة. لا تخافي، إن التحدث معي لا يسبب الجرب.

نطق القراص وفي صوته إحراج واضح: «لا تسألوها عن أي شيء، يا سيد. ليليي... إنها... غريبة الأطوار. لن ترد عليكم، لا تجبروها».

واصل جيرالت النظر إلى عيني ليليي، وليليي لمَّا تغضَّ بصرها. شعر بقشعريرة تسري في ظهره، متسللة إلى عنقه.

- لماذا لم تذهبوا إلى الشيطان بالقضبان والمذاري؟ -رفع صوته- لماذا لم تنصبوا له فخًّا؟ يكفي لو أنكم أردتم ذلك، لصار رأسه، رأس الماعز هذا، معلقًا على عصا مثل فزاعة الغربان. لقد حذرتموني أن لا أحاول قتله. لماذا؟ أنتِ منعتهم من ذلك، أليس كذلك، يا ليليي؟

نهض إدهون من المقعد. كاد رأسه يصل إلى السقف الخشبي.

هدر: «اخرجي يا بنت. خذي الجدة واخرجي من هنا».

بدأ الويتشر الكلام، بعد أن انغلق الباب بخروج الجدة وليليي: «من هي، يا حضرة السيد إدهون؟ من تلك الفتاة؟ لماذا تحظى باحترام منكم أكثر مما يحظى به ذلك الكتاب اللعين؟».

نظر إليه إدهون، ولم تكن في هذه النظرة صداقة: «هذه ليست قضيتك. تضطهدون في مدنكم النساء الحكيمات، وتحرقوهنَّ على أكوام حطب مشتعل. عندنا، مثل هذا لم يكن، ولن يكون».

قال الويتشر ببرود: «أنتم لم تفهموني».

هدر إدهون: «فلأنني لم أحاول».

قال جيرالت ببطء وامتعاض، غير ساعٍ ليكون ودودًا أيضًا: «قد لاحظتُ ذلك. لكن، ثمة شيء أساس يرجى فهمه، ياً حضرة السيد إدهون. لا نزال إلى الآن دون عقد يربطنا، وإلى الآن لم أُلزِم نفسي بأي شيء تجاهكم. ليس لديك أساس للاعتقاد بأنكم اشتريتم لأنفسكم ويتشرًا، سيفعل مقابل قرش فضي، أو قرش ونصف القرش، ما لا تقدرون على فعله أنتم. أو ما لا يُسمح لكم فعله. لا، إذن، يا حضرة السيد إدهون. أنتم لم تشتروا ويتشرًا بعد، ولا أعتقد أنكم ستنجحون في ذلك. ولا في ظل انعدام الرغبة في الفهم عندكم».

ظل إدهون صامتًا، وهو يقيس جيرالت بنظرة كئيبة. تنحنح القراص، وراح يتحرك يمينًا وشمالًا على المقعد، حاكًّا الأرضية بيديه، ثم فجأة اعتدل.

قال: «سيد ويتشر. لا تحنقوا. سنقول لكم ماذا وكيف. يا إدهون؟».

أومأ كبير النجع بموافقته، وجلس.

بدأ القراص: «عندما كنّا سائرين إلى هنا، لاحظتم كيف ينمو كل شيء هنا، وكيف المحاصيل تزدهر وتُجنى هنا. ويحدث أن مما يُربَّى هنا، يصعب، أو حتى يستحيل، أن تشهده في أي مكان آخر. لذلك عندنا الشتول وحبوب البذر شيئان مهمان، ونحن عليهما ندفع الضريبة، ونبيع ونتبادل...».

- وما علاقة هذا بالشيطان؟

- له علاقة به. في الماضي كان الشيطون يفرض نفسه ويفاجئنا بالحيل الغبية، إلى أن بدأ يسرق الحبوب بكميات هائلة. في البداية رحنا نحمل إليه كميات قليلة، نضعها على الحجر بين القنب، وظننا أنه سيُتخَم

ويمنحنا السلام. ولم يكن شيء من ذلك: ظل يسرق حتى طفح الكيل. وعندما بدأنا في إخفاء الإمدادات عنه في الحوانيت والمخازن الخشبية المغلقة بثلاثة أقفال، هاج وماج، يا سيدي، زأر، وانتحب، وصاح «أوق-أوق»، وحينما هو «أوق-أوق»، فمن الأفضل أن تبقى تطلق رجليك للريح. لقد هدد أن...

تدخل ياسكير بابتسامة فظة: «... أنه سينكح».

وافق القراص: «نعم، أيضًا. وذكر شيئًا ما عن الدجاجة الحمراء. وهنا يطول الحديث، لم يتمكن من أن يسرق، فطلب فدية. أمر أن تحمل الحبوب والسلع الأخرى إليه بجوالات كاملة. عندئذ كدنا ننفجر غضبًا، وعزمنا على أن نسلخ مؤخرته المذيلة. لكن...».

تنحنح القروي، ونكس رأسه.

فجأة نطق إدهون: «لا حاجة إلى اللف والدوران. أخطأنا في الحكم على الويتشر. احكِ كل شيء، يا قراص».

قال القراص بسرعة: «نهَت الجدة عن ضرب الشيطان، لكننا نعرف أن وراء ذلك ليليي، لأن الجدة... الجدة لا تقول إلا ما تأمر به ليليي. ونحن... أنتم تعرفون، يا سيد ويتشر. نحن نطيع».

مط جيرالت شفتيه بابتسامة: «لاحظت ذلك. لا تستطيع الجدة إلا أن تهز ذقنها، وتغمغم بنص لا تفهمه هي نفسها. وأنتم تحملقون إلى الفتاة كما إلى صنم إلهة، بفم مفتوح، وتتجنبون عينيها، ولكنكم تحاولون تخمين رغباتها. ورغباتها بالنسبة إليكم أوامر. من هي، هذه ليلييكم؟».

- ها أنتم قد خمنتم، يا سيد. عرَّافة. حسنًا، هي ذكية، أعني. لكن لا تخبروا أحدًا عن هذا. نرجوكم. فلو وصل هذا الأمر إلى الآمر، أو لا سمح الرب، إلى الوالي...

قال جيرالت بجدية: «لا تخافوا. أعرف ما هو الموضوع، ولن أخونكم».

لم تحظ النساء والفتيات الغريبات الأطوار اللواتي كان يمكن العثور عليهنَّ في القرى، وتُطلق عليهنَّ صفة عرَّافات أو **حكيمات**، على تعاطف كبير من كرام علية القوم الذين كانوا يجبون الضرائب، ويجنون الأرباح من الزراعة. كان المزارعون دائمًا يستشيرون العرافات في كل قضية تقريبًا. كانوا يثقون بهنَّ ثقة عمياء لا حدود لها. وغالبًا ما كانت القرارات، المتخذة على أساس

هذه المشورات، مخالفة على نحو مطلق لسياسة السادة والحكام. لقد سمع جيرالت عن حالات متطرفة، وغير مفهومة، بطريقة فاضحة - عن قتل قطعان كاملة مخصصة للتكاثر، ووقف البَذر أو الحصاد، وحتى عن هجرات قرى بأكملها. لذا كافح الحكام «الخرافات»، وغالبًا كانوا يفعلون ذلك، غاضين النظر عن الوسيلة المتبعة. لذلك سرعان ما تعلم الفلاحون إخفاء **الحكيمات**. لكنهم لم يكفُّوا عن الاستماع لنصائحهن. لأن شيئًا واحدًا، كما أثبتت التجربة، لم يدخل إليه الشك، فقد ثبت دائمًا، على المدى الطويل، أن الحكيمات كنَّ على حق.

تابع القراص: «لم تسمح لنا ليليي بقتل الشيطون. أمرتْ أن نفعل ما يأمر به الكتاب. وكما تعلمون، لم ينجح الأمر. وقد حدثت مشكلات مع الوالي. وكان إذا قدمنا حَبًّا أقل من المعتاد، لدفع الضريبة، أرغى وأزبد، وصرخ، وشتم. لم ننبس بكلمة حتى، عن الشيطان، لأن الوالي قاسٍ، ولا يعرف عن المزاح إلا القليل الأقل. وعندئذ ظهرتم فجأة. سألت ليليي إذا ما كان بإمكاننا أن... نستأجركم...».

- ثم ماذا؟
- قالت، من خلال جدتها، يجب أن تلقي نظرة عليكم أولًا.
- وألقت نظرة.
- ألقت نظرة. وعرفتكم، نحن نعلم ذلك، نحن نستطيع معرفة ما تقبله ليليي، وما لا تقبله.
- هي لم تقل لي أي كلمة.
- لم تقل أي كلمة لأي شخص، سوى الجدة. لكنها لو لم تعرفكم، لما دخلت غرفة الاستقبال، مهما كان الثمن.

تفكر جيرالت: «هممم. هذا مثير. العرافة، بدلًا من أن تقرأ المستقبل، تظل صامتة. لكن، من أين أتت إليكم؟».

تمتم إدهون: «لا نعرف، يا سيد ويتشر. لكن الأمر نفسه حدث مع الجدة، كما يذكر الكبار. ثم إن الجدة الأولى أيضًا حوت في بيتها فتاة عازبة، قليلة الكلام، لم يُعرَف من أين بزغت. وتلك الفتاة هي جدتنا الآن نفسها. وقد اعتاد جدي تكرار القول بأن الجدة تتوالد بهذه الطريقة. حقًّا، كأنها الهلال في السماء، يولد من جديد، ويتجدد أبدًا. لا تضحكوا...».

أدار جيرالت رأسه: «أنا لا أضحك. لقد رأيتُ الكثير، فلا تضحكني مثل هذه الأشياء. لا أفكر أيضًا في دس أنفي في شؤونكم، يا حضرة السيد إدهون. أسئلتي تسعى إلى تحديد الرابط بين ليليي والشيطان. لعلكم قد فهمتم أن مثل هذا الرابط موجود. لذلك، إن كان أمر عرَّافتكم يهمكم، فثمة طريقة واحدة لا غير، بخصوص الشيطان، يمكنني أن أقدمها لكم: عليكم أن تحبوه».

قال القراص: «أتعلم يا سيدي، الأمر لا يتعلق بالشيطون، وحسب. ليليي لا تسمح بإلحاق أي ضرر. بأي مخلوق».

تدخل ياسكير: «طبعًا. تنبت العرافات القرويات من الجذع نفسه الذي ينبت منه كهنة الدرويد. ومثل هذا الدرويد، عندما تمتص ذبابة النِبْر الدمَ منه، فهي تتمنى له وجبة لذيذة».

ابتسم القراص ابتسامة خفيفة: «أصبتم. أصبتم الصميم. كان الأمر نفسه عندنا مع الخنازير البرية التي كانت تحفر حقول الخضراوات. وماذا؟ تطلعوا من النافذة: حقول الخضراوات كأنها لوحة مرسومة. عثرنا على الطريقة، ليليي لا تعرف حتى كيف حدث ذلك. ما لا تراه الأعين، لا يحزن القلب. هل تفهمون؟».

تمتم جيرالت: «أفهم. وكيف لا. لكن لا شيء يغير من ذلك. ليليي أم غيرها، شيطانكم هو سيلفان. مخلوق شديد الندرة، ولكنه ذكي. لن أقتله، قانوني يمنع ذلك».

نطق إدهون: «إذا كان عاقلًا، فكلِّموه ليعود إلى رشده».

التقط القراص معنى الكلام: «هذه الحقيقة بعينها. إذا كان للشيطان عقل، فهذا يعني أنه يسرق الحبوب حسب ما يمليه عقله. أنتم، يا سيد ويتشر، استعلموا إلى ماذا يسعى. إنه أساسًا لا يزدرد هذا الحَب، أوْ ليس بهذا القدر على أي حال. إذن، لمَ يحتاج إلى الحب؟ لينغِّص علينا، أم ماذا؟ ماذا يريد؟ استعلموا، واطردوه من المنطقة بطريقة ما ويتشرية. أستفعلون هذا؟».

قرر جيرالت: «سأحاول. ولكن...».

- ولكن ماذا؟

- كتابكم، يا أعزائي، عفاه الزمن. هل تفهمون ما أرمي إليه؟

نطق إدهون بتململ: «يعني، في الحقيقة، ليس تمامًا».

- سأشرح لكم. حسنًا، حضرة السيد إدهون، حضرة السيد القراص، إذا حسبتما أن مساعدتي لكما ستكلفكما قرشًا فضيًّا واحدًا، أو قرشًا ونصف القرش، فإنكما قد أخطأتما خطأ فادحًا.

5

- يا هَياهُ!

انبعث من الأجمة حفيف، و«أوق-أوق»، وطقطقة عيدان.

كرر الويتشر، وهو مختبئ بحذر: «يا هَياهُ! اطلع يا روكيتا».

- أنت وحدك روكيتا.

- إذن كيف أناديك؟ شيطان؟

أظهر الماعز المقرن رأسه من بين القنب، مكشرًا عن أسنانه: «أنت وحدك شيطان. ماذا تريد؟».

- التحدث.

- أتمزح، أم ماذا؟ أتعتقد أنني لا أعرف من تكون؟ قد استأجرك الفلاحون لتطردني من هنا، نعم؟

اعترف جيرالت من غير اكتراث: «هذا صحيح. وهذا ما أردت أن أدردش معك عنه. ويمكننا أن نتفق؟».

حمحم الشيطان: «وهذا هو ما تسعى إليه. تود أن تمكر بثمن بخس، نعم؟ دون أي جهد؟ لا تنطلي عليَّ هذه الألاعيب، بيئئئئ! الحياة، يا رجل، منافسة. يفوز الأفضل. تريد أن تفوز عليَّ، أثبت أنك أفضل مني. بدلًا من الوصول إلى اتفاق. المنتصر يملي الشروط. أقترح سباقًا من هنا إلى الصفصافة العتيقة على السد الترابي».

- أنا لا أعرف مكان السد، ولا أعرف مكان الصفصافة العتيقة.

- لو كنتَ تعلم، لما كنتُ اقترحتُ السباق. أنا أحب المباريات، لكني لا أحب الخسارة.

- لاحظتُ ذلك. لا، لن نتسابق. الجو حار اليوم.

أبرز الشيطان أسنانه الصفر، ورفع حجرًا عظيمًا من الأرض: «خسارة. إذن، ربما نتبارى بطريقة مختلفة؟ هل تعرف لعبة 'من يصوِّت أعلى من الآخر'، أنا أصوت أولًا. أغلق عينيك».

- لديَّ عرض آخر.
- كلي أذن صاغية.
- ستنقلع من هنا دون مباريات، أو سباقات، أو صيحات. وحدك، دون إكراه.
- ضع هذا العرض في *a d'yeabl aep arse*[1] -أظهر الشيطان معرفته **بلغة القدماء**- لن أنقلع من هنا. هذا المكان يعجبني.
- لكنك عربدتَ كثيرًا هنا. لقد تماديتَ في المزاح.
- لكَ *Dliwaisheys*[2] مع مزاحي -كما اتضح، كان سيلفان يعرف أيضًا لغة الأقزام- وعرضك قيمته كقيمة *Dliwaisheyss*. لن أنقلع أبدًا. إلا إذا غلبتني في إحدى الألعاب. هل أعطيك فرصة؟ سنلعب في الألغاز، إن كنت لا تحب ألعاب القوى. سأطرح عليك الآن لغزًا، إن حزرتَه، فزتَ، وأنا سأنقلع. إن فشلتَ، بقيتُ أنا، وأنت ستنقلع. أعمِلْ فكرك ونباهتك، لأن اللغز ليس هينًا.

قبل أن يتمكن جيرالت من الاحتجاج، حمحمَ الشيطان، خبطَ بحافريه، ساط الأرض بذيله، وراح يتلو:

وريقات وردية، قرون ملأى،

تنمو في الطين الرخو، قرب النهر، زهرةْ

رقطاء طويلة الساق، لا تعرضْها

فالهرة حالًا، ستأكلها الهرَّةْ

- حسنًا، فما هو هذا الشيء؟ احزر.

---

(1) هذه العبارة تعني: مؤخرة الشيطان.

(2) هذه الكلمة تعني: خراء الشيطان.

اعترف الويتشر دون مبالاة، حتى إنه لم يحاول التفكير: «ليست لديَّ أي فكرة. ربما البازلاء المتسلقة؟».

- غلط. لقد خسرتَ.

- وما الجواب الصحيح؟ ماذا عند... همم... القرون الرقطاء؟

- الكرنب.

هدر جيرالت: «اسمع. بدأت تثير أعصابي».

قهقه الشيطان: «قد حذرتكَ أن اللغز ليس هيِّنا. لا مشكلة. لقد فزتُ، وسأبقى. وأنت ستغادر. وداعًا أيها السيد البارد الشعور».

وضع الويتشر يده في جيبه خفية: «لحظة فقط. وماذا عن لغزي؟ أليس من حقي الثأر؟».

احتجَّ الشيطان: «لا. وبأي حق؟ فمن الممكن أن لا أحزر. هل تراني أحمق؟».

أدار جيرالت رأسه: «لا. أراك لئيمًا، ومتعجرفًا، وطائشًا. سنتسلى الآن بلعبة جديدة تمامًا لا تعرفها».

- ها! إذن هكذا! ما هذه اللعبة؟

قال الويتشر ببطء: «اسم اللعبة، 'لا تعامل الناس بما لا تحب أن يعاملوك به'. ليس من اللازم أن تغمض عينيك».

احدودب جيرالت في حركة خلفية أمامية خاطفة، وقد أزَّت كرية حديد، بطول بوصة، أزيزًا حادًّا في الهواء، وضربت الشيطان مدوية بين قرنيه تمامًا. هوى المخلوق على ظهره، كما لو أن صاعقة ضربته. رمى جيرالت نفسه بين الأوتاد، قافزًا قفزة طويلة، وأمسك به من ساقه المشعرة. راح سيلفان يحمحم ويرفس، أما الويتشر فأخفى رأسه خلف كتفه، لكنَّ أذنيه، رغم ذلك، ضاقتا بالضجيج، لأن الشيطان، على الرغم من قامته القصيرة، كان يرفس بقوة بغل خبيث. حاول الإمساك بالحافر الراكل، لكنه فشل. أخذ الماعز المقرن يخفق ويخبط على الأرض بيديه، ورفسه مجددًا على جبهته مباشرة. راح الويتشر يلعن، وقد أحس بساق الشيطان تنفلت من أصابعه. انفصل الاثنان، وتدحرجا في اتجاهين مختلفين، محدثين ضجيجًا، وهما يقلبان الأوتاد رأسًا على عقب، إلى أن ارتميا بين القنب المعترش.

هبَّ الشيطان ناهضًا أولًا، وهاجم بعنف منكسًا رأسه المقرن. لكن جيرالت تمكن أيضًا من الوقوف على قدميه بثقة، وتجنب الهجوم دون أي جهد، وأمسك المخلوق من قرنه، جذبه بقوة، طرحه أرضًا، وضغطه بركبتيه. حمحم الشيطان، وبصق في عينيه مباشرة، وبطريقة لا يشعر بالخجل منها، حتى الجمل المصاب بفرط إفراز اللعاب. تراجع الويتشر تلقائيًّا، لكن دون أن يُفلت قرني الشيطان. راح سيلفان يرفس بحافريه في وقت واحد، محاولًا أن يهز رأسه، وكان -وهذا هو الأغرب- يصيب بكليهما. أخذ جيرالت يشتم شتمًا أقذعَ، لكنه لم يُطلق ما في قبضته. انتزع الشيطان من الأرض، وثبته على الأوتاد التي كانت تحدث صريرًا، وركله على ركبته المشعرة بكل ما أوتي من قوة، ثم انحنى وبصق في أذنه مباشرة. ناح الشيطان واصطكت أسنانه الكليلة.

قال الويتشر لاهثًا: «لا تعامل الناس... بما لا تحب أن يعاملوك به! أنستمر في اللعب؟».

- بليبليبليييييء!

بقبق الشيطان، وعوى، وبصق بعنف، لكن جيرالت أمسك به من قرنيه بشدة، وضغط رأسه إلى الأسفل، وبفضل ذلك أصاب البصاق حافري الشيطان نفسيْهما اللذين كانا يمزقان الأرض، مُطيِّرين سحبًا من الغبار والحشائش.

ثم انقضت الدقائق القليلة التالية في اشتباك شديد، وتبادل الإهانات والركلات. وإن تسنى لجيرالت أن يفرح بشيء على الإطلاق، فسيكون بسبب أن لا أحدَ يراه، فقد بدا المشهد غبيًّا حقًّا.

إن عتوَّ الركلة التالية جعل المتقاتلين كليهما ينفصلان، ويندسَّان في اتجاهين متعاكسين في ديسة القنب. سبق الشيطان الويتشر من جديد - هبَّ وانطلق فارًّا، وهو يعرج عرجًا ملحوظًا. اندفع جيرالت يطارده، لاهثًا وحاكًّا وجهه. عبرا ديسة القنب، ودخلا في أكمة الجنجل. سمع الويتشر قرَشة حصان يخب. وهو صوت كان يتوقعه.

صرخ: «هنا، يا ياسكير! هنا! بين الجنجل!».

فجأة رأى صدر الحصان أمامه تمامًا، وفي اللحظة التالية صدمه. ارتدَّ عن الحصان، كما لو أنه ارتدَّ عن صخرة، وهوى على ظهره، وأظلمت عيناه من شدة ارتطامه بالأرض. ورغم ذلك، تمكن من التدحرج جانبًا، خلف أوتاد

الجنجل، متفاديًا الحوافر. هبَّ واقفًا برشاقة، لكن خيَّالًا ثانيًا، في اللحظة ذاتها، صدمه، وأوقعه أرضًا من جديد. ثم فجأة هوى أحدهم عليه، وثبَّته على الأرض.

ثم كان وميض، وألم ثاقب في قذال الرأس.

وظلام.

6

كان على فمه رمل. عندما أراد أن يبصقه، أدرك أنه كان مستلقيًا ووجهه على الأرض. وحين أراد التحرك، أدرك أنه مقيد. رفع رأسه قليلًا. سمع أصواتًا.

كان ملقى على الفرش النباتي في الغابة، بجوار جذع صنوبرة تمامًا. على بعد نحو عشرين خطوة، وقفت خيول مسرجة. رآها من خلال السراخس ريشية الأوراق، بقليل من الدقة، لكن، ودون شك، من بين تلك الخيول كانت كستناء ياسكير.

سمع عندئذ: «ثلاثة أكياس من الذرة. جيد، يا طورق. جيد جدًّا. أبليت بلاءً حسنًا».

قال صوت يشبه الثغاء، وهو لا يمكن أن يكون إلا صوت الشيطان سيلفان حصرًا: «هذا ليس كل شيء. انظر إلى هذا، يا جالارّ. كأنه فاصوليا، لكنها بيضاء تمامًا. وما أكبرها! وهذا يُسمى شلجم. وهم يصنعون الزيت منه».

ضغط جيرالت جفنيه بقوة، ثم فتح عينيه من جديد. لا، هذا لم يكن حلمًا. استخدم الشيطان وجالارّ، أيًّا كان أصله، **لغة القدماء**، لغة الإلفيين. لكن كلمات مثل «الذرة» و«الفاصوليا» و«الشلجم» استُخدِمَتْ باللغة الحديثة.

سأل هذا الذي يسمى جالارّ: «وهذا؟ ماذا يكون؟».

- بذر الكتان. الكتان، هل تفهم؟ القمصان تصنع من الكتان. إنه أرخص بكثير من الحرير، وأكثر مقاومة. إن طريقة المعالجة، كما يبدو لي، شديدة التعقيد، لكنني سأتحرى ما يلزم وكيف يكون.

اشتكى جالار، وكان لا يزال يستخدم لغة الفولابوك العجيبة المضحكة: «حسبك أن تقبل هذا الكتان الخاص بك، وأن لا يذهب هدرًا كالشلجم. ابذل جهدك للحصول على شتلات شلجم جديدة، يا طورق».

ثغا الشيطان: «لا خوف من ذلك. لا مشكلة في ذلك هنا، كل شيء ينمو هنا كالوباء. سأزودكم، لا تخف».

قال جالار: «بقي شيء آخر. استعلم في نهاية الأمر على ماذا يعتمد نظام الحقل الثلاثي[1] هذا الذي يخصهم».

رفع الويتشر رأسه بحذر، وحاول أن يستدير.

سمع همسًا: «جيرالت... هل أفقت؟».

رد هامسًا: «ياسكير... أين نحن... ماذا حل بنا...».

تأوَّه ياسكير بصوت خفيض، وحسْب. فقد جيرالت صبره. راح يلعن، ثم شد نفسه، وانقلب على جنبه.

في منتصف الفسحة، وقف الشيطان الذي كان يسمى، كما صار معلومًا، بالاسم الرنان طورق. كان مشغولًا بتحميل الخيول بالأكياس والجوالات والأخراج. وكان يساعده في هذا العمل رجل رفيع، طويل القامة، لا يمكن أن يكون إلا جالار نفسه. عند سماعه حركة الويتشر، استدار. كان شعره أسود بلمحة كحلية واضحة. كانت ملامح وجهه حادة، وكانت عيناه كبيرتين ولامعتين. وطرفا أذنيه كانا حادين.

كان جالار إلفيًّا. إلفيًّا من الجبال. أصيل النسب لآين سيدهي، ممثلًا **للشعب القديم**.

لم يكن جالار الإلفي الوحيد على مرمى البصر. على طرف الفسحة جلس ستة إلفيين آخرين. كان أحدهم مشغولًا بإفراغ خُرجي ياسكير، وآخر راح يدق على عود التروبادور. وما بقي منهم، وكانوا متحلقين حول جِوال مفتوح، راحوا يلتهمون بشراهة لفت الشلجم والجزر النيئ.

قال جالار، مشيرًا برأسه نحو الأسرى:

«*Vanada´in, Toruviel. Vedrai! Enn'le!*».

قفز طورق وثغا.

---

(1) هو نظام زراعي قديم، تقسم فيه الأرض إلى ثلاثة حقول، تتناوب فيها المحاصيل.

- لا، يا جالار! لا! فيلافَندريل نهى عن ذلك. هل نسيت؟

ألقى جالار من فوق ظهر الحصان جوالين مربوطين: «لا، لم أنس. لكننا يجب أن نرى أكانا قد فكا الأصفاد».

تأوه التروبادور، في حين كان أحد الإلفيين يضغطه على الأرض بركبته، وفحص عُقَد القيد: «ماذا تريدون منا؟ لماذا تحبسوننا؟ ما غرضكم من ذلك؟ أنا ياسكير، الشاعــ...».

سمع جيرالت صوت ضربة. استدار والتفت.

للإلفية التي كانت تقف فوق ياسكير، عينان سوداوان، وشعر غرابي فاحم يتساقط على كتفيها بغزارة، مجدول جديلتين رفيعتين عند الصدغين، وحسب. كانت ترتدي قفطانًا جلديًّا قصيرًا، فوق قميص فضفاض أخضر، من قماش الساتان، وسروالًا ضيقًا من الصوف، دُسَّ في حذاء لركوب الخيل. كان وركاها ملفوفين بوشاح ملون، يصل إلى منتصف فخذيها.

سألت، وهي تنظر إلى الويتشر عابثة بمقبض الخنجر الطويل على الحزام: «*Que glosse? Que l'en pavienn, ell'ea*».

نفى: «*NelFea. Ten pavienn, Aen Seidhe*».

التفتت الإلفية نحو رفيقها، سيدهي الطويل الذي لم يكلف نفسه عناء التحقق من أصفاد جيرالت، إذ كان يدق على عود ياسكير، وعلى وجهه المتطاول تعبير غير مبالٍ: «هل سمعت؟ هل سمعت يا فاندئين؟ الإنسان القرد يقدر على الكلام! ويقدر حتى على أن يكون وقحًا!».

هز سيدهي كتفيه. فسُمِعَ حفيف الريش الذي يزين سترته.

- وهذا سبب آخر لسد فمه، يا توروفيل.

انحنت الإلفية فوق جيرالت. رموشها طويلة، وبشرتها شاحبة شحوبًا غير طبيعي، وشفتاها جافتان ومتشققتان. كانت ترتدي قلادة طويلة من قطع منحوتة من خشب القَضْبان الذهبي، ومشكوكة على قشاط جلدي، ملتف عدة لفَّات حول عنقها.

صأت قائلة: «حسنًا، قل شيئًا آخر، أيها الإنسان القرد. سنرى ما يمكن أن تفعل حنجرتك التي اعتادت النباح».



انقلب الويتشر على ظهره بجهد بالغ، وبصق الرمل: «وما هذا، هل تحتاجين إلى ذريعة لضرب شخص مصفَّد؟ اضربي دون ذريعة، فأنا رأيت أنك تحبين ذلك. أريحي نفسك».

اعتدلت الإلفية.

وقالت: «لقد أرحت نفسي عليك، عندما كانت يداك طليقتين. فأنا التي دعستك بالحصان، وضربتك على يافوخك. فاعلم أنني أيضًا سأنتهي منك، عندما يحين الوقت».

لمْ يُجب.

تابعت الإلفية قائلة: «أكثر ما أرغب فيه أن أطعنك من قرب، وأنا أنظر إلى عينيك. لكن رائحتك، يا رجل، تزكم الأنوف. سأرميك بسهم من القوس».

هز الويتشر كتفيه بقدر ما سمحت له أصفاده. «هذه إرادتك. ستفعلين ما تشائين، يا آين سيدهي النبيلة. يجب أن تصيبي الهدف المقيد والثابت».

وقفت الإلفية فوقه منفرجة الساقين، وانحنت إلى الأمام، والتمعت بأسنانها.

صأت قائلة: «لا بدَّ لي. أصيب ما أريد. لكن يمكنك أن تثق بأنك لن تموت من السهم الأول. ولا من الثاني. سأحاول أن أجعلك تشعر أنك تحتضر».

كشَّر، متظاهرًا بالاشمئزاز: «لا تقتربي كثيرًا هكذا. رائحتك تزكم الأنوف، يا آين سيدهي».

ارتدَّت الإلفية قافزة، وتمايلت بوركيها الضيقتين، ثم ركلته بقوة خاطفة على فخذه. انكمش جيرالت، وانقبض ليرى على أي موضع تريد ضربه مجددًا. نجح في ذلك، فأصيب في وركه بشدة، حتى إن أسنانه قفقفت.

كان الإلفي الطويل الواقف إلى جانبها يجاري الركلات بنغمات متآلفة حادة على أوتار العود.

ثغا الشيطان: «اتركيه، يا توروفيل! هل جُننتِ؟ جالارّ، مُرْها أن تتوقف!».

صرختْ: «*Thae´sse!*»

وركلت الويتشر مرة أخرى. شدَّ سيدهي الطويل الأوتار بعنف، فانقطع أحدها بتأوه مديد.

https://t.me/fantazynov

زعق ياسكير بعصبية، وهو يتفلت ضاغطًا الحبال الثخينة: «يكفي هذا! يكفي بحق الآلهة! لماذا تعذبينه، أيتها العاهرة الحمقاء؟ اتركونا وشأننا! وأنتَ، اترك عودي وشأنه، حسنًا؟».

التفتت إليه توروفيل بتكشيرة شريرة على شفتيها المتشققتين.

هدرت: «موسيقي! إنسان، وموسيقي! عوَّاد!».

ودون أن تنبس بكلمة، سحبت الآلة الموسيقية من يدي الإلفي الطويل، وصفقت العود بجذع صنوبرة بشدة، ثم ألقت بما تبقى من أجزائه المتشابكة بالأوتار على صدر ياسكير.

- اعزف على قرن البقر، أيها الهمجي، لا على العود.

شحب الشاعر شحوبًا خطرًا، وارتجفت شفتاه. شعر جيرالت بحنق بارد متنامٍ في مكان ما بداخله، وجذب ببصره عيني توروفيل السوداوين.

صأت الإلفية، وهي تنحني إلى الأمام: «لمَ تحملق هكذا؟ أيها الإنسان القرد القذر! أتريد أن أقتلع عينيك - عيني الحرذون هاتين؟».

تدلت قلادتها فوقه تمامًا. اعتدل الويتشر، وهبَّ بحركة مباغتة، أمسك القلادة بأسنانه وشدها بقوة، مقلصًا ساقيه، ومنعطفًا جانبًا. فقدت توروفيل توازنها وتهاوت عليه. تحرك جيرالت مضطربًا في قيده، كسمكة سحبت إلى الشاطئ، ثبت الإلفية بجسده، ودفع رأسه إلى الخلف حتى طقطقت فقرات رقبته، ثم ضربها على وجهها بجبهته بكل ما أوتي من قوة. فانتحبت وشهقت.

سحبوه عنها بوحشية، جروه من ملابسه وشعره، وحملوه. ضربه أحدهم، فشعر أن حلقات الحديد تمزق الجلد الكاسي عظمة خده، رقصت الغابة أمام عينيه وانسابت جارية. لحظ كيف قامت توروفيل على ساقيها المثنيتين، ورأى الدم متدفقًا من أنفها وفمها. انتزعت الإلفية الخنجر من غمده، لكنها فجأة أخذت تنتحب، انحنت، وأمسكت بوجهها، ثم تركت رأسها يسقط بين ركبتيها.

انتزع الإلفي الطويل، الذي كان يرتدي سترة مزركشة بالأرياش الزاهية، الخنجر من يدها، واقترب من الويتشر المسنود. ابتسم رافعًا النصل إلى الأعلى. رآه جيرالت في ظلال اللون الأحمر، فقد غمر الدم محجر عينه، سائلًا من جبهته، التي شُقَّتْ بفعل أسنان توروفيل.

ثغا طورق، مندفعًا إلى الإلفي، فوثب معلقًا نفسه على يده: «لا! لا تقتل! لا!».

انبعث فجأة صوت رنان:

«*Voe'rle, Vanadain. Quess aen? Caelm, evellienn! Galarr!*».

أدار جيرالت رأسه، بقدر ما كانت تسمح به قبضته المغروزة في شعره.

كان الحصان الذي دخل الفسحة أبيض ثلجيًّا، عُرفه مديد، وناعم، وحريري كشعر امرأة. وكان شعر الخيَّال، الممتطي سرجًا باذخًا، يطابق لونه لون الشريطة المرصَّعة بالياقوت، المشدودة على جبينه.

دنا طورق من الحصان، وهو يثغو، وأمسك بالرِّكاب، وغمر الإلفي ذا الشعر الأبيض بسيل من الكلام. قاطعه سيدهي بإيماءة آمرة، فقفز من على السرج. اقترب من توروفيل التي كان يسندها إلفيان. وأزال بحذر المنديل الملوث بالدم عن وجهها. تأوهت توروفيل متوجعة. هز سيدهي رأسه، واستدار تجاه الويتشر، ودنا منه أكثر. بدت عيناه السوداوان المشتعلتان، اللامعتان كنجمتين في وجه شاحب، مصطبغتين بهالاتٍ زُرقٍ بنفسجية، وكأنه لم يذق النوم، منذ عدة ليالٍ متتالية.

قال بصوت خافت، وبلغة مشتركة، لا لكنة فيها: «تعضُّ حتى وأنت مقيد. مثل البازيليسقي. سأستخلص النتائج من ذلك».

ثغا الشيطان: «توروفيل هي من بدأت ذلك. ركلته، وهو مقيد، وكأنها فقدت عقلها...».

أشار الإلفي له مجددًا أن يصمت. بناءً على أمره المقتضب، جرجر سيدهيُّون آخرون الويتشرَ وياسكيرَ إلى تحت الصنوبرة، وربطوهما بأربطة على جذعها. بعد ذلك، قرفصوا جميعًا بجوار توروفيل الملقاة على الأرض، ساترين إياها. سمع جيرالت، في لحظة من اللحظات، كيف صرخت، وهي تصارع في أيديهم.

قال الشيطان، ولا يزال واقفًا بجوارهما: «لم أرِد ذلك. لم أرده، أيها الإنسي. لم أكن أعرف أنهم سيظهرونَ في اللحظة ذاتها حين... حينما أفقدوك الوعي، وربطوا صويحبك بالحبل، طلبتُ منهم أن يلقوا بكما هناك بين الجنجل. ولكن...».

https://t.me/fantazynov

تمتم الويتشر: «ما كان لهم أن يتركوا شهودًا عليهم».

تأوه ياسكير: «أيقتلوننا، لا؟ لعلهم لن...».

ظل طورق صامتًا، وهو يحرك أنفه الليِّن.

تأوه الشاعر من جديد: «اللعنة. أيقتلوننا؟ ما الأمر هنا، يا جيرالت؟ كنا شاهديْن على ماذا؟».

- صديقنا الماعز المقرن ينفذ مهمة خاصة في وادي الزهور. أليس كذلك، يا طورق؟ بناءً على تكليف من الإلفيين، يسرق البذور، والشتلات، والمعارف الزراعية... وماذا أيضًا، أيها الشيطان؟

ثغا طورق: «وكل ما يحتاجون إليه. أرني شيئًا واحدًا لا يحتاجون إليه. إنهم يتضورون جوعًا في الجبال، وخاصة في الشتاء. وهم لا يفقهون في أمور الزراعة شيئًا. فما بالك أن يدجنوا الحيوانات المَصيدة، أو الطيور، وأن يزرعوا أيَ شيء في الحقول... ليس لديهم وقت لذلك كله، أيها الإنسي».

أطلق ياسكير أنينًا: «كالخراء، وقتهم لا يهمني في شيء. ماذا فعلتُ لهم؟ ماذا أسأتُ لهم؟».

قال الإلفي ذو الشعر الأبيض، وهو يقترب من دون حِسٍّ: «فكر جيدًا، علَّكَ تتمكن من الإجابة عن هذا السؤال أنت وحدك».

ابتسم الويتشر ابتسامة فيها عبوس: «إنه ببساطة ينتقم من كل ما أصاب الإلفيين من أذى البشر. لا فرق عنده ممن ينتقم. لا تنخدع بشخصيته النبيلة، وكلامه الراقي المعسول، يا ياسكير. إنه لا يختلف عن ذات العينين السوداوين تلك، التي كالتنا ركلًا. يحتاج بالضرورة إلى تفريغ حقده العاجز على شخص ما».

تناول الإلفي عود ياسكير المحطم. حدق بصمت إلى الآلة الموسيقية المكسرة لحظة، ثم ألقى بها نحو الشجيرات.

قال، وهو يعبث بقفازيه الجلديين الأبيضين الناعمين: «لو أردتُ إطلاق العنان للحقد، أو للانتقام، لأغرتُ على الوادي ليلًا، وأحرقتُ الدساكر، وذبحتُ السكان. الأمر سهل كلعبة أطفال، حتى إنهم لا يضعون حراسًا. لا يروننا ولا يسمعوننا، حين يسيرون إلى الغابة. هل يمكن أن يكون ثمة شيء أبسط، شيء أسهل من سهم سريع صامت من خلف شجرة؟ لكننا لا ننظم عمليات



لاصطيادكم. إنه أنت، أيها الإنسي ذو العينين الغريبتين، من نظَّم عملية لاصطياد صديقنا سيلفان طورق».

ثغا الشيطان: «إيييه، تبالغ. أي عملية اصطياد هذه. لهونا قليلًا فقط...».

تابع الإلفي بهدوء، دون أن يعير انتباهًا للماعز المقرن: «إنكم، أنتم البشر، تكرهون كل ما يختلف عنكم، حتى لو كان ذلك في شكل الأذنين فقط. لذا انتزعتم منا أرضنا، وطردتمونا من منازلنا، واقتلعتمونا وقذفتمونا إلى الجبال الموحشة. استوليتم على دول بلاثانًّا التي لنا، وعلى وادي الزهور. أنا فيلافندريل آين فيدهايل من **القلاع الفضية**، من سلالة الفيلاوميين، من **السفن البيض**. أنا الآن منفي ومطرود إلى حافة العالم، أنا فيلافندريل من **حافة العالم**.

تمتم الويتشر: «العالم كبير. يمكنه أن يسعنا. توجد مساحة كافية».

كرر الإلفي: «العالم كبير. هذا صحيح، أيها الإنسي. لكنكم غيرتم هذا العالم. في البداية غيرتموه بالقوة، وعاملتموه كما تعاملون أي شيء يقع في أيديكم. والآن يبدو أن العالم قد بدأ في التكيف معكم. انحنى أمامكم. خضع لكم».

جيرالت لم يجب.

تابع فيلافندريل: «طورق قال الحقيقة. نعم، نتضور جوعًا. نعم، نحن مهددون بالفَناء. الشمس تشع بطريقة مختلفة، والهواء مختلف، والماء لم يعد ذلك الماء الذي كان عليه. ما كنا نأكله ونستخدمه، في وقت مضى، يهلك الآن ويتقازم، ويُهدَر. لم نزرع الأرض قطُّ، ولم نستنزفها، على عكس ما تفعلون، أيها البشر، بالمعاول والمحاريث الحيوانية. إن الأرض تدفع لكم ضريبة دم. وهي أعطتنا الهدايا. أنتم تسلبون الأرض كنوزها بالقوة. من أجلنا الأرض أخصبت وأزهرت، لأنها أحبتنا. غير أن الحب، أي حب، لا يدوم إلى الأبد. لكننا نريد البقاء أحياء».

- بدلًا من أن تسرقوا الحبوب، يمكنكم شراؤها. بقدر ما تحتاجون. لا يزال لديكم الكثير من الأشياء، التي يُعدُّها الناس ذات قيمة استثنائية. يمكنكم أن تتاجروا.

ابتسم فيلافندريل بازدراء.

- معكم؟ أبدًا.

https://t.me/fantazynov

غضَّنَ جيرالت وجهه، مفتتًا الدم الجاف على خده.

- فلتأخذكم الشياطين، أنتم وعجرفتكم، وكل ازدرائكم. برفضكم التعايش، تحكمون، أنتم أنفسكم، على أنفسكم بالفناء. التعايش والتفاهم، هما فرصتكم الوحيدة.

انحنى فيلافندريل إلى الأمام بشدة، وقد لمعت عيناه.

سأل بصوت متغير، ولكنه كان لا يزال هادئًا: «التعايش بشروطكم؟ معترفين بهيمنتكم؟ فاقدين هويتنا؟ التعايش، كوننا مَن؟ عبيدًا؟ منبوذين؟ التعايش معكم من خلف الأسوار، التي بها تفصلون أنفسكم عنا في المدن؟ أم معايشة النساء منكم، والمضي إلى حبل المشنقة، بسبب ذلك؟ انظروا جيدًا إلى ما يلقى الأطفال في كل خطوة، وهم ممن كانوا ما أنتجه مثل هذا التعايش؟ لماذا تتجنب نظراتي، أيها الإنسي الغريب؟ كيف تسير أمور تعايشك مع البشر الذين تختلف عنهم بعض الشيء؟».

نظر الويتشر إلى عينيه رأسًا: «أتدبر أموري. بطريقة أو بأخرى، أتدبر أموري. لأنني مضطر. فلا خيار آخر لديَّ. لأنني، بطريقة أو أخرى، سيطرت على الغطرسة، والاعتزاز، والشعور بالاختلاف، في داخلي، لأنني فهمت أن الغطرسة والاعتزاز، مع أنهما دفاع أمام الشعور بالاختلاف، هما دفاع مثير للشفقة. لأنني فهمت أن الشمس تشع بطريقة مختلفة، لأن شيئًا ما يتغير، وليس لأني محور هذه التغيرات. تشع الشمس بطريقة مختلفة، وستشع، ولا يمكن الوصول إليها بمعزقة. لا بدَّ من قبول الحقائق، يا إلفيُّ، لا بدَّ من تعلم ذلك».

مسح فيلافندريل بمعصمه العرق الذي ظهر على جبهته الشاحبة، فوق حاجبيه الأبيضين: «هذا ما ترغبون فيه تحديدًا، أليس كذلك؟ هذا ما تريدون فرضه على الآخرين؟ الاقتناع بأن وقتكم قد حان، وعصركم البشري وحقبتكم، وأن ما تفعلوه بالأجناس الأخرى طبيعي كشروق الشمس وغروبها؟ وأن على الجميع التصالح مع ذلك، وقبوله؟ وأنت تتهمني بالغطرسة؟ وما الأفكار التي تنادي بها؟ لماذا لا تدركون، أنتم البشر، أخيرًا حقيقة أن ما يوجد من الحقوق البديهية في هيمنتكم على العالم، قَدْره قَدْرَ عدد القمل الذي يتكاثر في معطف من جلد الغنم؟ كان يمكنك أن تعرض عليَّ التعايش مع القمل، بتأثير متساوٍ، وكنت سأستمع للقمل بتركيز مساوٍ، لو وافق القمل، مقابل الاعتراف بقيادتهم، على استغلال معطف جلد الغنم استغلالًا مشتركًا».

قال الويتشر، متحكمًا بصوته بصعوبة: «إذن، لا تضيِّع الوقت في الجدال مع مثل هذه الحشرة الكريهة، يا إلفي. يدهشني مدى رغبتك في إثارة الشعور بالذنب والندم في قملة مثلي. أنت مثير للشفقة، يا فيلافندريل. إنك تشعر بالمرارة، وإنك متعطش إلى الانتقام، وتعي مقدار عجزك. هيا، اطعنِّي بسيفك. انتقم من الجنس البشري أجمعه. سترى، كيف ستشعر بالارتياح. وقبل ذلك، اركلني في خصيتي، أو في أسناني، كما فعلت صاحبتك هذه توروفيل».

أدار فيلافندريل رأسه.

وقال: «توروفيل مريضة».

بصق جيرالت عبر كتفه: «أعرف هذا المرض وأعراضه. ما طبقته عليها يجب أن يساعدها».

وقف فيلافندريل: «في الواقع، هذه المحادثة لا معنى لها. أنا آسف، لكن علينا قتلكما. الانتقام ليست له علاقة بالأمر هنا، هذا الحل عملي بحت. يجب أن يستمر طورق في أداء مهمته، ولا يحق لأحد الشك لمصلحة من يقوم بذلك. لا نقدر على الحرب معكم، ولن ننخدع بالتجارة والتبادل. نحن لسنا ساذجين إلى حد أن لا نعلم إلى أي مركز استطلاع ينتمي تجاركم. ومن يأتي بعدهم. وأي نوع من التعايش يجلب».

نطق ياسكير الذي ظل صامتًا حتى هذه اللحظة، بصوت خافت: «يا إلفي، لديَّ أصدقاء. أناس، سيعطون فدية من أجلنا. إذا كنت تريدها، أيضًا ستكون على هيئة أغذية. على أي هيئة. فكر في الأمر. أصلًا، هذه البذور المسروقة لن تنقذكم...».

قاطعه جيرالت: «لن ينقذهم شيء الآن. لا تتذلل أمامه، يا ياسكير، لا تتوسل إليه. هذا أمر لا طائل منه، ومؤسف».

ابتسم فيلافندريل بتكلف: «كشخص يعيش عمرًا قصيرًا جدًّا، تُظهر احتقارًا للموت يثير الاستغراب، أيها الإنسي».

قال الويتشر بهدوء: «تلدك أمك مرة واحدة، وتموت أنت مرة واحدة. الفلسفة مناسبة تمامًا للقمل، أليس كذلك؟ ولطول عمرك؟ أشعر بالأسف من أجلك، يا فيلافندريل».

رفع الإلفي حاجبيه.

- اشرح لي، لماذا.

- إنكم مضحكون بطريقة مثيرة للشفقة، أنتم مع أكياس البذور المسروقة المحمولة على براذينكم، ومع حفنة من الحبوب، ومع هذا القليل الذي تريدون بفضله البقاء. ومع هذه المهمة المنوطة بكم التي ستحرف أذهانكم عن التفكير في الفناء الوشيك. لأنكَ، أساسًا، تعلم أن الأمر بلغ نهايته. لن يتأتى شيء ولن يولد شيء على الهضاب المستوية، ولن ينقذكم شيء بعد الآن. لكنكم تعمرون طويلًا، ستعيشون طويلًا، طويلًا جدًّا، في عزلة مختارة بغطرسة، ويومًا بعد يوم سيتناقص عددكم، وستزدادون ضعفًا، وستتعاظم لا مبالاتكم. وأنت تعرف ماذا سيحدث بعدئذٍ، يا فيلافندريل. أنت تعرف أن الشبان اليائسين الذين لهم أعين مسنين لهم من العمر مائة عام، والبنات اللواتي ذبل شبابهن، والعواقر، والمريضات مثل توروفيل، سيقودون، حينئذٍ، إلى الأودية أولئك الذين لا يزالون قادرين على حمل السيوف والأقواس في أيديهم. ستنزلون إلى الأودية المزهرة للقاء الموت، راغبين في الممات بكرامة في القتال، لا على السرائر البائسة، حيث يودي بكم فقر الدم، والسل، والإسقربوط. عندئذٍ، يا طويل العمر، آين سيدهي، ستتذكرني. ستتذكر أنني شعرت بالأسف من أجلك. وستفهم أنني كنت على حق.

قال الإلفي بصوت خافت: «سيُظهِر الوقت من كان على حق. وهنا تكمن أفضلية مزية طول العمر. لديَّ الفرصة لأقتنع بذلك. ولو حتى بفضل هذه الحفنة المسروقة من الحبوب. أنت، لن تكون لديك مثل هذه الفرصة. ستموت بعد لحظة».

أشار جيرالت إلى ياسكير بحركة من رأسه: «اتركه هو على الأقل. لا، ليس من باب الرحمة السامية. بل من باب المنطق. فلن يطالب بي أحد، لكن بعض الناس سيطلبون الانتقام له».

قال الإلفي بامتعاض: «إنك تقلل من شأن رجاحة عقلي. إذا نجا بفضلك، فسيشعر، دون شك، بأنه ملزم بالثأر لك».

انفجر ياسكير، وكان شاحبًا كالموت: «يمكنك أن تكون واثقًا من ذلك! يمكنك أن تكون واثقًا، يا ابن العاهرة. اقتلني أيضًا، لأني أعدك، في حال أنك لم تفعل، بأنني سوف أؤلب العالم كله عليكم. سترى ما في وسع قمل جلد

الغنم أن يفعل! سنقضي عليكم، حتى إن اضطررنا إلى تسوية جبالكم تلك بالأرض! يمكنك أن تكون واثقًا من ذلك!».

تنهد الويتشر: «يا لك من أحمق، يا ياسكير».

قال الشاعر بعنفوان: «تلدك أمك مرة واحدة، وتموت أنت مرة واحدة».

بيد أن الأسنان، التي اصطكت رانة كالصنوج، أفسدت ذلك العنفوان قليلًا.

أخرج فيلافندريل قفازيه من وراء حزامه وشدهما: «هذا ما يحسم الأمر. حان الوقت لإنهاء هذا المشهد».

بناء على أمر مقتضب منه، اصطف الإلفيون حاملين أقواسهم في الجهة المقابلة. فعلوا ذلك بسرعة، وكان من الواضح تمامًا أنهم انتظروا ذلك، منذ مدة طويلة. وكما لاحظ الويتشر، فإن واحدًا منهم كان لا يزال يمضغ اللفت. وقفت توروفيل إلى جانب الرماة، مضمدة الفم والأنف على شكل صليب، بشرائط من القماش، ومن لحاء شجر القَضبان. كانت دون قوس.

سأل فيلافندريل: «هل نعصِب أعينكما؟».

أدار الويتشر رأسه: «ابتعد. اذهب من هنا...».

أكمل ياسكير، وهو يرن بأسنانه: «*A d'yeabl aep arse*».

فجأة ثغا الشيطان، مهرولًا وحاميًا بجسده المحكوم عليهما: «أوه لا! فقدتم عقلكم؟ فيلافندريل! ليس هذا ما اتفقنا عليه! ليس هكذا! كان من المفترض أن تنقلهما إلى الجبال، تحتجزهما في المغارات، في مكان ما، إلى أن ننتهي هنا من...».

قال الإلفي: «طورق. لا يمكنني. لا يمكنني أن أخاطر. هل رأيت ما فعل بتوروفيل، وهو مقيد؟ لا يمكنني أن أخاطر».

- لا يهمني ما يمكنك، وما لا يمكنك! ماذا تتصورون؟ أتظنون أنني سأسمح لكم بالقتل؟ هنا، على أرضي؟ بجوار ضيعتي تمامًا؟ أيها الحمقى الملعونون! اخرجوا من هنا مع أقواسكم، وإلا أخذتكم بقرنيَّ، أوق، أوق!

وضع فيلافندريل يديه على حزامه: «طورق. ما علينا فعله، هو ضرورة».

- *Du´vvelsheyss*، وليس ضرورة!

- تنحَّ جانبًا، يا طورق.

هز الماعز المقرن أذنيه، ثغا بصوت أعلى مما كان، وسَّع عينيه، وثنى مرفقه في إشارة إهانة مشهورة عند الأقزام.

- لن تقتلوا أحدًا هنا! امتطوا خيلكم، وانقلعوا إلى الجبال وراء الشِّعاب! وإلا فعليكم قتلي أنا أيضًا!

قال الإلفي ذو الشعر الأبيض ببطء: «كن عاقلًا. إن تركناهما أحياء، فسيعرف الناس عنك، وعمَّا تفعله. سيصلون إليك ويعذبونك. أنت أصلًا تعرفهم».

صوَّتَ الشيطان ثاغيًا، وكان لا يزال يحمي جيرالت بجسده: «أعرفهم أفضل منكم! وأنا لا أعرف حقًّا في صف من يكون الوقوف أفضل! أشعر بالندم أنني تحالفت معكم، يا فيلافندريل».

قال الإلفي ببرود، معطيًا الرماة الإشارة: «هذا ما أردته أنت نفسك، يا طورق. *L'sparellean! Evellienn!*».

استلَّ الإلفيون الأسهم من جعابهم.

قال جيرالت، وهو يضغط على أسنانه: «ابتعد يا طورق. لا فائدة من ذلك. تنحَّ جانبًا».

أظهر له الشيطان، دون أن يتزحزح من مكانه، إيماءة من إشارات الأقزام.

انفجر ياسكير منتحبًا، فجأة: «أسمع... موسيقا...».

قال الويتشر، ناظرًا إلى أسنة الأسهم: «يحدث مثل هذا. لا تقلق. لا عيب إطلاقًا في أن تفقد اتزانك جراء الخوف».

تغير وجه فيلافندريل، وانكمش في عبوس غريب. استدار فجأة ذو الشعر الأبيض، سيدهي، صرخ في الرماة باقتضاب، وانقطاع. أنزل الرماة أسلحتهم.

ودخلت ليليي إلى الفسحة الغابية.

لم تعد فتاة ريفية نحيفة، في ثويب متواضع خشن. مشت عبر الفسحة المعشوشبة. -لا، لم تمشِ- سبحت نحوهم ملكة مشعَّة، ذات شعر ذهبي، وعينين ملتهبتين، ملكة الحقول الباهرة، المتوَّجة بأكاليل الزهور، والسنابل، وطاقات الأعشاب. على جانبها الأيسر، دَرَجَ إيَّلٌ صغير على أرجل صلبة، وعلى جانبها الأيمن دَبَّ قنفذ عظيم.

قال فيلافندريل بتبجيل: «*Dana Me´adbh*».

ثم حنى رأسه وركع.

وركع سائر الإلفيين أيضًا، بتباطؤ، كما لو أنهم كانوا غير راضين، وانكبُّوا على ركبهم واحدًا تلو الآخر، وانحنوا مخفضين رؤوسهم بتبجيل. وكانت توروفيل آخر من ركع.

كرر فيلافندريل: «*Hae'l, Dana Me´adbh*».

لم ترد ليليي على التحية. وتوقفت على بعد خطوات أمام الإلفي، ومررت على ياسكير وجيرالت نظراتها الزرق. مضى طورق يقطع الأصفاد في الحال، مع أنه أيضًا كان منثنيًا في انحناءة التحية. لم يتحرك أي سيدهي.

كانت ليليي لا تزال واقفة أمام فيلافندريل. لم تتكلم، لم تنطق بأي حرف، لكنَّ الويتشر رأى التغيرات على وجه الإلفي، وأحس بالهالة المحيطة بهما، ولم يكن لديه أدنى شك في أن كليهما كانا يتبادلان الأفكار. شدَّهُ الشيطان فجأة من كُمِّه.

ثغا بصوت خافت: «صديقك قرر أن يفقد وعيه. في الوقت غير المناسب. ما العمل؟».

- الكمه عدة مرات على بوزه.

- بكل سرور ولذة.

وقف فيلافندريل على ساقيه. وتنفيذًا لأمره، اندفع الإلفيون بسرعة البرق لتسريج الخيول.

قال الإلفي ذو الشعر الأبيض: «تعالي معنا، يا Dana Me´adbh. نحن نحتاج إليك. لا تتركينا أيتها الأبدية. لا تحرمينا من محبتك. سنهلك من دونها».

هزت ليليي رأسها ببطء، مشيرة نحو الشرق، تجاه الجبال. انحنى الإلفي، وهو يضغط بيده على العنان المزركش لحصانه ذي العرف الأبيض.

اقترب ياسكير شاحبًا، وعاجزًا عن الكلام، ومذهولًا، يسنده سيلفان. رمقته ليليي وابتسمت. ورنت إلى عيني الويتشر، محدقة لحظة طويلة. لم تنبس ببنت شفة. لم تكن ثمة حاجة إلى الكلمات.

كان معظم الإلفيين على سروج خيولهم، عندما اقترب فيلافندريل وتوروفيل. رمق جيرالت عيني الإلفية السوداوين، اللتين برزتا فوق الضمادة.

بدأ الكلام ولم ينههِ: «توروفيل...».

أومأت الإلفية برأسها. أخذت من قربوس السرج عودًا، وهو آلة رائعة من خشب خفيف مرصَّع ببراعة، وصدره منحوت ورقيق. سلَّمتْ ياسكير العودَ دون أن تنطق بكلمة. أخذ الشاعر الآلة الموسيقية وانثنى. أيضًا دون أن ينبس بكلمة، لكنَّ عينيه قالتا الكثير.

قال فيلافندريل لجيرالت، بصوت خافت: «الوداع، أيها الإنسي الغريب. أنت على حق. لا حاجة إلى الكلمات. إنها لن تغير شيئًا».

ظل جيرالت صامتًا.

أضاف سيدهي: «بعد تفكير طويل، توصلت إلى استنتاج، مفاده أنك كنت على صواب. عندما شعرتَ بالأسف من أجلنا. فإلى اللقاء. نراكم قريبًا، يوم ننزل إلى الأودية لنموت بكرامة. سنراقبك حينذاك، أنا وتوروفيل. لا تخذلنا».

حدق كلاهما، بعضهما إلى بعض، لحظات طويلة، في صمت. بعدئذ، أجاب الويتشر باقتضاب وبساطة:

- سأحاول.

7

توقف ياسكير عن اللعب، عانق العود ولمسه بخده: «بحق الآلهة، يا جيرالت. هذا الخشب يغني وحده! هذه الأوتار حية! يا له من نغم رائع عجيب! اللعنة، هذا العود مقابل بعض تلك الركلات، والقليل من الخوف، لَهُوَ ثمن بخس. كنت سأسمح لأن أتعرض للركل من الفجر حتى الغسق، لو علمت ما كنت سأحصل عليه. جيرالت؟ هل أنت تستمع إليَّ عمومًا؟».

رفع الويتشر رأسه من فوق الكتاب، ونظر إلى الشيطان الذي كان لا يزال يزعق بعناد نافخًا بمزمار غريب، مصنوع من قطع قصب بأطوال مختلفة: «من الصعب أن لا أسمعكم. أسمعكم، المنطقة بقضها وقضيضها تسمعكم».

وضع طورق مزماره جانبًا: «إنها *Du´vvelshe*، وليست منطقة. هي قفرٌ، ليس إلا. برية. فلاة نائية. آخ، أشعر بالأسف على القنَّب، قنَّبي!».

راح ياسكير يضحك، وهو يبرم بعناية ملاوي العود المنحوتة بدقة فائقة: «يشعر بالأسف على القنب، كان يجب أن تقبع في الديسة كفأر تحت مكنسة، بدلًا من تخويف البنات، وتدمير السدود الترابية، وتوسيخ الآبار. أعتقد أنك ستكون أكثر حذرًا الآن، وأنك ستكُفُّ عن ممارسة الألاعيب، أليس كذلك، يا طورق؟».

صرخ الشيطان كاشفًا عن أسنانه: «أحب الألاعيب. ولا يمكنني تخيل حياتي من دونها. لكن كما تشاؤون، أعدكم بأنني سأكون أكثر حذرًا في الأماكن الجديدة. سأمارس الألاعيب بتحفظ أكثر».

كان الليل غائمًا وعاصفًا، وقد أحنت الريح الهوجاء القصب، وعصفت بأغصان الشجيرات، التي أقاموا مخيمهم بينها. ألقى ياسكير مزيدًا من الحطب إلى النار. راح طورق يتحرك يمينًا وشمالًا في مأواه، طاردًا عنه البعوض بذيله. ألقت سمكة نفسها في البحيرة محدثة بقبقة.

صرح ياسكير: «سأصف رحلتنا إلى حافة العالم كاملة في أغنية بالادا. وسأصفك فيها أيضًا، يا طورق».

هدر الشيطان: «لا تظنَّن أن ذلك سيتم دون عواقب».

- سأكتب أغنية بالادا حينذاك أيضًا، وأصفك بطريقة لن تستطيع الظهور في صحبة لائقة طوال اثني عشر عامًا. فاحترس إذن. جيرالت؟

- ماذا؟

- هل قرأت شيئًا مثيرًا للاهتمام في هذا الكتاب، الذي اختلسته بطريقة مخزية من الفلاحين؟

- أجل.

- اقرأه لنا أيضًا، قبل أن تخبو النار.

أخذ ياسكير يطنطن على أوتار عود توروفيل الرنانة: «نعم، نعم. اقرأ، يا جيرالت».

استند الويتشر إلى مرفقه، مقربًا الكتاب من مكان النار.

بدأ الكلام: «يمكنك رؤيتها وقتَ الصيف، من **أيام مايس، ونغفة حزيران** حتى **أيام التشارين**، ولكن ذلك كان أكثر حدوثًا في **عيد المنجل**، الذي أطلق عليه القدماء اسم '**أول آب**'. تظهر على أنها العذراء ذات الشعر الزاهي، كلها

مغمورة بالزهور، ويسعى خلفها ويتشبث بها كل كائن حي، سواء أكان عشبًا أم حيوانًا. لذلك تسمى أيضًا «زيفيا[1]». يطلق عليها القدماء اسم «داناميبي»، ويبجلونها تبجيلًا عظيمًا. حتى الملتحون، مع أنهم يعيشون داخل الجبال، وليس وسط الحقول، يحترمونها ويسمونها «بلومِنْمَجدي»».

تمتم ياسكير: «داناميبي. دانا ميبده، **عذراء الحقول**».

- حيث تضع زيفيا قدميها، تزهر الأرض وتثمر، وتتكاثر كل المخلوقات بوفرة، هذه هي قوتها. تقدم الأقوام كلها القرابين لها من الحصاد، آملين عبثًا أن زيفيا ستزور حقولهم، لا حقول الآخرين. لأنهم يقولون أيضًا أن ستستقر يومًا ما في ربوع القوم الذين سيبزون الآخرين، لكن ذلك ليس إلا من خراريف النسوان. لأن الحكماء الراسخين يقولون إن زيفيا لا تحب إلا الأرض، وما ينمو ويعيش عليها، بالتساوي، ودون فرق، سواء أكان ذلك أصغر تفاحة حرجية، أم أحقر دودة، وكل الأقوام لا يعنون لها أكثر مما تعني أضأل تفاحة حرجية كتلك، لأنهم أصلًا سيفنون يومًا ما، وتأتي قبائل جديدة من بعدهم. إن زيفيا خالدة الآن، وكانت وستكون كذلك دائمًا، وبعد نهاية العصور.

غنى التروبادور، وطنطن على عوده. وانضم إليه طورق بتغريد عالي النغمة على شبابة القصب: «بعد نهاية العصور! لك التحية يا **عذراء الحقول**! من أجل الحصاد، من أجل الزهور في دول بلاثانًا، ولكن أيضًا من أجل جِلد المُوَقِّع أدناه، الذي حميتِه وحفظتِه أمام أسنَّة السهام كي لا تثقبه. أتدرون، سأقول لكم شيئًا».

توقَّفَ عن العزف، واحتضنَ العود كطفل، واعتراه الحزن.

- لا أظن أنني سأذكر في بالادتي الإلفيين، والمشاقَّ التي كان عليهم مواجهتها. لن يكون ثمة نقص في عدد الحثالة الراغبين في الانطلاق إلى الجبال... فلماذا التعجيل...

سكت التروبادور.

قال طورق بمرارة: «أكمل. أردت أن تقول: تعجيل ما لا مفر منه. ما هو محتوم».

---

(1) زيفيا أو زيفا: إلهة الخصب والربيع عند السلافيين البولابيين.

قاطعه جيرالت: «دعونا من الحديث عن ذلك. لمَ الحديث عن ذلك؟ لا حاجة إلى الكلمات. خذوا ليليي مثالًا».

تمتم الشاعر المغني: «تواصلتْ مع الإلفي بتوارد الخواطر. شعرتُ بذلك. صحيح يا جيرالت؟ أنت أصلًا تستشعر هذا التواصل. لقد فهمتَ عن أي شيء... ماذا كانت تنقل إلى الإلفي؟».

- فهمت شيئًا ما، هنا وهناك.
- عن أي شيء تحدثتْ؟
- عن الأمل. وأن كل شيء يتجدد، ولن يتوقف عن التجدد.
- هذا فقط؟
- كان هذا كافيًا.
- هممم... جيرالت؟ ليليي تسكن في القرية بين الناس. هل تظن أن...
- ...أنها ستبقى بينهم؟ هنا، في دول بلاثانًّا؟ ربما. إذا...
- إذا ماذا؟
- إذا ثبت أن الناس يستحقونها. إذا بقيت حافة العالم حافة العالم. إذا احترمنا الحدود. حسنًا، كفانا ثرثرة أيها الشباب. حان وقت النوم.
- حقًّا. اقتربنا من منتصف الليل، والنار أخذت تخبو. سأسهر قليلًا، أفضل الأوقات التي تنتظم فيها القوافي طائعة لي، دائمًا تأتي عندما تخمد النار. ثم إنني أحتاج إلى عنوان لبالادتي. عنوان جميل.
- ربما «حافة العالم»؟

شخر الشاعر: «عنوان ساذج. حتى لو كانت هذه هي الحافة حقًّا، فمن اللازم أن نسمي هذا المكان اسمًا مختلفًا. استعاريًّا. أفترض أنك تعرف ما هي الاستعارة، يا جيرالت؟ هممم... دعني أفكر... «هناك، حيث...» اللعنة. «هناك، حيث...»».

قال الشيطان: «تصبحان بخير».



صوت العقل 6

حلَّ الويتشر رباط قميصه، ونزع الكتان المبلل من قفاه. كان الكهف دافئًا جدًّا، بل كان حارًّا، وكان بخار رطب، وثقيل، معلقًا في الهواء، تنقط منه قطرات على الجلاميد المغطاة بالطحلب، وعلى طبقات الجدران البازلتية.

كانت النباتات تحيط بالمكان من كل جانب. نمت نابتة من التجاويف المحفورة في عمق الأديم، المملوءة بالخُث، ومن الصناديق، والأحواض، والأصص الكبيرة. تسلقوا الصخور على السقالات والأوتاد الخشبية. حدق جيرالت متفحصًا بفضول، وتعرَّف بعض العينات النادرة - تلك التي كانت تدخل في تركيب أدوية الويتشريين، وجرعات الإكسير لديهم، وشراب المحبة السحري، وأشربة السحرة العلاجية. وعينات أخرى، أندر من الأولى، لا يمكنه إلا تخمين خصائصها، وحسْب. ومنها، تلك التي لم يكن يعرفها مطلقًا، أو حتى لم يسمع بها. ورأى تمددات نبتة الحَنْدَقوقُ ذات الأوراق النجمية، ملتصقة بجدران المغارة، وكراتِ عشبة الرأس المنتفخ، المتراصة تتدفق من أصص ضخمة، وفروعَ نبتة «الرملية»، المغطاة بثمر أحمر كالدم. وتعرَّفَ أوراق «لسان الحَمَل» اللحيمة، ذات العروق السميكة دائمة الخضرة، والأوراق البيضاوية ذات اللون الخمري الذهبي لنبة «لا تَقِسْني»، وسهام «حزة المنشار» الداكنة. ولاحظ طحالب «بركة الدم» الريشية، المتشبثة بالكتل الحجرية، ودرنات «جوز القيء» البرَّاقة، وبتلات زهرة السحلب؛ «ذنب الفأر»، المخططة كجلد النمر.

في الجزء الظليل من المغارة، انتفخت قبعات فُطر المغاور رمادية، مثل أحجار الحقول. ونمت عنبة الترياق بالجوار، وهو عشب قادر على تحييد أي ذيفان أو سم معروف. كشفت الخيوط الرفيعة، التي لا تلفت الانتباه، ذات اللون الأصفر الرمادي، البارزة من الصناديق العميقة المتروكة في التربة، عن الرانوج، وهو جذر له خصائص علاجية قوية وشاملة.

كانت النباتات المائية تشغل وسط المغارة. رأى جيرالت جِرَارًا مليئة بأعشاب الشمبلان و«رموش السلحفاة»، وأحواضًا مغطاة بغشاء كثيف من أُشُن حشيشة الكبد، وهي مصدر الغذاء للكركم الطفيلي. وخزانات زجاجية مليئة بالجذامير الملتوية من زهرة الحسيكة المهلوسة، وبوق الماء الأخضر الداكن الرقيق، وكُبب الخيطيات. وقنوات موحلة، طينية، ومستنبتات لعدد لا يحصى من العفنيات، والطحالب، وفطور العفن، وأُشُن المستنقعات.

بعد أن شمرت نينِّيكي كمي ردائها الكهنوتي، أخذت مقصًّا ومجرفة عظمية من السلة، وهمت بالعمل دون أن تنبس بكلمة. جلس جيرالت على أريكة بين أعمدة الضوء المنبثق من خلال ألواح بلورية كبيرة في طاق المغارة.

هرهرت الكاهنة، ودندنت بصوت خافت، ويداها توغلان برشاقة في أجمة من الأوراق والفروع، وطقطقت بالمقص بسرعة، وملأت السلة بحزم من الأعشاب. عدَّلت الأوتاد، والأطر، التي كانت تسند النباتات، وكانت من وقت إلى آخر تحرك الأرض بممسك المجرفة. وراحت في بعض الأحيان تقلع السيقان الجافة أو المعفنة، وهي تتمتم غاضبة، وتضغطها في خزانات الدبال، للحصول على غذاء لفطور ولنباتات أخرى متقشرة، وأفعوانية ملتوية، لم يكن الويتشر يعرفها. لم يكن متيقنًا حتى، أهي كانت نباتات أساسًا - بدا له أن الجذامير البراقة كانت تتحرك حركة خفيفة، مادة رجيلاتها المشعرة نحو يدي الكاهنة.

كان الجو دافئًا. دافئًا جدًّا.

- جيرالت؟

قال مغالبًا النعاس الذي اشتد عليه: «أسمعك».

نظرت إليه نينِّيكي من وراء أوراق شجيرة الذباب الريشية الكبيرة، وهي تعبث بالمقص.

- لا تذهب. ابقَ. عدة أيام أُخر.

- لا، يا نينِّيكي. حان الوقت لأمضي في طريقي.
- ما الذي يستعجلك هكذا؟ لا داعي أن تقلق بشأن هيريوارد. دع ياسكير، هذا المتسكع، يذهب وحده كالراكض إلى حتفه. ابقَ، يا جيرالت.
- لا، يا نينِّيكي.

طقطقت بالمقص.

- ألهذا تستعجل على هذا النحو، لتغادر المعبد، لأنك تخشى أنها ستجدك هنا؟

اعترف على مضض: «نعم. لقد حزرتِ».

تمتمت: «لم تكن حزورة صعبة على الإطلاق. لكن اهدأ. لقد كانت ينيفر هنا. قبل شهرين. لن تعود قريبًا لأننا تخاصمنا. لا، ليس بشأنك، هي لم تسأل عنك حتى».

- لمْ تسأل؟

أخذت الكاهنة تضحك: «هو ذا ما يؤلمك. إنك أناني مثل أي رجل. لا شيء أسوأ من انعدام الاهتمام، أليس كذلك؟ من الحياد؟ لكن لا، لا تنهر. أعرف ينيفر جيدًا جدًّا. لم تسأل عن شيء، لكنها نظرت حولها بعناية بحثًا عن أي أثر لك هنا. لكنها حانقة عليك أشد الحنق، لقد أحسستُ بذلك».

- على ماذا تخاصمتما؟
- ليس على شيء، يمكن أن يهمك.
- على أي حال، أنا أعلم.

قالت نينِّيكي بهدوء، وهي تقوِّم الوتد: «لا أظن ذلك. معرفتك بها سطحية جدًّا. وبين قوسين، معرفتها بك أيضًا على هذا القدر. وهذا نموذجي تمامًا للعلاقة التي تربطكما، أو كانت تربطكما. كلاكما لا يمكنه فعل شيء سوى تقييم العواقب تقييمًا عاطفيًّا شديدًا، مع تجاهل الأسباب في الوقت نفسه».

أكد ببرود: «لقد كانت هنا لتحاول أن تشفي نفسها. كان هذا سبب خصامكما، اعترفي».

- لن أعترف بشيء.

نهض الويتشر، ووقف وسط الضوء، تحت أحد الألواح البلورية في طاق المغارة.

- لو سمحتِ بلحظة هنا، يا نينيكي. ألقي نظرة على هذا.

حلَّ رباط جُيبب سري على خصره، وأخرج صرة صغيرة، ومحفظة مصغرة من جلد الماعز، وأفرغ محتوياتهما في راحة يده.

كانت نينيكي تعرف كل شيء: «ماستان، ياقوتة، ثلاث قطع يشم أخضر جميل، عقيقة مثيرة للاهتمام. كم كلفتك؟».

- ألفان ونصف ألف أورين تيميري. أجرتي مقابل استريجا من فيزيما.

تجهمت الكاهنة: «مقابل رقبتها المقطَّعة. حسنًا، هي مسألة ثمن. لكنك فعلتَ الشيء الصحيح بتحويل الأموال إلى هذه الحلي البراقة. قيمة الأورين ضعيفة، وأسعار الأحجار ليست مرتفعة في فيزيما، فهي قريبة جدًّا من مناجم الأقزام في ماهاكام. إن بعتَ هذه الأحجار في نوفيجراد، فستحصل على ما لا يقل عن خمسمائة كورون نوفيجرادي، والكورون حاليًّا يعادل ستة ونصف أورون، وقيمته في ازدياد».

- أريد منكِ أن تأخذيها.

- تودعُها أمانة؟

- لا. احتفظي باليشم الأخضر للمعبد، فلنقل، كقربان للإلهة مليتيلي. وباقي الأحجار... لها. لينيفر. أعطيها إياها حين تزورك مرة أخرى، وأظن أن ذلك سيكون قريبًا.

نظرت نينيكي إلى عينيه مباشرة.

- ما كنتُ لأفعل ذلك، لو كنتُ مكانك. صدقني، ستثير حنقها أكثر مما كان عليه، إن كان ثمة ما هو أشد منه. اترك كل شيء كما هو، لأنك لن تستطيع أن تصلح شيئًا، أو أن تجعله أفضل. حين هربتَ منها، تصرفتَ... حسنًا، دعنا نقول، تصرفتَ بطريقة لا تليق تمامًا برجل ناضج. وإذ تحاول أن تمحو ذنبك بالجواهر، فإنك تتصرف كرجل خَمِجَ بعد نضجه خمجًا شديدًا. أنا حقًّا لا أعرف أيَّ نوع من الرجال لا أطيقه أكثر.

تمتم، وهو يشيح بوجهه: «كان عندها نزوع زائد على حده إلى الهيمنة. لم أستطع تحمله. لقد عاملتني مثل...».

قالت بحدة: «توقف. لا تبكِ شاكيًا في حضني. فلستُ أمك، كم مرة عليَّ تكرار ذلك؟ ولا أنوي أن أكون صديقتك المؤتمنة أيضًا. واهتمامي بالطريقة التي عاملَتْكَ بها يساوي اهتمامي بالخراء، أما كيف أنت عاملتها، فاهتمامي به أدنى من ذلك وأقل. وليست لديَّ أي نية للتوسط بينكما، أو لتسليمها تلك الأحجار البليدة. إن كنت تريد أن تكون أحمقَ، فكُنهُ من دون وساطتي».

- أنتِ لم تفهميني. أنا لا أفكر في توسل استرضائها أو رشوتها. لكنني مدين لها بشيء، وإن العلاج الذي تريد أن تخضع له يبدو أنه مكلف جدًّا. أريد أن أساعدها، وهذا كل شيء.

تناولت نينيكي السلة من الأرض: «أنت أكثر حمقًا مما كنت أظن. علاج مكلف؟ تساعدها؟ بالنسبة إليها، أحجارك تلك، يا جيرالت، هي تفاهة لا تستحق البصق عليها. هل تعلم كم يمكن لينيفر أن تكسب مقابل إجهاض الحمل لأي سيدة عظيمة؟».

- هذا بالتحديد، ما أعلمه. كما أعلم أيضًا أن ما تتقاضاه مقابل علاج العقم، أكثر من ذلك. والمؤسف أنها لا تستطيع مساعدة نفسها في هذا الأمر. فلذلك تطلب المساعدة من الآخرين، ومنكِ أيضًا.

- لن يساعدها أحد، هذا مستحيل تمامًا. إنها ساحرة. ومثل معظم الساحرات، غددها التناسلية ضامرة، وغير فعالة تمامًا، وهذا أمر نهائي لا يمكن تعديله. ولن تكون قادرة على إنجاب طفل.

- ليست كل الساحرات معوقات، من هذا المنظور. أنا أعرف شيئًا عن ذلك، أنت تعرفينه أيضًا.

ضيقت نينيكي عينيها: «نعم، أعرفه».

- لا يمكن للشيء أن يكون قاعدة، إذا كانت له استثناءات. فمن فضلك، لا تمرري لي ادِّعاءات تافهة، عن استثناءات تؤكدها القواعد. قولي لي شيئًا عن الاستثناءات كاستثناءات.

أجابت ببرود: «بخصوص الاستثناءات، ثمة شيء واحد فقط يمكن قوله. إنها موجودة. ولا شيء آخر. أما ينيفر... حسنًا، ويا للأسف، فليست استثناء. على الأقل، ليس من منظور الإعاقة التي نتحدث عنها. لأن إيجاد استثناء أكبر منها، صعب من منظورات أخرى».

لم يهتم جيرالت لا بالبرودة، ولا بالتلميح: «لقد نجح السحرة في إحياء الموتى. أعرف حالات موثقة. وإحياء الموتى أصعب من إبطال ضمور أعضاء الجسم، أو أجهزته، كما يبدو لي».

- ما يبدو لك غير صحيح. فأنا لا أعرف حالة واحدة موثقة وناجحة تمامًا أُبطِل فيها الضمور، أو جُدِّدَتْ فيها الغدد الصماء. جيرالت، هذا يكفي، لقد صار الأمر يبدو كأنه مجلس استشاري. أنتَ لست على دراية بذلك، أما أنا فعلى دراية به. وإذا قلت لك إن ينيفر مقابل بعض قدراتها دفعت ثمنًا يتمثل في فقدان بعض قدراتها الأخرى، فإن ذلك الحقيقة عينها.

- إذا كان الأمر بهذا الوضوح الجلي، فلستُ أفهم لماذا لا تزال تحاول...

قاطعته الكاهنة: «أنت لا تفهم إلا أقل القليل. القليل المريض. توقف عن إشغال تفكيرك بمتاعب ينيفر، وفكر في متاعبك. فقد خضع جسمك أيضًا لتغيرات لن ترجع إلى طبيعتها. أتستغرب من حالها، فماذا تقول عن نفسك؟ يجب أن يكون جليًّا لك أيضًا أنك لن تكون إنسانًا أبدًا، ومع أنك لا تزال تسعى أن تكونه. وأنت ترتكب أخطاء بشرية. أخطاء لا ينبغي للويتشر أن يرتكبها».

استند إلى جدار المغارة، ومسح العرق من حاجبيه.

أكدت نينيكي واقع الأمر، مبتسمة ابتسامة خفيفة: «أنتَ لا تجيب. لا أستغربُ ذلك. ليس من السهل أن تجادل صوت العقل. أنت مريض، يا جيرالت. أنت معوَّق. أنت تستجيب للإكسير بطريقة سيئة. لديك تسرع في نبضات القلب، وتكيف العينين بطيء، وردَّات فعلك متأخرة. لا تنجح في أداء أبسط العلامات. وتريد أن تنطلق سائرًا على الدرب؟ أنت في حاجة إلى الاستشفاء. العلاج ضروري. وقبل ذلك الغشية».

- إذن، لذلك أرسلتِ إليَّ إيولا؟ في إطار العلاج؟ لتسهيل الغشية؟

- أحمق أنت!

- ليس إلى حد كبير.

استدارت نينِّيكي، ودست يديها بين سوق النباتات المدَّادة الممتلئة التي لا يعرفها الويتشر.

قالت بتحرر: «حسنًا، فليكن كما تريد. أجل، لقد أرسلتُها إليك. في إطار العلاج. وأقول لك إن الأمر قد نجح. وكانت استجابتك أفضل في اليوم التالي. صرتَ أهدأ. ما عدا ذلك، كانت إيولا أيضًا تحتاج إلى العلاج. فلا تغضب».

- لست غاضبًا، لا على العلاج، ولا على إيولا.

- لكنك غاضب على صوت العقل الذي تسمعه؟

لم يجب.

كررت نينِّيكي، ملقية نظرة على حديقة المغارة: «الغشية ضرورية. إيولا جاهزة. وقد اتصلتْ بك جسديًّا وعقليًّا. إذا كنت تريد المغادرة، فلنفعل ذلك اليوم ليلًا».

- لا. لا أريد. افهمي، يا نينِّيكي، إيولا قد تبدأ، وهي في الغشية، تبصِّر. تتنبأ، وتقرأ المستقبل.

- هذا هو المراد بالضبط.

- بالضبط. وأنا لا أريد معرفة المستقبل. كيف سيمكنني أن أفعل ما أفعله، إذا كنت أعرف المستقبل؟ وفي المحصلة، أنا أعرفه على أي حال.

- أأنت متأكد؟

لم يجب.

تنهدت: «حسنًا، إذن. لنذهب الآن. آها، جيرالت؟ لا أريد أن أكون متطفلة، لكن قل لي... قل، كيف تعارفتما؟ أنت وينيفر؟ كيف بدأ الأمر؟».

ابتسم الويتشر.

- بدأ الأمر بأننا، أنا وياسكير، لم يكن لدينا أي شيء نفطر عليه، وقررنا اصطياد السمك.

- هل أفهم أنك اصطدت ينيفر، بدلًا من السمك؟

- سأخبرك كيف كان الأمر. لكن ربما بعد العشاء، فقد بدأت أجوع بعض الشيء.

- فلنذهب إذن. صار لديَّ كل ما كنت أحتاج إليه.

انطلق الويتشر إلى المخرج، وحرَّك نظره، مرة أخرى، نحو دفيئة المغارة.

- نينِّيكي؟

- ها؟

- نصف ما لديك هنا، نباتات ما عادت تنمو، ولا في أي مكان من العالم. لستُ مخطئًا. أليس كذلك؟

- لستَ مخطئًا. لديَّ أكثر من النصف.

- بمَ يمكن تفسير ذلك؟

- إذا قلتُ أن هذا نعمة من نِعَم الإلهة مليتيلي، فلن يكون هذا كافيًا لك، بالتأكيد؟

- على الأرجح لن يكون.

ابتسمت نينيكي: «هكذا ظننتُ. كما ترى، يا جيرالت، لا تزال شمسنا الساطعة تضيء. لكن ليس كما كانت من قبل. إن شئت، فاقرأ الكتب. وإذا كنت لا تريد أن تضيع وقتك في هذا الأمر، فقد يرضيك تفسير حقيقة أن البلور، المصنوع منه السطح، يعمل كالفلتر. فيزيل الأشعة القاتلة التي تتزايد أكثر فأكثر في ضوء الشمس. لذلك تنمو هنا النباتات، التي لا يمكنك رؤيتها تنمو في البرية، في أي مكان من العالم».

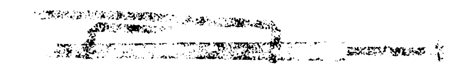
أومأ الويتشر برأسه: «فهمتُ. ونحن، يا نينِّيكي؟ ماذا سيحل بنا؟ الشمس تشع علينا أيضًا. ألا ينبغي لنا أيضًا أن نحتمي تحت سطح كهذا؟».

تنهدت الكاهنة: «من حيث المبدأ، ينبغي لنا ذلك. لكن...».

- ولكن ماذا؟

- لقد فات الأوان.

الأمنية الأخيرة



1

أظهرت سمكة القرموط رأسها ذا الشارب فوق السطح، تدافعت بقوة، وهي تمخر بين الرذاذ، محركة الماء، ولمعت ببطنها الأبيض.

صرخ الويتشر، مثبتًا عقبي حذائه في الرمل المبتل: «انتبه، يا ياسكير! أمسك به، اللعنة!».

تأوه الشاعر: «إني ممسك به... يا أمنا، يا له من وحش! إنه لوياثان، وليس سمكة! كم سيكون الطعام كثيرًا، أيتها الآلهة!».

- اتركه، اتركه، فالخيط سينقطع!

انزلق القرموط إلى القاع، وبهجوم مفاجئ اندفع بعكس التيار باتجاه منعطف النهر نصف الدائري. صرَّ الخيطُ، حتى إن قفازات ياسكير وجيرالت أطلقت الدخان.

- شد، يا جيرالت، شد! لا ترخِهِ وإلا فإنه سيلتف حول الجذور!
- سينقطع الخيط!
- لن ينقطع! شد!



انحنيا، ثم سحبا. شق الخيط الماء محدثًا صريرًا، وتذبذب مهتزًّا، ونثر قطيرات ملتمعة كالزئبق في بريق الشمس المشرقة. طفا القرموط فجأة على الماء، وهو يتلوَّى تحت السطح مباشرة، وارتخى الحبل المشدود. فبدآ في تقليص ارتخائه بسرعة.

قال ياسكير لاهثًا: «سنجففه بطريقة التدخين. سننقله إلى القرية، ونطلب منهم تجفيفه. وسنحضِّر حساءً من رأسه!».

- انتبه!

بعد أن أحس القرموط بضحالة الماء تحت بطنه، قذف نفسه من الماء حتى منتصف جسمه الضخم، الذي كان بطول قامتين، ودفع رأسه، وأخذ يصفع بذيله المسطح، وهوى بحدة في الأعماق. وتصاعد الدخان من القفازات مجددًا.

- اسحبه، اسحبه! إلى الشط، ابن العاهرة هذا؟

- الخيط يصرف صريفًا! أرخه، ياسكير!

- تماسك، لا تخف! من الرأس... سنحضر حساء...

كان القرموط يتلوى، ويتخبط هائجًا، وهو يُجرُّ مجددًا إلى مكان قرب الضفة، وكأنه بذلك يعطي إشارة أن مسألة وضْعِهِ في القِدْر، بمثل هذه السهولة، ستكون مستحيلة. تطاير الرذاذ إلى الأعلى بمقدار قامة.

شد ياسكير الخيط بكلتا يديه، متشبثًا بقوة، وقد احمر من الجهد المبذول: «الجلد سنبيعه... والشارب... من الشارب نصنع...».

لم يتسنَّ لأحد قطُّ أن يعلم ماذا أراد الشاعر أن يصنع من شارب القرموط. انقطع الخيط مفرقعًا، وتهاوى صيَّادا السمك على الرمل الرطب فاقديْن توازنهما.

زعق ياسكير بشدة، حتى إن رجع صوته دوى عبر نباتات الخوص: «فليأخذك الوباء! يا خسارة، كل هذا الأكل، ذهب أدراج الرياح! فلتنفقْ يا ابن القرموطة!».

نفض جيرالت سرواله: «قد قلت. قلت لك أن لا تشد بقوة. أفسدت يا زميل. فأنت صياد سمك، تمامًا مثلما تكون مؤخرة العنزة بوقًا».

ثار غضب التروبادور: «غير صحيح. فإن الإيقاع بهذا الوحش قد تم بفضلي، في المقام الأول».

- عجيب. لم تحرك ساكنًا لمساعدتي في نصب الحبل. كنت تعزف على العود، وتجأر ملء فمك، مغطيًا بصوتك المنطقة كاملة، ولم تقم بشيء آخر.

أبرز ياسكير أسنانه: «أنت مخطئ. فكما ترى، حينما غفوتَ أنت، أزلتُ أنا اليرقات عن الخطاف، وثبتُّ غرابًا نافقًا وجدتُه بين الشجيرات. أردتُ أن أرى تعابير وجهك في الصباح، وأنتَ تسحبُ الغراب. لكن القرموط علق بفخ الغراب. ولم يكن ليعلق بيرقاتك تلك، إلا الخراء».

بصق الويتشر في الماء، ولف الحبل على مذراة خشبية صغيرة: «لقد علق، علق. لكنه فكَّ نفسه، لأنك كنتَ تشد كأحمق. بدلًا من أن تثرثر، لُفَّ بقية الحبال. قد أشرقت الشمس، حان وقت الذهاب. سأحزم الأمتعة».

- جيرالت!

- ما الأمر؟

- ثمة شيء أيضًا على الحبل الآخر... لا، لا أمَّ لَه، لقد علقَ للتو. يا للوباء، إنه يتشبث كحجر، لن أستطيع. هيا، تَمَّ... ها، ها، انظر ماذا يجرُّ إلينا! لعله حطام قارب من زمن الملك ديزمود! يا له من خراء هائل! انظر، يا جيرالت!

طبعًا، قد بالغ ياسكير، فقد كانت كُبَّة الحبال المتعفنة، وبقايا الشباك والأعشاب البحرية التي أخرجت مِن الماء، كانت كبيرة، لكنها لم تكن تقارب مقاسات القارب الذي ظن أنه من زمن ذلك الملك الأسطوري. بعثر الشاعر المغني الكبَّةَ الضخمة على الشط، وراح ينبش فيها بمقدمة حذائه. كانت الأعشاب البحرية تتحرك بالعلقات، والقشريات، والسراطين الصغيرة.

- ها! انظر ما وجدت!

اقترب جيرالت، يحثه الفضول. تبين أن الاكتشاف تمثل في إبريق متصدع، مصنوع من الخزف الحجري، وكان على هيئة جرة «أمفورة» بمقبضين، وقد علق بين خيوط الشباك، وكان أسود من لون الطحالب المتعفنة، ومستعمرات ذباب القمص والحلازين التي تقطر بطمي يزكم الأنوف.

صاح ياسكير من جديد باعتزاز: «ها! هل تعلم ما هذه؟».

- أجل. إنها قِدْر قديمة.

صرح التروبادور، وهو يقشط الصدف، والطين المتحجر، والمتكتل من على الإبريق بقطعة خشب: «كلامك مغلوط. ما هذا إلا إبريق مسحور، لا أكثر ولا أقل. وفي داخله جني سيحقق لي ثلاث أمنيات».

شخر الويتشر.

انتهى ياسكير من القشط، وانحنى ثم غسل الجرة: «يمكنك أن تضحك. لكن على فمها ختم، وعلى الختم علامة سحرية».

- ما هو؟ أرني.

- أخفى الشاعر الإبريق خلف ظهره: «طبعًا، حالًا! وماذا تريد أيضًا. أنا وجدته، وأحتاج الأمنيات كلها».

- لا تحرك هذا الختم! اتركه!

- دعه، أقول لك! هو لي!

- ياسكير، احترس!

- هذا ما ينقصني!

- لا تلمسه! أوه، يا للوباء الناصع!

وانبثق دخان أحمر مضيء من الإبريق الذي سقط على الرمل في أثناء المشادة!

ارتد الويتشر إلى الخلف، واندفع باتجاه المخيم المؤقت ليأخذ سيفه. أما ياسكير الذي عقد ذراعيه على صدره، لم يأتِ حتى بأي حركة.

أخذ الدخان يخفق ويتجمع في كرة غير منتظمة، تعلقت عاليًا على ارتفاع رأس الشاعر. أخذت الكرة شكل رأس كاريكاتوري بلا أنف، ذي عينين كبيرتين، وشيء على هيئة منقار. كان طول قطر الرأس يقارب قامة واحدة.

تحدث ياسكير، خابطًا بقدمه الأرض: «أيها الجني! لقد حررتك، ومنذ هذه اللحظة أنا سيدك. وأمنياتي...».

راح الرأس يصفق محركًا منقاره الذي لم يكن بتاتًا منقارًا، بل كان شيئًا على هيئة شفتين متدليتين، ومشوهتين، ومتغيرتي الشكل.

صرخ الويتشر: «اهرب! اهرب، ياسكير!».

تابع الشاعر: «أمنياتي هي كما يلي. أولًا، فليصب الجحيم، بأسرع ما يمكن، فالدو ماركس، التروبادور من سيدارِس. ثانيًا، ابنة الكونت فرجينيا، تعيش في كايلف التي لا تريد أن تهب أحدًا نفسها. دعها تهبني نفسها. ثالثًا...».

لم يتسنَّ لأحد قطُّ، أن يعلم ما أمنية ياسكير الثالثة. أخرج الرأس الوحشي كفَّين أكثر وحشية، وأمسك بالشاعر المغني من حلقه. وعلا نعيق ياسكير.

عاجل جيرالت الرأس دانيًا منه بثلاث قفزات، ولوح بسيفه الفضي، وشقَّ الرأس من أذنه حتى منتصفه. عوى الهواء، ثم انفجر الرأس بالدخان، ونما فجأة بسرعة، مضاعفًا قطره. انفرج فمه الوحشي، وقد صار الآن أيضًا أكبر بكثير، واصطكَّ محدثًا رنينًا، وأخذت كفاه تشدان، وتعصران على الأرض ياسكير، الذي كان يحاول الإفلات جاهدًا.

ثنى الويتشر أصابعه راسمًا علامة **آراد**، وشحن في رأسه أقصى قدر من الطاقة، تمكن من استدعائه. ضربت الطاقة المتجسدة هالة محيطة بالرأس كشعاع يعمي الأعين، ضربت الهدف. وانفجر دوي حزَّ أذني جيرالت بشدة، ومن جراء امتصاص البجرةِ الهواءَ، حتى نباتات الخوص أصدرت هديرًا. زأر الوحش زئيرًا صم الآذان، وأخذ ينمو أكثر فأكثر، ولكنه ترك الشاعر، وارتفع إلى الأعلى، تلوى ملتفًّا، وحلَّق فوق سطح الماء، ملوحًا بيديه.

اندفع الويتشر لسحب ياسكير المنبطح دون حراك. في تلك اللحظة، عثرت أصابعه على جسم دائري، مدفون في الرمل.

كان ذلك الجسم ختمًا نحاسيًّا مزينًا بعلامة صليب مكسور، ونجمة تُساعية.

صار الرأس المعلق فوق النهر الآن بحجم كومة قش. وكان فمه المنفرج، الزاعق، يشبه بوابة حظيرة متوسطة الحجم. وانقض الوحش مادًّا مخالب كفيه الكبيرتين.

ضغط جيرالت، الذي لم يكن يعرف البتة ما ينبغي فعله، الختم في قبضته، شاهرًا يده باتجاه المهاجم، وصرخ مطلقًا رقية لطرد الأرواح الشريرة، علمته إياها إحدى الكاهنات ذات مرة. لم يستخدم هذه الرقية من قبل، لأنه لم يؤمن بالخرافات من حيث المبدأ.

لقد فاق التأثير توقعاته.

صأى الختم، وسخن بسرعة حتى حرق راحة يده. جمد الرأس العملاق في الجو، وغدا معلقًا فوق النهر، دون حَراك. وظل معلقًا على هذه الهيئة لحظة، وأخيرًا أخذ يعوي، ويزأر، حتى تبعثر في كتلة من الدخان خافقة، وفي سحابة ركامية عظيمة. أنَّت السحابة أنينًا رقيقًا، واندفعت إلى أعلى فوق النهر بسرعة مذهلة، مخلفة خطًّا مضطربًا على سطح الماء. واختفت في غضون بضع ثوانٍ في البعيد، وظل الماء وحده، بعض الوقت، يحمل عواءً أهدأ مما كان عليه.

ارتمى الويتشر على الشاعر المنكمش على الرمل.

- ياسكير؟ هل أنت حي؟ ياسكير، اللعنة! ماذا بك؟

زحزح الشاعر رأسه، وانتفض بساعديه، وفتح فمه للصراخ. تجهم جيرالت وضيق عينيه - كان صوت ياسكير مدربًا، وصاخبًا من النوع الصادح «تينور»، ويمكنه تحت تأثير الفزع أن يبلغ بصوته مستويات، لم تعرفها السجلات. لكن هذا الذي انبعث فجأة من حنجرة الشاعر المغني، كان نقيقًا مبحوحًا، لا يكاد يسمع.

- ياسكير! ما بك؟ تكلم!

- خ خ خ... إإإإ... ك خ إإإإ... كخرمووطة...

- هل يوجعك شيء؟ ما بك؟ ياسكير!

- خ خ خ ... كخشرموو...

- لا تقل شيئًا. إن كنت بخير، فأومئ برأسك.

تجهَّم ياسكير، وأومأ بصعوبة بالغة، وسرعان ما انقلب على جنبه، وتكور ثم تقيأ دمًا، وهو يسعل مختنقًا.

أطلق جيرالت شتيمة.

2

تراجع الحارس، ونكَّس الفانوس: «بحق الآلهة! ما به؟».

قال الويتشر بصوت خفيض، ساندًا ياسكير المنحني على السرج: «دعنا نمر، أيها الإنسان الطيب، نحن مستعجلون. وها أنت ذا ترى».

ابتلع الحارس ريقه ناظرًا إلى وجه الشاعر الشاحب، وذقنه الملطخ بالدم الأسود المتيبس: «إني أرى. هو جريح؟ هذا يبدو فظيعًا، يا سيد».

كرر جيرالت: «أنا في عجلة من أمري. نحن نسير على الطريق منذ الفجر. دعونا نمر من فضلكم».

قال الحارس الثاني: «لا نستطيع. يكون المرور عن طريق البوابة، فقط من شروق الشمس وحتى غروبها. في الليل ممنوع. هذا هو الأمر. ممنوع على أي شخص المرور إلا بعلامة من الملك، أو رئيس البلدية. أو إذا كان نبيلًا ذا شعار».

حشرجَ ياسكير، وتكور أكثر، متكئًا بجبهته على عُرف الفرس، ثم ارتعد وأخذ يرتجف، وانتفض متهوِّعًا القيء الجاف. وسالت دفقة أخرى على القماش، الذي جفَّ عليه الدم، والمزركش، والمتفرع على عنق الجواد.

قال جيرالت بأكبر قدر ممكن من الهدوء: «أيها الناس. ها إنكم ترون أن حاله سيئة. يجب أن أجد من يشفيه. دعونا نمر، أرجوكم».

استند الحارس إلى عصا المطرد: «لا ترجُنا، الأمر هو أمر. لو سمحتُ لكم بالمرور، سأذهب إلى المشهِّرة[1] وسيطردونني بعيدًا عن الخدمة، فماذا سأطعم أطفالي حينئذ؟ لا، يا سيد، لا أستطيع. اسحبوا صديقكم من فوق الحصان، وخذوه إلى حجرة المرقب. سوف نضمده، وسيصمد حتى الفجر، إذا كان مكتوبًا له ذلك. ولم يبق إلا القليل».

---

(1) المُشَهِّرَة أو الجِناك أو قَمَّاطَة القَصَّاص: إطار خشبي أو معدني يركب على أحد الأعمدة، مع وجود ثقوب لاحتواء الرأس واليدين، كان يستخدم لتنفيذ العقاب بالمحكوم عليه علانية أمام الناس.

صرَّ الويتشر على أسنانه: «الضمادة هنا لا تكفي. الأمر يحتاج إلى معالج، كاهن، طبيب متمكن...».

قال الحارس الثاني: «بكل الأحوال، لن تتمكنا من إيقاظ أحد من هؤلاء في غضون الليل. هذا ما نستطيع فعله من أجلكما، لئلا تُضطرا إلى التخييم عند البوابة حتى الفجر. الحجرة دافئة، وأيضًا ستجدون شيئًا يمكن تمديد الجريح عليه، وسيكون الأمر هنا أخف عليه من الجلوس هناك على السرج. هيا، سنساعدكم في إنزاله عن ظهر الحصان».

كانت الحجرة داخل المرقب دافئة فعلًا، وخانقة، وحميمة. أزَّت النار بمرح في الموقد، وصرصر جدجد خلف الموقد بشراسة.

جلس ثلاثة رجال إلى طاولة مربعة ثقيلة، صُفَّتْ عليها الأباريق والصحون.

قال الحارس الذي كان يسند ياسكير: «سامحانا، أيها السيدان الكريمان، لأننا نعيقكما. آمل، أنكما لن تمانعا... هذا الذي هنا فارس، هممم... والثاني، جريح، لذا ظننت...».

أدار أحد الرجال نحوهم وجهه النحيل، الحاد، الواضح الملامح، ونهض: «أصبت، ظنك في محله. هيا، ضعوه على السرير».

كان الرجل إلفيًّا. تمامًا مثل الآخر، الجالس إلى الطاولة. كلاهما، كما يتضح من ملابسهما التي كانت مزيجًا ذا طبيعة خاصة من الأزياء البشرية والإلفية، كانا من الإلفيين المستقرين، والمندمجين. وكان الرجل الثالث، ويبدو من شكله أنه الأكبر، إنسيًّا. فارسًا، كما يُستنتج من ملابسه وشعره الشائب، المقصوص بطريقة تناسب خوذته.

عرَّف أطول الإلفيين، ذو الوجه الحاد الملامح، بنفسه. وكما يحصل عادة عند النظر إلى ممثلي **الشعب القديم**، فلم يكن ممكنًا تقدير سنه، فقد يكون له من العمر عشرون عامًا، تمامًا كما يمكن أن يكون له منه مائة وعشرون: «أنا شِريدان، وهذا قريبي إرديل. أما هذا النبيل، فهو الفارس فراتِمير».

- نبيل.

تمتم جيرالت، لكن النظرة الأكثر انتباهًا التي ألقاها على شعار النبالة المطرَّز على غلالته، بددت آماله: درع من أربع قطع بزنابق ذهبية، تقاطعت قطريًّا بحاشية فضية. لم يكن فراتِمير من أصل غير شرعي وحسب، بل كان أيضًا من قِران مختلط بشري - غير بشري. وعلى هذا النحو، مع أنه يحمل

شعار النبالة، لم يستطع عد نفسه نبيلًا، كامل الأهلية، ودون شك لم يحظَ بامتياز عبور بوابات المدينة بعد الغسق.

لم تفلت نظرة الويتشر تلك من انتباه الإلفي: «من سوء الحظ، ونحن أيضًا علينا الانتظار هنا حتى الفجر. القانون لا يعرف استثناءات، على الأقل ليس لمن هم مثلنا. تفضلوا، انضموا إلى جلستنا، يا حضرة الفارس».

عرَّف الويتشر بنفسه: «جيرالت من ريفيا. أنا ويتشر، ولست فارسًا».

أشار شريدان إلى ياسكير الذي كان الحراس يضعونه على المحفة في تلك اللحظة: «ما به؟ يبدو أنها حالة تسمم. إذا كان هذا تسممًا، فيمكنني مساعدته. معي هنا دواء جيد».

جلس جيرالت، وسرعان ما قدم إحاطة حذرة عما حدث عند النهر. نظرالإلفيان بعضهما إلى بعض. أخرج الفارس الأشيب لعابه من بين أسنانه، مغضِّنًا وجهه.

قال شريدان: «مذهل. وماذا يمكن أن يكون ذلك؟».

تمتم فراتِمير: «جني من قارورة. كما في حكايات...».

أشار جيرالت إلى ياسكير المنكمش في المحفة: «ليس تمامًا، لا أعرف أي حكاية خرافية انتهت هكذا».

قال شريدان: «إن إصابات هذا المسكين هي من طبيعة سحرية، كما يبدو واضحًا. أخشى أن أدويتي لن تكون ذات فائدة كبيرة. لكن يمكنني، على الأقل، تخفيف معاناته. هل أعطيته دواء ما، يا جيرالت؟».

- إكسير مسكن للألم.

- تعال، ستساعدني. ستسند رأسه.

شرب ياسكير الدواء الممزوج بالنبيذ بشراهة، واختنق بالجرعة الأخيرة منه، فحمحم، وتطاير بصاقه على الوسادة الجلدية.

قال الإلفي الثاني، إرديل: «أنا أعرفه. هذا هو ياسكير، تروبادور وشاعر. رأيته يغني ذات مرة في بلاط الملك إيثاين في سيداريس».

كرر شريدان، ناظرًا إلى جيرالت: «تروبادور. أمر سيئ. سيئ جدًّا. لقد شُلَّت عضلات عنقه وحنجرته. ستبدأ التغيرات في الحبال الصوتية. يجب

إيقاف عمل السحر في أسرع وقت ممكن، وإلا... قد يصبح الأمر قطعيًّا، لا رجعة فيه».

- هذا يعني... هل هذا يعني أنه لن يكون قادرًا على التكلم؟

- التكلم، نعم. يمكن. لكن، ليس الغناء.

جلس جيرالت إلى الطاولة، دون أن ينبس بكلمة، ساندًا جبهته إلى قبضتيه المشدودتين.

قال فراتمير: «الساحر. لا بدَّ من دواء سحري أو تعويذة شفاء. يجب أن تنقله إلى مدينة أخرى، أيها الويتشر».

رفع جيرالت رأسه: «كيف هذا؟ وهنا في ريندي؟ ألا يوجد ساحر هنا؟».

قال الفارس: «صعب العثور على سحرة في ريندي بأكملها. أليس كذلك، أيها السيدان الإلفيان؟ منذ أن فرض الملك هِريبرت ضريبة فاحشة على الأسحار، قاطع السحرة العاصمة، والمدن المتحمسة لتنفيذ مراسيم الملك. وكما سمعتُ، فإن أعضاء مجلس مدينة ريندي مشهورون بحماستهم في هذا الصدد. أليس كذلك؟ يا شريدان، يا إرديل، ألستُ محقًّا؟».

أكد إرديل: «محق. لكن... شريدان، ممكن؟».

قال شريدان ناظرًا إلى الويتشر: «بل هذا لازم. لا داعي إلى أن نجعل من ذلك سرًّا، فالجميع يعرف ذلك، على أي حال، ريندي بأكملها. في المدينة، يا جيرالت، ثمةِ ساحرة تقيم مؤقتًا».

- على الأرجح متخفية؟

ابتسم الإلفي: «ليس تمامًا. الشخصية التي أتحدث عنها فردانية عظيمة. إنها تتجاهل كلًّا من المقاطعة، التي فرضها مجلس السحرة على ريندي، وقرارات مجلس المدينة المحلي، ويتم لها ذلك بطريقة ممتازة، لأن المقاطعة تستدعي تهافتًا كبيرًا على خدمات أعمال السحر هنا. والساحرة، طبعًا، لا تدفع أي ضريبة».

- ومجلس المدينة يتسامح مع هذا؟

- تعيش الساحرة في دار أحد التجار، وهو وسيط تجاري من نوفيجراد، وفي الوقت نفسه هو سفير ذو لقب. لا أحد يستطيع أن يمسها هناك. إنها في ملاذ آمن.

صحح إرديل: «إنها إقامة جبرية، أكثر من كونها ملاذًا آمنًا. هي عمليًّا حبيسة هناك. لكنها لا تشكو قلة الزبن. الزبن الأثرياء. تستخف بأعضاء مجلس المدينة، بمباهاة فاضحة، وتنظم الحفلات الراقصة، وجلسات اللهو الصاخبة...».

أضاف شريدان: «أما أعضاء مجلس المدينة، فيستشيطون غضبًا، ويؤلبون عليها كل من يمكنهم تأليبه، ويفسدون سمعتها بقدر ما يستطيعون. لقد نشروا شائعات فظيعة عنها، على أمل أن يمنع حاكمُ نوفيجراد التاجرَ من منحها الملاذ الآمن».

تمتم جيرالت: «لا أحب أن أحشر نفسي بين مصراعي باب. لكن لا خيار آخر لديَّ. ما اسم هذا السفير التاجر؟».

- بيو بيرانت. -بدا للويتشر أن شريدان قد تجهَّم عندما ذكر الاسم- وإذن، هذه فرصتك الوحيدة حقًّا. أو بالأحرى، الفرصة الوحيدة لهذا المسكين الذي يئن على السرير هناك. لكن، أسترغب الساحرة في مساعدتك... لا أعرف.

قال إرديل: «انتبه عندما تذهب إلى هناك. عسس رئيس البلدية يراقبون المنزل. إن أوقفوك، فأنت تعلم ما عليك فعله. المال يفتح كل الأبواب».

- سأذهب حالما يفتحون البوابات. ما اسم الساحرة؟

- ينيفر من فينجربيرج.

3

كرر البوَّاب، ناظرًا إلى جيرالت من أعلى. كان أطول منه قدر الرأس وأعرض عند المنكبين بمرتين: «السيد نائم. هل أنت أطرش، أيها الصعلوك؟ أقول إن السيد نائم».

وافق الويتشر: «فلينمْ. ليس لديَّ عمل مع سيدك، ولكن مع السيدة المقيمة هنا».

البواب، كما اتضح، رجل ذو نكتة، وهو ما كان غريبًا على شخص بهذا الجسم والمظهر: «تقول لديك عمل. إذن، فاذهب، أيها المتسكع، إلى الماخور وانتفع منه. انقلع».

فك جيرالت الصرة من على خصره، ورازها بيده، ممسكًا بها من أربطتها.

قال الحارس الفطِن باعتزاز: «لن تستطيع رشوتي».

- لا أنوي فعل ذلك.

كان البواب بالغ الضخامة، إلى حد يمنع أن تكون لديه ردة فعل تسمح لتفادي ضربة سريعة، أو صدها من أي إنسان عادي. وها هو أمام ضربة الويتشر، لم يتمكن حتى من إغلاق عينيه. فجَّت الصرة الثقيلة صدغه برنين معدني. هوى على الباب وهو يمسك إطاره بكلتا يديه. أزاحه جيرالت عنه بركلة على ركبته، ودفعه بكتفه، ثم خبطه بالصرة مرة أخرى. غبشت عينا البواب، وتفرقتا في اندفاع حَوَلٍ هزلي مفرط، وانطوت ساقاه تحته مثل مطواتين. وإذ رأى الويتشر كيف أن الرجل، على الرغم من أنه أوشك أن يفقد حواسه، كان لا يزال يتلمس بيديه كل ما حوله، هوى عليه، مرة ثالثة، بضربة كاسحة، على يافوخه مباشرة.

تمتم: «المال يفتح كل الأبواب».

كان البهو معتمًا. انبعث شخير عالٍ من وراء الباب من جهة اليسار. تطلع الويتشر إلى هناك بحذر. كانت امرأة بدينة، ترتدي ثوب نوم منحسر إلى ما فوق وركيها، نائمة على سرير غير مرتب، وهي تصفِّر من خلال أنفها. لم يكن هذا المشهد أجمل منظر. جرَّ جيرالت البواب إلى حُجيرة صغيرة، وأغلق الباب بالمزلاج.

كان باب آخر من جهة اليمين، نصف مفتوح، وخلفه درج حجري يؤدي إلى الأسفل. كان الويتشر على وشك تجاوزه، حينما سمع من الأسفل شتمًا غير واضح، وضجة، وطقطقة جافة تنبعث من وعاء يتصدع.

كانت الغرفة مطبخًا كبيرًا، مليئًا بالأواني، وتفوح منه روائح الأعشاب والقطران. كان على الأرضية الحجرية، بين شظايا إبريق فخاري، رجل راكع وهو عارٍ تمامًا ومنكَّس الرأس.

قال كلامًا غير واضح، هازًّا رأسه ككبش، نطح سور حصن منيع عن طريق الخطأ: «عصير تفاح، يا ابن الكلبة. عصير... تفاح. أين... أين الخدم؟».

سأل الويتشر بأدب: «ماذا؟».

رفع الرجل رأسه وابتلع لعابه. كانت عيناه غائمتين ومُحْمَرَّتين بشدة.

أعلنَ: «إنها تريد عصير تفاح».

ثم جلس، بعد أن نهض بصعوبة واضحة، على الصندوق المغطى بجلد الغنم، واتكأ على الموقد: «يجب... أن آخذه إلى الطابق العلوي، لأن...».

- هل حظيتُ بشرف الحديث مع التاجر بيو بيرانت؟

تجهم الرجل تجهمًا مؤلمًا: «اخفض صوتك. لا تصرخ. اسمع، هناك في البرميل... عصير. من التفاح. صبَّ منه في أي شيء... وساعدني في صعود الدرج، حسنًا؟».

هزّ جيرالت كتفيه، ثم أومأ برأسه بتعاطف. فهو نفسه اجتنب الإسراف في الكحول، أكثر ما يمكن، لكن الحالة التي وُجِدَ التاجر فيها، لم تكن غريبة تمامًا عليه. وجد إبريقًا وكوبًا قصديريًّا بين الأواني الفخارية، فسحب العصير من البرميل. ثم سمع شخيرًا، فاستدار. كان الرجل العاري قد نام، ورأسه متدلٍّ على صدره.

تملكت الويتشر، خلال لحظة، رغبة في سكب العصير عليه وإيقاظه، لكنه غيَّرَ رأيه. خرج من المطبخ حاملًا إبريقًا. انتهى الممر بباب ثقيل مرصع بفسيفساء خشبية. دخل بحذر، وفتح الباب بما يكفي ليندس في الداخل. كان المكان معتمًا، فوسع حدقتي عينيه. وجعَّد أنفه.

علقت في الهواء رائحة نبيذ حامض، وشموع، وفواكه مفرطة النضج. وكان ثمة شيء آخر يذكر بمزيج من عبق الليلك وعنب الثعلب.

نظر حوله. كانت الطاولة، في وسط الغرفة، محملة بميدان معركة حقيقي من الأباريق، والغرَّافات، والكؤوس، والأطباق والصواني الفضية، والأواني وأدوات المائدة المطعمة بالعاج. كان المنديل المجعَّد، المنزاح جانبًا، ملطخًا بالنبيذ، ومليئًا ببقع بنفسجية، وصلبًا من جراء الشمع الذي سال من الشمعدانات. وأشرقت قشور البرتقال، كأنها زهور بين نوى البرقوق والدراق، وعُنيقات الكمثرى، وسويقات العنب المقشورة. كانت ثمة كأس واحدة مقلوبة ومكسورة. وكأس أخرى سالمة، نصفها ممتلئ، ومنها برزت عظمة ديك رومي. إلى جانبها خف أسود ذو كعب عال. الخف مصنوع من جلد ثعبان

الباسيليق. لم يُعثَر على مادة خام أغلى منه ثمنًا، كان يمكن لها أن تستخدم في صناعة الأحذية.

كان الخف الآخر تحت كرسي، ألقي عليه، دونما اعتناء، ثوب أسود، مكشكش بحاشية بيضاء، ومطرز على نقش من الأزهار.

وقف جيرالت لحظة مترددًا، محاربًا الشعور بالحرج، وفي داخله رغبة في أن يرتدَّ على عقبيه ويخرج. لكن هذا الفعل كان سيعني أن الحارس، القابع في البهو، أخذ نصيبه من الضرب دون أي داعٍ. ولم يكن الويتشر يحب أن يفعل شيئًا لا داعي له. ثم لاحظ في زاوية الحجرة سلمًا حلزونيًّا.

وجد على درجاته أربع وردات بِيض ذابلات، ومنديلًا ملطخًا بنبيذ، وأحمر شفاه قرمزيًّا. وتصاعدت رائحة الليلك وعنب الثعلب.

كان الدرج يفضي إلى غرفة نوم، غطت أرضيتها قطعة جلد كبيرة، مكسوة بالشعر. وُضِعَ عليها قميص أبيض، له كفف مخرمة، وأكثر من عشر وردات بيض. وجورب نسائي أسود.

تدلى جورب ثانٍ من أحد الأعمدة الأربعة المنحوتة، التي تسند المظلة المقبَّبة فوق التخت. صوَّرت منحوتات الأعمدة الحوريات، وكائنات الفون، في وضعيات مختلفة. وكانت بعض الوضعيات مثيرة. وبعضها مضحك ببلاهة. وثمة الكثير من التكرار. هذا عمومًا.

تنحنح جيرالت بصوت عالٍ، ناظرًا إلى اللُّبَد السود الكثيرة، التي كانت ترى من أسفل لحاف البروكار الدمشقي. تحرك اللحاف وأنَّ. تنحنح جيرالت بصوت أعلى كثيرًا.

سألت اللُّبَد السود الكثيرة سؤالًا لم يكن واضحًا: «بيو؟ هل أحضرتَ العصير؟».

- أحضرته.

ظهر من تحت اللبد السود وجه مثلث شاحب، وعينان بلون البنفسج، وشفتان ضيقتان ومعوجتان قليلًا.

اعوجت الشفتان أكثر: «أوووه. أوووه... سأموت من العطش».

- تفضلي.

https://t.me/fantazynov

جلست المرأة، وهي تخرج من تحت الملاءات. كانت ذراعاها جميلتين، وعنقها ناعمًا، حوله شريط مخملي أسود، عليه جوهرة نجمية متلألئة من الألماس. وما عدا الشريط المخملي لم تكن ترتدي شيئًا.

- أشكرك.

تناولت الكأس من يده، وشربت بشراهة، ثم رفعت يديها ولمست صدغيها. انزلق اللحاف أكثر. حوَّل جيرالت بصره عنها. بأدب ولكن على مضض.

سألت المرأة ذات الشعر الأسود، مغمضة عينيها ومغطية نفسها باللحاف: «من أنت بحق؟ ماذا تفعل هنا؟ أين بيرانت، بحق الجحيم؟».

- على أي سؤال، عليَّ أن أجيب أولًا؟

ندم فورًا على أنه تهكم. رفعت المرأة يدها، وأطلقت خطًّا ذهبيًّا من بين أصابعها. كان رد فعل جيرالت تلقائيًّا، إذ ضم كفيه راسمًا **علامة حجر الدم**، وأمسك بالتعويذة أمام وجهه تمامًا، لكن تفريغ الشحنة كان قويًّا إلى درجة أنه دفع به خلفًا إلى الحائط. ووقع على الأرض.

صاح إذ رأى المرأة ترفع يدها من جديد: «لا داعي لذلك! يا سيدة ينيفر! أنا موجود هنا بدافع السلام، دون نيات شريرة!».

انبعث من جهة الدرج خبط أقدام، ولاحت شخوص الخدم عند باب غرفة النوم.

- سيدة ينيفر!

أمرتهم الساحرة بهدوء: «انصرفوا. ما عدت أحتاج إليكم. يُدفع لكم مقابل حراسة المنزل. ولما كان هذا الشخص تمكن من الدخول إلى هنا، فسأهتم به أنا نفسي. بلغوا عني هذا للسيد بيرانت. ومن أجلي، أرجو إعداد الحمام».

نهض الويتشر بصعوبة. راقبته ينيفر بصمت، مضيقة عينيها.

وأخيرًا تكلمت: «لقد صددتَ تعويذتي. أنت لستَ ساحرًا، هذا بيِّن. لكن رد فعلك كان استثنائيًّا في سرعته. قل، من أنت، أيها الغريب الموجود هنا بدافع السلام. وأنصحك، قل بسرعة».

- أنا جيرالت من ريفيا. أنا ويتشر.

انحنت ينيفر مائلة عن السرير، ماسكة الفون[1] المنحوت على العمود، من عضو من جسمه المشغول بطريقة لا بأس بها للتمكن من مسكه. التقطت من الأرضية معطفًا ذا ياقة من الفرو، دون أن تغض بصرها عن جيرالت. لفَّت نفسها به بإحكام، وقامت. صبت، غير مستعجلة، كوبًا آخر من العصير، وشربته جرعة واحدة، وسعلت، ثم اقتربت. دلَّك جيرالت عجزه الذي اصطدم منذ لحظة بالجدار اصطدامًا مؤلمًا.

كررت الساحرة، ناظرة إليه من خلال رموشها السود: «جيرالت من ريفيا. كيف وصلت إلى هنا؟ ولأي غرض؟ آمل أنك لم تؤذِ بيرانت؟».

- لا. لم أفعل ذلك. سيدة ينيفر، أحتاج إلى مساعدتك.

تمتمت، وهي تقترب منه أكثر، متلفعة بمعطفها بإحكام أشد: «ويتشر. وهو ليس أول ويتشر أراه من قرب، وحسب، بل أيضًا هو الذئب الأبيض الشهير، نفسه لا غير. قد سمعتُ كذا وكذا عنك».

- يمكنني تخيل ذلك.

تثاءبت، ثم دنت أكثر: «لا أعرف ما الذي تتخيله. هل تسمح؟».

لمست خده براحة يدها، قربت وجهها، وصوبت نظرها إلى عينيه. أطبق فكيه: «هل تتكيف حدقتاك تلقائيًّا مع الضوء، أم إنك أيضًا تستطيع تضييقهما، أو توسيعهما تبعًا لمشيئتك؟».

قال بهدوء: «ينيفر. لقد سرتُ إلى ريندي طوال اليوم دون توقف. انتظرتُ طوال الليل حتى تُفتَح البوابات. ضربتُ البواب الذي لم يسمح لي بالدخول، على يافوخه. أفسدتُ عليكِ نومكِ وهدأتكِ، بفظاظة، ودون تأدب. وكل ذلك لأن صديقي يحتاج إلى مساعدة، لا يستطيع أحد غيرك أن يقدمها. قدميها له، أرجوك، وبعد ذلك، إذا أردتِ، سنتحدث عن الطفرات والانحرافات».

تراجعت خطوة، عوجت فمها بطريقة بشعة.

- ما نوع المساعدة المقصود؟

- تجديد الأعضاء المشلولة عن طريق السحر. الحلق والحنجرة والحبال الصوتية. هذا شلل يبدو أنه ناجم عن ضباب أرجواني. أو ما يشبهه كثيرًا.

---

(1) الفون: كائن ميثولوجي خيالي نصف إنسان ونصف معزة.

كررت: «يشبهه. باختصار، لم يكن الضباب الأرجواني هو الذي شلَّ صديقك بفعل السحر. إذن، فما هو؟ هيا قل، فأنا وقد انتزِعْتُ من النوم في وقت الفجر، ليست لديَّ القوة، ولا الرغبة لسبر عقلك».

- هممم... سيكون من الأفضل أن أبدأ من البداية...

قاطعته: «أوه، لا. إذا كان الأمر معقدًا إلى هذا الحد، فتوقف قليلًا. فطعم الفم السيئ، والشعر غير الممشط، والجفنان الملتصقان بالقذى، وغيرها من المنغصات الصباحية تحد بشدة من قدراتي الإدراكية. انزل إلى الحمَّامِ في القبو. سأكون هناك بعد لحظات، عندئذ ستروي لي كل شيء».

- ينيفر، لا أريد أن أكون ملحاحًا، لكن الوقت يمضي. صديقي...

قاطعته بحدة: «جيرالت. نهضتُ من السرير من أجلك، ولم أكن أنوي فعل ذلك، قبل موعد جرس الظهر. أنا مستعدة للتخلي عن وجبة الإفطار. أتعرف لماذا؟ لأنك أحضرتَ لي عصير التفاح. كنتَ مستعجلًا، فقد شغلت رأسك معاناة صديقك، واقتحمتَ هذا المكان بعنف، ضاربًا الناس على يوافيخهم، ومع ذلك فكرتَ في امرأة عطشى. لقد كسبتني بهذا، وليس مسَتبعدًا أنني سأساعدك. لكنني لن أتخلى عن الماء والصابون. اذهب. أرجوك».

- حسنًا.

- جيرالت.

توقف عند العتبة: «نعم».

- اغتنم الفرصة واستحم أنت أيضًا. فإني أستطيع من خلال رائحتك، أن أخمِّن ليس فقط سلالة حصانك وعمره، بل لونه أيضًا.

4

دخلَت الحمام في الوقت الذي كان فيه جيرالت يسكب الماء، من سطل، على نفسه، وهو جالس عاريًا على كرسي صغير. تنحنح وأدار لها ظهره باستحياء.

قالت، وهي تلقي ما في ملء يديها، من ملابس، على المشجب: «لا تتحرج. أنا لا يُغمى عليَّ عند رؤية رجل عارٍ. تقول صديقتي أتريس مِريجولد: إذا رأيتِ واحدًا، فقد رأيتِ الجميع».

وقف، وقد لفَّ منشفة على وركيه.

ابتسمت ينيفر ناظرة إلى صدره: «ندبة جميلة. ماذا كان أمرها؟ هل سقطتَ تحت المنشار في المنشرة؟».

لم يجب. استمرت الساحرة في التحديق إليه، وهي تميل رأسها بغنج.

- أول ويتشر أتمكن من تأمله من قرب، وذلك وهو عارٍ، كما ولدته أمه. أوه!

انحنت إلى الأمام، وأصاخت: «أسمع قلبك. إيقاعه بطيء جدًّا. هل يمكنك التحكم في إفراز الأدرينالين؟ آه، اعذرني عن فضولي المهني. أنت، كما يبدو لي، حساس إلى حد الغرابة، حين يتعلق الأمر بخصائص جسمك. لقد اعتدتُ وصف هذه الخصائص بكلمات أكرهها كثيرًا، ووقعتُ في سخرية مثيرة للشفقة أكرهها أكثر».

لمْ يُجب.

فعلت ينيفر حركة، كما لو أنها أرادت بها خلع معطفها، ثم ترددت: «حسنًا، ذلك يكفي. سيبرد حمَّامي. أنا سأستحم، وأنت ستتحدث. سنوفر الوقت. لكن... لا أريد أن أحرجك، وبالإضافة إلى ذلك، فإننا لا يكاد أحدنا يعرف الآخر. وبعد، ومن باب الاحتشام...».

اقترح بتردد: «سأدير ظهري».

- لا. لا بدَّ لي أن ترى عيني من أتحدث إليه. لدي فكرة أفضل.

سمع تعويذة منطوقة، وأحس برجفة ميداليته، ورأى معطفًا أسود ينزلق بخفة على الأرضية. ثم سمع بقبقة ماء.

قال: «أنا الآن لا أرى عينيك يا ينيفر. يا للخسارة».

نفخت الساحرة غير المرئية، ثم تلاطمت في الطست.

- تحدَّثْ.

انتهى جيرالت من مصارعة سرواله المشدود تحت المنشفة، وجلس على المقعد. راح يسرد مغامرته عند النهر، وهو يشبك أبازيم حذائه، مختصرًا وصف القتال مع سمكة القرموط إلى الحد الأدنى. لم تبدُ ينيفر كشخص، يمكن أن يهمه صيد السمك.

عندما وصل إلى اللحظة التي طلع فيها مخلوق السحاب من الإبريق، سكنت الإسفنجة الكبيرة التي تغسل بالصابون تلك التي لا ترى.

سمع: «ياه، ياه. هذا مثير. الجني محبوس في قارورة».

لم يوافق: «أي جني هذا. لقد كان شيئًا من الضباب الأرجواني. إنه نوع جديد، غير معروف...».

قالت ينيفر غير المرئية: «نوع جديد، وغير معروف، يستحق أن يسمى باسم ما. الجن اسم ليس أسوأ من غيره. تابع من فضلك».

أطاعها. كانت رغوة الصابون في الطست تزبد بعناد، في أثناء توالي سرد القصة، وطاف الماء على الحافة. لفت نظره شيء ما، في لحظة ما. دقق النظر بانتباه، ولاحظ خطوطًا وأشكالًا، أظهرها الصابون الذي يغطي تلك التي لا ترى. استلبته تلك الخطوط والأشكال، لدرجة أنه أمسك عن الكلام.

حثَّه صوت قادم من العدم من فوق الخطوط: «احكِ. ماذا كان بعد ذلك؟».

قال: «هذا كل شيء. لقد طردتُ، كما تقولين، ذاك الجني...».

- كيف تم ذلك؟

ارتفع الطاس، وانصبَّ الماء. اختفى الصابون، وكذلك الأشكال. تنهد جيرالت.

قال: «بتعويذة. وبتعبير أدق، بوسيلة طرد الأرواح الشريرة».

- أي واحدة؟

صب الطاسُ الماءَ من جديد. أخذ الويتشر يراقب حركات الطاس من كثب، لأن الماء أيضا أظهر، ولو في لحظات قصيرة، هذا وذاك. كرر التعويذة، حسب مبدأ الأمان، مستبدلًا صوت الحرف «e» بشهيق. ظن أنه سيبهر الساحرة بمعرفته هذا المبدأ، لكنه استغرب إذ سمع ضحكًا جنونيًّا انطلق منبثقًا من الطست.

- ما المضحك في هذا؟

طارت المنشفة من الدِّسَار، وراحت تمسح بعنف بقايا الخطوط: «طرد الأرواح الشريرة، هذا الطرد... إتريس ستنفجر من الضحك حتى البكاء، حين أخبرها عن هذا! من علمك ذلك أيها الويتشر؟ تلك... التعويذة؟».

- إحدى الكاهنات من معبد هولدرا. إنها لغة سرية تخص المعبد...

- هي سرية للبعض، وللبعض الآخر ليست كذلك.

صفقت المنشفة طرف الطشت، وتناثرت قطرات الماء على الأرضية، وأبرزت آثار القدمين العاريتين خطوات الساحرة: «إنها لم تكن تعويذة، يا جيرالت. ولا أنصحك بتكرار هذه الكلمات في المعابد الأخرى».

سأل، وهو يرقب كيف يشكل الجوربان الأسودان، واحدًا تلو الآخر، ساقين رشيقتين من الهواء: «إن لم تكن تعويذة، فماذا كانت إذن؟».

التصق السروال الداخلي المكشكش على العدم بطريقة مثيرة جدًّا: «قول فيه دعابة. مع أنه غير منضبط بعض الشيء».

رفرف قميص أبيض، له ياقة كبيرة على شكل زهرة، إلى الأعلى وأحدث أشكالًا. لم ترتدِ ينيفر، كما لاحظ الويتشر، أيًّا من تفاهات البالين -عظْمة الحوت- التي عادة ما تستخدمها النساء. لم تكن تحتاج إليها.

سأل: «أي قول؟».

- دعك من هذا.

انطلقت فلينة من قارورة كريستالية، رباعية الأضلاع، موضوعة على المقعد. وعبقت رائحة الليلك وعنب الثعلب في الحمَّام. خطَّت الفلينة عدة لفات، واستقرت في المكان المطلوب. زرَّرت الساحرة كُفُف قميصها، وشدَّت فستانها، وتجسدت مادة.

- زرِّر لي الثوب.

أدارت ظهرها، وهي تمشط شعرها بمشط من عظم درقة السلحفاة. وكان للمشط، كما لاحظ، نتوء طويل وحاد، يمكنه أن يحل محل الخنجر بنجاح، إذا لزم الأمر.

زرَّر ثوبها ببطء متعمد، عروة تلو أخرى، مستمتعًا برائحة شعرها المتساقط شلالًا أسود، حتى منتصف ظهرها.

قالت ينيفر، وهي تعلق قرطيها الماسيين في أذنيها: «عودة إلى مخلوق القارورة، فمن الجلي أن 'تعويذتك' المضحكة، ليست هي التي أرغمته على الهرب. والأقرب إلى الحقيقة تبدو فرضية أنه أفرغ غضبه على رفيقك وهرب، وقد شعر بالملل، ببساطة».

وافق جيرالت بكآبة: «من المحتمل. لأنني لا أظن أنه طار إلى سيدارِس لقتل فالدو ماركس».

- من هو فالدو ماركس؟
- تروبادور، ويرى أن رفيقي، وهو شاعر وموسيقي أيضًا، عديم موهبة يخضع لذوق الغوغاء.

استدارت الساحرة، وفي عينيها البنفسجيتين لمعان غريب.

- وهل لحق صديقك أن يتمنى أمنية؟
- نعم، أمنيتين. كلتاهما غبيتان غباءً شنيعًا. لمَ تسألين؟ أصلًا هذا هراء بيِّن، أن الأمنيات يحققها العباقرة، والجان، وأرواح المصباح...

كررت ينيفر مبتسمة: «هراء بيِّن. طبعًا. إنه اختلاق، تخريف لا معنى له، مثله مثل كل الأساطير التي تحقق الأرواح الطيبة والعرافات فيها الأمنيات. مثل هذه الخرافيات اختلقها السذج من الفقراء البسطاء الذين لا يستطيعون حتى أن يحلموا بإشباع أمانيهم، ورغباتهم الكثيرة، خلال مسيرة أعمالهم الخاصة. يسرني أنكَ لستَ واحدًا منهم، يا جيرالت من ريفيا. وبذلك أنت أقرب إليَّ روحيًّا. إني عندما أرغب في شيء ما، لا أحلم، لكني أفعل. وأحصل دائمًا على ما أريد».

- لا أشك في ذلك. هل أنتِ جاهزة؟
- جاهزة.



ربطت الساحرة رباطيْ حذائها، ووقفت. حتى وهي على العقبين الطويلتين، لم تكن طويلة طولًا فارعًا. هزت شعرها، الذي احتفظ، كما قال، بفوضى مشهدية رائعة، وجامحة، ومتموجة، على الرغم من تمشيطه العنيد.

- لديَّ سؤال، يا جيرالت. الختم الذي كان يسد القارورة... هل ما زال لدى صديقك؟

فكر الويتشر. لم يكن الختم لدى ياسكير، بل لديه هو. معه. لكن الخبرة علمته أن السحرة يجب أن لا يقال لهم أكثر من اللازم.

ضللها في أمر سبب تأخره في الرد: «هممم... أظن ذلك. نعم، ربما الختم لديه. وماذا؟ هل هو مهم؟».

قالت بحدة: «سؤال غريب من ويتشر مثلك، مختص في الفظاعات الخارقة للطبيعة. وكان على شخص مثلك أن يعرف أن مثل هذا الختم مهم بما يكفي لعدم لمسه. وعدم السماح لصديقك أن يلمسه».

أطبق فكيه. كانت الضربة دقيقة.

غيرت ينيفر نبرتها فصارت ألين بكثير: «حسنًا. لا يوجد بشر معصومون، ولا يوجد أيضًا ويتشريون معصومون، كما نرى. يمكن لأي شخص أن يخطئ. طيب، وإذن، يمكننا الذهاب. في أي مكان رفيقك؟».

- هنا في ريندي. في منزل إرديل. هو إلفي.

نظرت إليه بإمعان.

كررت، معوجة شفتيها ببسمة: «عند إرديل؟ أعرف أين هو. وكما أفترض، فابن عمه شريدان موجود هناك أيضا؟».

- هذا صحيح. وماذا...

- لا شيء.

قاطعته، ورفعت يديها، ثم أغمضت عينيها. خفقت الميدالية على رقبة الويتشر، فشد السلسال.

لمع الخط المضيء على جدار الحمام الرطب، شبيهًا بالباب الذي تكور في إطاره العدم الحليبي، ذو الوميض الفسفوري.

شتم الويتشر بصمت. لم يكن يحب البوابات السحرية والسفر بمساعدتها.

تنحنح: «هل علينا... المكان ليس بعيدًا...».

قطعت كلامه: «لا يمكنني السير في شوارع هذه المدينة. إنهم لا يستسيغونني هنا، يمكن أن يشتموني، ويرموني بالحجارة، وربما بشيء أسوأ. هنا يفسد سمعتي بفعالية بضعة أشخاص، معتقدين أنهم يفعلون ذلك دون عقاب. لا تخف، بواباتي آمنة».

كان جيرالت شاهدًا، في وقت مضى، على طيران نصف أحد المشاة، عبر بوابة آمنة. ولم يُعثر على النصف الآخر منه قطُّ. كان يعرف عدة حالات دخل فيها شخص البوابة، ولم يسمع عنه شيء بعد ذلك.

رتبت الساحرة شعرها مرة أخرى، وثبتت على حزامها صرة مطرزة باللآلئ. بدت الصرَّة صغيرة جدًّا، إلى حد أنها لا يمكنها أن تسعَ حمل أي شيء سوى حفنة من النقود النحاسية، وأحمر الشفاه، بيد أن جيرالت كان يعلم أن هذه الصرَّة ليست عادية.

«احضنِّي. أقوى، أنا لست من خزف. لنذهب!».

اهتزَّت الميدالية، ومض شيء ما، ثم وجد جيرالت نفسَه فجأة، في عدم أسود، في برد قارس. لم يرَ شيئًا، لم يسمع شيئًا، لم يشعر بشيء. كان البرد الشيء الوحيد الذي سجلته حواسه. أراد أن يشتم، لكنه لم يلحق.

5

قلب شريدان الساعة الرملية الموضوعة على الطاولة: «مرت ساعة منذ أن دخلتْ إلى هناك. بدأتُ أقلق. تُرى، هل كان حلقُ ياسكير بهذه الدرجة من السوء؟ ألا تعتقد أننا يجب أن نلقي نظرة هناك في الأعلى؟».

- من الواضح تمامًا أنها لم تكن تتمنى ذلك.

أنهى جيرالت شرب ما في كوبه من شراب الأعشاب، مكشرًا تكشيرة لا رحمة فيها. كان يقدر الإلفيين المستقرين، ويحبهم لذكائهم، ورباطة جأشهم، وروح الدعابة الخاصة لديهم، بيد أنه لم يفهم ولم يشاطرهم ما تستمرئ أذواقهم من طعام وشراب.

- لا أنوي إزعاجها، يا شريدان. السحر يتطلب وقتًا. فليستمر الأمر ولو يومًا كاملًا، المهم أن يتعافى ياسكير.

- حسنًا، أنت على صواب.

تردد صوت دقدقة المطارق من الغرفة المجاورة. كان إرديل، كما اتضح، يعيش في بيت مهجور، اشتراه، وكان ينوي تجديده، والمكوث فيه مع زوجته، وهي إلفية هادئة وقليلة الكلام. انضم الفارس فراتِمير إلى جلسة الصحب، بعد قضاء الليلة معهم في المحرس، وعرض من تلقاء نفسه المساعدة في أعمال التصليحات. شرع، مع الزوجين، في العمل على تجديد الألواح الخشبية، ما إن هدأ الارتباك الناجم عن الظهور المفاجئ، والباهر، للويتشر وينيفر، قافزيْن من الحائط بوميض البوابة.

تابع شريدان: «حتى أكون صادقًا، لم أكن أتوقع أن يتم الأمر بهذه السهولة بالنسبة إليك. ينيفر لا تنتمي إلى صنف الأشخاص شديدي العفوية، حين يتعلق الأمر بالمساعدة. متاعب الأقرباء لا تستثيرها كثيرًا، ولا تعكر صفو نومها. وباختصار، لم أسمع عنها قط أنها ساعدت أحدًا دون أن تكون لها منفعة. أتساءل، ما المصلحة التي تبتغيها من مساعدتك أنت وياسكير».

ابتسم الويتشر: «ألا تبالغ؟ لم تترك لديَّ انطباعًا سيئًا إلى هذا الحد. التعالي، نعم، هي تحب أن تتمظهر، لكنها مقارنة بالسحرة الآخرين، مع كل هذه العصابة المتغطرسة، تمثل نعمة جارية، وأريحية متجسدة».

ابتسم شريدان أيضًا.

قال: «هذا يشبه إلى حد ما، أن تعتقد أن العقرب أجمل من العنكبوت، لأنه يمتلك ذيلًا بديعًا كهذا. انتبه، يا جيرالت. أنتَ لستَ أول من يحكم عليها بهذه الطريقة، من دون دراية أنها جعلت من النعمة والجمال سلاحًا. آلة حرب تستخدمها بمهارة بالغة، ودون ندم. هذا طبعًا لا ينتقص من حقيقة أنها امرأة فاتنة، ذات جمال. لا تنكر هذا، أليس كذلك؟».

رمق جيرالت الإلفي رمقة خاطفة. بدا له، مرة ثانية، أنه لاحظ أثرًا لحمرة على وجهه. لقد أدهشه ذلك بما لا يقل عن دهشته من كلمات شريدان. لم يعتد الإلفيون الأقحاح أن ينبهروا بالنساء البشريات. حتى الحِسان منهنَّ. ومع أن ينيفر جذابة على نحو ما، لا يمكن عدها غاية في الجمال.

الأذواق أذواق، لكن في الواقع، قلة من الناس تصف الساحرات بأنهن حسناوات. فهنَّ جميعًا ينحدرن من دوائر اجتماعية، كان الزواج فيها قدر البنات الوحيد. ومن كان يظن أن يشير على ابنته بسنوات من الدراسة الشاقة، وتعذيبها بالتغيرات الجسدية حين كان يمكن تزويجها، وربطها بعلاقة أسرية حميدة؟ من كان يتمنى أن يكون له في عائلته ساحرة؟ ورغم الاحترام الذي كان يحظى به السحرة، لم تنل عائلة الساحرة أي فائدة منها، فقبل أن تكمل الفتاة تعليمها، لا يبقى شيء يربطها بالعائلة - وحدها الصحبة كانت الرابط الأساس. لذلك، فإن البنات اللواتي انعدمت فرصهنَّ للعثور على زوج، صرن ساحرات حصرًا.

كان السحرة، على عكس الكاهنات والمتعبدات، اللائي كنَّ يأخذن، على مضض، الفتيات القبيحات أو المعوقات، كانوا يقبلون أي بنت تبدي ميلًا واستعدادًا. أما إذا مر طفل عبر غربال السنوات الأولى من اكتساب الخبرة، دخل السحر - الذي يعدِّل الساقين ويقوِّم اعوجاجهما، ويصلح العظام المتلاصقة التصاقًا رديئًا، ويرقع الشفاه الأرنبية، ويزيل الندوب، وبقع وآثار ما بعد الجدري. أخذت الساحرة الشابة تصير «جذابة»، لأن وجاهة مهنتها كانت تتطلب ذلك. وكانت النتيجة بروز النساء ذوات الجمال الكاذب، اللواتي أعينهنَّ شريرة وباردة كأعين القبيحات. القبيحات اللائي لا يقدرن أن ينسين بشاعتهن المحجوبة بقناع سحري، والمخفية لا من أجل إسعادهنَّ، بل من أجل وجاهة المهنة، وحسب.

لا، لم يفهم جيرالت شريدان. عيناه، العينان الويتشريتان، سجلتا تفاصيل كثيرة جدًّا.

وأجاب عن السؤال: «بلى، يا شريدان. أنا لا أنكر. وأشكرك أيضًا على التحذير. لكن المقصود هنا ياسكير، لا أحد غيره. قد عانى معي وبحضوري. لم أنجح في إنقاذه، ولم أستطع مساعدته. لو أني أعلم أن جلوسي على عقرب سيشفيه، لجلست عليها عاري المؤخرة».

ابتسم الإلفي بغموض: «هذا تحديدًا ما يجب أن تحترس منه. لأن ينيفر تعرف ذلك، وتحب استغلال هذه المعرفة. لا تثق بها، يا جيرالت. إنها خطرة».

لم يُجب.

انبعث من الباب في الأعلى صرير. وقفت ينيفر عند الدرج مستندة إلى درابزين الرواق.

- ويتشر، أيمكنكَ المجيء إلى هنا لحظة؟

- طبعًا.

أسندت الساحرة ظهرها إلى باب إحدى الغرف القليلة، المؤثثة تأثيثًا معقولًا، حيث وُضِعَ التروبادور الذي كان يعاني. اقترب الويتشر، وهو يتطلع بصمت. رأى كتفها اليسرى أعلى قليلًا من اليمنى. أنفها طويل أكثر بقليل مما يجب. فمها أضيق نوعًا ما مما يجب. ذقنها متراجع أزيد قليلًا مما يجب. حاجباها قليلَا الانتظام إلى حد كبير. عيناها...

رأى تفاصيل كثيرة جدًّا. غير ضرورية إطلاقًا.

- ماذا عن ياسكير؟

- أتشك في قدراتي؟

استمر في التطلع. كان قدُّها قدَّ فتاة في سن العشرين، مع أنه فضَّل أن لا يخمن عمرها الحقيقي. تحركت برشاقة طبيعية غير مفتعلة. لا، لا سبيل للتخمين كيف كان حالها من قبل، وما حُسِّن فيها. توقف عن التفكير في هذا الأمر، فلم يكن له أي معنى.

قالت: «صديقك الموهوب سيكون بخير. سوف يستعيد قدراته الصوتية».

- لك امتناني، يا ينيفر.

ابتسمت.

- ستسنح لك الفرصة لإظهار ذلك.

- هل يمكنني الدخول هناك لرؤيته؟

صمتت لحظة، وهي تراقبه بابتسامة غريبة، قارعة بأصابعها إطار الباب.

- طبعًا. ادخل.

بدأت الميدالية على رقبة الويتشر تهتز اهتزازًا حادًّا وإيقاعيًّا.

شخصت في النقطة المركزية من الأرضية كرة زجاجية، بحجم بطيخة صغيرة، تشتعل بضوء حليبي. كانت الكرة تحدد قلب نجمة تساعية، مرسومة بدقة، وبالغة بأضلاعها زوايا الحُجيرة وجدرانها. وفي داخل النجمة رسمت

نجمة خماسية، تشكلت بطلاء أحمر. وعُلِّمَت نهايات النجمة الخماسية بشموع سود تضمنتها شمعدانات غريبة الشكل. كانت الشموع السود تحترق أيضًا على اللوح الأمامي من السرير الذي كان يرقد عليه ياسكير مغطى بقطع من جلود الغنم. كان الشاعر يتنفس بهدوء، ولم يعد في صوته جُشَّة أو بُحَّة، واختفت تكشيرة الألم من وجهه، وحلَّت محلها ابتسامة بلهاء، مفعمة بالسعادة.

قالت ينيفر: «إنه نائم. ويحلم».

حدق جيرالت إلى الأنماط المعلَّمَة على الأرضية. كان السحر المخبأ فيها محسوسًا، لكنه كان يعلم أنه سحر نائم، وليس مستيقظًا. تصوره في مخيلته بما يشبه حشرجة أنفاس أسد ناعس، لكنه أعطاه فكرة عما يمكن أن يكون عليه زئير الأسد.

- ما هذا، يا ينيفر؟

- فخ.

- لمن؟

أدارت الساحرة المفتاح في القفل، وقلبته في راحة يدها. اختفى المفتاح: «لك، مؤقتًا».

نطق ببرود: «إذن، فقد وقعت في الأسر. وماذا الآن؟ أستنقضِّين على عفَّتي؟».

- لا تتفاخر.

جلست ينيفر على حافة السرير. ولم يزل ياسكير يبتسم ببلادة، وكان يئن بخفوت. هو أنين اللذة، دون شك.

- ماذا يجري هنا، يا ينيفر؟ إذا كانت هذه لعبة، فأنا لا أعرف قواعدها.

بدأت القول: «ذكرتُ لك أنني دائمًا أحصل على ما أرغب فيه. واتفقَ أنني رغبت في شيء يملكه ياسكير. سآخذه منه ونفترق. لا تخف، فلن يصيبه أي ضرر».

قاطعها: «العجائب التي صففتِها على الأرضية تستخدم لاستحضار الشياطين. وحيث تستدعى الشياطين، يصاب شخص ما بالأذى دائمًا. ولن أسمح بذلك».

تابعت الساحرة، دون أن تعيرَ كلماته انتباهًا: «...لن تسقط شعرة واحدة من رأسه. سيكون صوته أجمل مما كان، وسيكون راضيًا جدًّا، بل سعيدًا. سنكون جميعًا سعداء. وسنفترق دون أسف، بل ودون ضغائن أيضًا».

كان ياسكير يئن، دون أن يفتح عينيه: «آه، يا فيرجينيا. نهداك جميلان، أرقُّ من زغب البجعة... فرجينيا...».

- فقد عقله؟ إنه يهذي؟

ابتسمت ينيفر: «يحلم. أمانيه تتحقق في الحلم. تفحصتُ دماغه حتى قعره. لم يكن الكثير هناك. قليل من القذارات، أحلام عدة، والكثير من الشعر. دعك من هذا. الختم الذي كان يسد قارورة الجني، يا جيرالت. أعلمُ أنه ليس في حوزة التروبادور، لكنه عندك أنت. إني أطلبه منك».

- وما حاجتك إلى هذا الختم؟

ابتسمت الساحرة بغنج: «كيف أجيبك عن هذا السؤال؟ فلنجرب ربما هكذا: أنت لا دخل لك بهذا الخراء، أيها الويتشر. هل يرضيك هذا الجواب؟».

ابتسم مثلها، وببشاعة أيضًا: «لا. لا يرضيني. لكن لا توبخي نفسك بسبب ذلك، يا ينيفر. ليس سهلًا إرضائي. لم ينجح في ذلك، حتى الآن، سوى أولئك الذين وصلوا إلى مستوى أعلى من المتوسط».

- يا للخسارة. إذن، ستبقى غير راضٍ. أنت الخسران. الختم من فضلك. لا تفتعل تعابير على وجهك، لا تناسب نوع بشرتك ومظهرك. وإن لم تكن قد لاحظت، فاعلم أن سداد المعروف الذي تدين به لي، قد بدأ فعلًا. الختم هو القسط الأول من الثمن، مقابل صوت المغني.

قال ببرود: «أرى أنكِ قسمت الثمن على عدة أقساط. حسنًا. كان يمكنني توقع ذلك، وتوقعته. لكن فلتكن هذه التجارة نزيهة، يا ينيفر. أنا اشتريت مساعدتكِ. وأنا سأدفع».

حرفت شفتاها بابتسامة، لكنَّ عينيها البنفسجيتين ظلتا غير مغمضتين وباردتين.

- ينبغي أن لا يكون لديك أي شك، بخصوص ذلك، أيها الويتشر.

كرر: «أنا. وليس ياسكير. سآخذه من هنا إلى مكان آمن. بعد فعل ذلك، أعود، وأدفع القسط الثاني، وما بعده. أما ما يتعلق بالأول...».

مد يده إلى الجيب السري على خصره، وأخرج ختمًا نحاسيًّا عليه علامة من نجمة وصليب مكسور.

- تفضلي، خذي. ليس قسطًا. اقبليه من الويتشر برهانًا على الامتنان لأنك، وإن كنتِ تحسبين كيف تكسبين، قد عاملتِه بلطف أكثر مما كان سيفعل معظم صحبك. اقبليه برهانًا على الإرادة الطيبة، برهانًا ينبغي له أن يقنعكِ بأنني، بعد الاعتناء بسلامة صديقي، سأعود إلى هنا لأسدد الثمن. لم ألاحظ عقربًا بين الزهور، يا ينيفر. أنا مستعد لدفع ثمن إهمالي.

صالبت الساحرة ذراعيها على صدرها: «خطاب رائع. مؤثر ومهيب. خسارة أنه لا يجدي. أحتاج إلى ياسكير، وسيبقى هنا».

أشار جيرالت إلى الأشكال الكائنة على الأرضية: «لقد كان مرة قريبًا مما تسعين إلى بلوغه هنا. حينما تنتهين من العمل وتصلين إلى الجني هنا، ورغم وعودك، سيعاني ياسكير بالتأكيد، وربما أسوأ من ذي قبل. فأنتِ أساسًا تبتغين المخلوق الآتي من القارورة، أليس كذلك؟ تعتزمين إخضاعه، وإرغامه كي يخدمك؟ ليس عليك الإجابة، أعلم، أن لا دخل لي بهذا الخراء. فافعلي ما تشائين، واجلبي إليك هنا عشرة شياطين حتى. لكن دون ياسكير. إن عرضت ياسكير للخطر، فلن تكون هذه تجارة نزيهة، يا ينيفر، ولن يكون لديكِ الحق في المطالبة بأجر مقابل هذا. لن أسمح...».

توقف.

ضحكت الساحرة ضحكة خفيفة: «كنت أتساءل متى ستحس».

شد جيرالت عضلاته، وبذل جهدًا بكل ما أوتي من إرادة، مطبقًا فكيه إلى حد الألم. لم يساعده هذا في شيء. كان كمن أصابه الشلل، كتمثال حجري، كعمود مغروس في الأرض. لم يستطع تحريك ولو إصبعًا في حذائه.

قالت ينيفر: «علمت أنه يمكنك رد التعويذة التي تلقى عليك مباشرة. علمت أيضًا أنك قبل أن تهم بفعل أي شيء، ستحاول إبهاري بسحر بلاغتك. لقد كنت تحكي، والسحر المعلق فوقك يعمل حتى كسرك ببطء. الآن كل ما يمكنك فعله هو التحدث، وحسب. لكن ليس عليك إبهاري بعد الآن. أعلمُ أنك بليغ الكلام. المساعي التالية في هذا الاتجاه ستفسد فعَّاليتها الخاصة».

قال بجهد بالغ، مستمرًا في محاولته محاربة الشلل السحري: «شريدان... شريدان سيدرك أنك تضمرين شيئًا ما. سيدرك قريبًا، ستنتابه الشكوك في لحظة وشيكة، لأنه لا يثق بك، يا ينيفر. لم يثق بك منذ البداية...».

حركت الساحرة يدها بإيماءة واسعة. امَّحت جدران الحجرة، وأخذت قوامًا، ولونًا رماديًّا، باهتًا، موحدًا. اختفت الأبواب، اختفت النوافذ، اختفت حتى الستائر المغبرة، واللوحات التي لطخها الذباب على الجدران.

تجهمت بتكشيرة شريرة: «وماذا يعني أن يدرك شريدان الأمر؟ هل سيُهرَع لطلب المساعدة؟ لن يمر أحد عبر عقبتي. لكن شريدان لن يُهرَع إلى أي مكان، ولن يفعل شيئًا ضدي. أي شيء. إنه تحت تأثير سحري. لا، ليس المقصود فن السحر. لم أفعل شيئًا من هذا القبيل. إنها كيمياء الجسم العادية. لقد وقع في حبي، هذا الطبل الأحمق. ألم تعرفْ هذا؟ عزم حتى على تحدي بيو في مبارزة، هل يمكنك أن تتخيل؟ إلفي وغيور. نادرًا ما يحدث هذا. جيرالت، لم أختر هذا المنزل، هكذا دون سبب».

- بيو بيرانت، وشريدان، وإرديل، وياسكير. في الواقع، أنت تسيرين إلى هدفك بأيسر السبُل. لكنكِ لن تتمكني من استخدامي، يا ينيفر.

نزلت الساحرة عن السرير، واقتربت، متجنبة بحرص الإشارات والرموز المرسومة على الأرضية: «بل سأستخدمك، سأستخدمك. قد قلت لك إنك تدين لي بشيء مقابل علاج الشاعر. إنه شيء متواضع، خدمة صغيرة. بعد تحقيق ما أعتزم فعله الآن هنا، سأختفي من ريندي على الفور، ولا يزال لديَّ في هذه البلدة بعض...، دعنا نسميها، الفواتير غير المدفوعة. لقد تعهدتُ بأشياء لبضعة أشخاص هنا، وأنا أفي بوعودي دائمًا. لكن، لما كان الوقت لن يسعفني، ستفي أنت بهذه الوعود نيابة عني».

صارعَ، صارعَ بكل ما أوتي من قوة. دون فائدة.

ابتسمت بلؤم: «لا تكافح، أيها الويتشر الصغير. عبثًا تحاول. لديك إرادة قوية، وممانعة كبيرة للسحر، لكنك لا تستطيع أن تجاريني، وتجاري تعويذاتي. فلا تؤدي دورًا كوميديًّا أمامي. لا تحاول أن تسحرني برجولتك الصلبة والمغترَّة. أنت صلب، ومغتر فقط فيما يزين لك مخك. ستفعل أي شيء من أجلي، ودون تعاويذ السحر، كي تنقذ صديقك، ستدفع أي ثمن، وستلعق حذائي. وربما أيضًا شيئًا آخر، إن حلَّت فجأة بي الرغبة للتسلي».

ظل صامتًا. كانت ينيفر تقف أمامه، تبتسم وتلعب بنجمة من حجر السبج، متلألئة بالألماس، ومثبتة على الشريط المخملي.

تابعت: «قد عرفتُ ما تكون، وأنت ما زلتَ في غرفة نوم بيو، وبعد تبادلك بضع كلمات معه. وعرفت بأي عملة سأطلب منك أن تدفع. يمكن لأي شخص، حتى شريدان، تسديد فواتيري في ريندي، لكنك ستفعل ذلك، لأنك أنت من يتعين عليه الدفع. مقابل الاغترار المفتعل، مقابل النظرات الباردة، مقابل العينين الباردتين اللتين تأسران كل تفصيل، مقابل الوجه الحجري، مقابل نغمة كلامك التهكمية. مقابل التفكير في أنك يمكنك الوقوف وجها لوجه أمام ينيفر من فيجِنبِرج، والنظر إليها كمتعجرفة وعاشقة لذاتها كليًّا، وكمشعوذة تحسب كل شيء، وفي الوقت نفسه تحملق إلى ثدييها المغطيين بالصابون. ادفع، يا جيرالت من ريفيا!».

أمسكت شعره بكلتا يديها، وقبلته بعنف من شفتيه، وعضتهما مثل مصاص دماء. ارتعدت الميدالية على رقبته، وتشكل انطباع عند جيرالت بأن السلسال راح ينكمش، ويضيق عليه ككسارة الأعناق. ومضَ شيء في رأسه، وبدأ يطن في أذنيه طنين رهيب. لم يعد يرى عيني الساحرة البنفسجيتين، وغرق في الظلام.

ركع. كلَّمته ينيفر بصوت رقيق وناعم.

- هل تذكرتَ؟

- نعم، سيدتي.

كان هذا صوته نفسه.

- اذهب، إذن، ونفذ توصياتي.

- تحت أمرك، سيدتي.

- يمكنك تقبيل يدي.

- شكرًا، سيدتي.

شعر أنه يقترب منها على ركبتيه. عشرة آلاف نحلة طنت في رأسه. عبَّقت راحة يدها برائحة الليلك وعنب الثعلب. الليلك وعنب الثعلب... ليلك وعنب ثعلب... ومضة. ظلام.

الدرابزين والدرَج. وجه شريدان.

- جيرالت! ماذا بك؟ جيرالت، إلى أين؟
- يجب أن... -صوته نفسه- يجب أن أذهب...
- أيتها الآلهة! انظروا إلى عينيه!

وجه فراتِمير، المتجهم بالرعب. وجه إرديل. وصوت شريدان.

- لا! إرديل، لا! لا تلمسوه، ولا تحاولوا إيقافه! ابتعد عن الطريق، يا إرديل! افسح له الطريق!

رائحة الليلك وعنب الثعلب. الليلك وعنب الثعلب...

الباب. انفجار الشمس. الجو حار. مشبع بالبخار. رائحة الليلك وعنب الثعلب. العاصفة آتية، فكَّرَ.

وهذه كانت آخر فكرة لاحت له، وهو صاحٍ.

6

ظلام. رائحة...

رائحة؟ لا، نتانة. لخنُ بَوْلٍ، قشٌّ خمِج، وأسمال مبللة. نتانة مشعل مدخن، مثبت على حامل حديدي مُسمَّر في جدار من قطع طوب حجري غير متساوية. الظل الذي يلقيه المشعل، الظل الذي على أرضية مغطاة بالقش...

ظل الشبيكة.

أطلق الويتشر شتيمة.

أحس أن أحدًا يرفعه، متكئًا بظهره على الجدار المشبع بالرطوبة: «وأخيرًا. لقد بدأت أشعر بالقلق من أن مدة عودتك إلى وعيك قد طالت كثيرًا».

- شريدان؟ أين... اللعنة، رأسي ينفجر... أين نحن؟
- وماذا يتراءى لك؟

مسح جيرالت وجهه، وتلفت حوله. كان ثلاثة أشخاص، عليهم أسمال ممزقة، يجلسون عند الحائط المقابل. لم يرهم بوضوح، إذ كانوا قاعدين في

أبعد مكان عن ضوء المشعل، في ظلام يكاد يكون مطبقًا. تحت الشبيكة، التي كانت تفصلهم عن الممر المضاء، ربضَ شيء بدا من مظهره، أنه ليس إلا كومة من الأسمال. في الواقع، كان ذلك الشيء شيخًا هزيلًا، له أنف مثل منقار اللقلق. يشي طول شعره الملتف كقرون، وحال ملابسه، إلى أنه يقيم هنا ليس منذ البارحة.

صرَّح بكآبة: «لقد ألقوا بنا في زنزانة».

قال الإلفي: «أنا سعيد لأنك استعدت قدرتك على استخلاص استنتاجات منطقية».

- يا لعنة الوباء... وياسكير؟ كم مضى على مكوثنا هنا؟ كم من الوقت انقضى منذ...

التقط شريدان قشة، وجلس بطريقة مريحة: «لا أعلم. مثلي مثلك، كنت فاقدًا حواسي عندما ألقي بي هنا. هل هذا مهم؟».

- ويا له من مهم، اللعنة. ينيفر... وياسكير. ياسكير هناك معها، وهي تخطط... هيه، أنتم هناك! منذ متى حبسونا هنا؟

تهامس ذوو الأسمال الممزقة فيما بينهم. ولم يجب أحد.

بصق جيرالت، ولا يزال غير قادر على طرد طَعم المعدن من فمه: «هل أصابكم الصمم؟ أسألكم، في أي وقت نحن الآن من النهار؟ أم من الليل؟ أظن أنكم تعرفون متى يأتون لكم بالطعام؟».

همهم ذوو الأسمال الممزقة مجددًا، وتنحنحوا.

أخيرًا، قال أحدهم: «أيها السادة. اتركونا بسلام، ولا تتحدثوا إلينا، لو تكرمتم. نحن لصوص محترمون، ولسنا من السياسيين. لم ننقلب على السلطة. نحن كنا نسرق فقط».

قال الثاني: «نعم. لديكم ركنكم، ولدينا ركننا. وليهتم كل بنفسه».

شخر شريدان. وبصق الويتشر.

غمغم الشيخ غير الحليق، ذو الأنف الطويل: «نعم هو كذلك. كل شخص في السجن يحرس ركنه، ويقف في صف صحبه».

سأل الإلفي باستهزاء: «وأنت، يا جَدُّ، هل تقف معهم أم معنا؟ في أي مجموعة تعد نفسك؟».



قال الجُدَيْد باعتزاز: «ولا في مجموعة. لأنني بريء».

بصق جيرالت مجددًا.

سأل، وهو يمسِّد صدغه: «شريدان؟ بخصوص الانقلاب على السلطة... هل هذا صحيح؟».

- مُطلَقًا. لا تتذكر شيئًا؟

- خرجت إلى الشارع... تطلع إليَّ الناس... ثم... ثم كان ثمة حانوت...

خفض الإلفي صوته: «محل رهونات. دخلت محل الرهونات. حال دخولك، خبطتَ أسنان صاحب المحل. خبطة قوية. قوية جدًّا بالأحرى».

لاك الويتشر إحدى الشتائم بين أسنانه.

تابع شريدان بخفوت: «وقع المرابي. وقد ركلته أنت عدة مرات على أماكن جسده الحساسة. هُرِعَ غلام لإنقاذ رئيسه. ألقيت به من النافذة إلى الشارع رأسًا».

تمتم جيرالت: «أخشى أن الأمر لم ينتهِ عند هذا الحد».

- خَشيتكَ لها ما يسوِّغها. تركت متجر الرهونات، وسرت مستعرضًا في منتصف الشارع، تدفع المارة، وتصرخ متفوهًا ببعض الحماقات عن شرف السيدة. خلفك امتدَّ حشد كبير، كنت أنا ضمنه، وإرديل، وفراتمير. ومن ثم توقفتَ أنت أمام منزل الصيدلاني، منخار الغار، ودخلت إليه، وبعد هنيهة عدت إلى الشارع مجددًا، جارًّا منخار الغار من رجله. وقد ألقيت على الحشد شيئًا يشبه الخطاب.

- أي خطاب؟

- خلاصة القول، فإنك صرحتَ أن لا ينبغي للرجل الذي يحترم نفسه، أن يطلق حتى على الزانية المحترفة اسم عاهرة، لأن هذا الأمر دنيء، ومثير للاشمئزاز. وإن استخدام كلمة «عاهرة» في وجه امرأة لم توطأ قطُّ، ولم يُدفع لها المال مقابل ذلك قطُّ، أمر صبياني، ويستحق العقاب. وقد أعلنتَ العقوبة للجميع، فرادى وجماعات، أنها ستُنفَّذ على الفور، وستكون عقوبة تناسب تمامًا الصبي البغو. ضغطت رأس الصيدلاني بين ركبتيك، وخلعت سرواله، وجلدته على مؤخرته بالحزام.

- تكلم، يا شريدان، تكلم. لا توفر عليَّ كلماتك.

- لقد انهلت بالضرب على أليتيْ منخار الغار، ولم تدخر يديك، وكان الصيدلي يعوي، ويصرخ، ويعول، ويطلب المساعدة الإلهية والبشرية، ويتوسل الرحمة، بل إنه راح يعد بالصلاح، لكنك، كما بدا واضحًا، لم تصدقه. عندئذٍ، أسرع نحوك بضعة من الزعران المسلحين، الذين اصطلح في ريندي على تسميتهم بالحرس.

أومأ جيرالت برأسه: «وأنا، عندئذ هاجمتُ السُّلطة؟».

- لا، يا رجل؟ لقد هاجمتَها قبل ذلك بكثير. إن المرابي ومَنخار الغار، كليهما عضو في مجلس المدينة. ولعل الشيء الذي سيثير اهتمامك، أنهما دعوا إلى طرد ينيفر من المدينة. ولم يكتفيا بالتصويت على ذلك في المجلس وحسب، بل ألهبا حنجرتيهما بالزعيق ضدها في الحانات، والتقوُّل عليها بطريقة وضيعة، لا طَعم لها.

- لقد خمنت ذلك منذ وقت طويل. تحدَّثْ. توقفتَ في كلامك عند حرس المدينة، الذين أسرعوا نحوي راكضين. أهُمْ من ألقوا بي في الزنزانة؟

- أرادوا ذلك. أوه، جيرالت، يا له من مشهد كان. من الصعب وصف ما فعلتَ بهم. كانت لديهم سيوف، وسياط، وهراوات، وفؤوس، وكل ما كان لديك عصا من خشب المُران بمقبض، استحوذت عليها من أحد المتأنقين. وعندما غدا الجميع مطروحين على الأرض، مضيتَ قُدُمًا. عرف معظمنا أين وجهتك.

- وأنا سأُسرُّ بمعرفة ذلك.

- توجهت إلى المعبد. لأن القس كريب، وهو أيضًا عضو في المجلس، خصَّص حيزًا كبيرًا لينيفر في خطبه. وأنت، في المحصلة، لم تُخفِ مطلقًا وجهة نظرك حول الكاهن. لقد وعدته بدرس في احترام الجنس اللطيف. ولقد تخطيت لقبه الرسمي، حينما كنت تتحدث عنه، لكنك أضفت صفات أخرى، أثارت حبورًا عظيمًا بين الأطفال، الذين انجرُّوا خلفك.

تمتم جيرالت: «آها. ثم وصل الأمر إلى التجديف. وماذا بعد؟ تدنيس المعبد؟».

- لا. لم تتمكن من الدخول إلى هناك. كانت أمام المعبد مجموعة كاملة من حرس المدينة تنتظر، مسلحة بكل ما كان موجودًا في ترسانة

https://t.me/fantazynov

السلاح، باستثناء المرجام، على ما أظن. بدا الأمر وكأنهم، ببساطة، سيجزرون بك. لكنك لم تصل إليهم. فجأة أمسكتَ رأسكَ بكلتا يديك، وفقدت الوعي.

- لستَ مضطرًّا إلى أن تكمل. لكن، كيف انتهى بكَ المطاف إلى الزنزانة، يا شريدان؟

- عندما وقعتَ، وثبَ عدد من الحراس لوخزك بالحراب. دخلتُ في جدال معهم. فضُرِبتُ على رأسي بدبوس، وثبتُ إلى رشدي هنا في الحفرة. لا شك أنهم سيتهمونني بأنني مشارك في مؤامرة معادية للإنسان.

صرَّ الويتشر أسنانه: «وإذ وصل الأمر بنا إلى الاتهام، فما الذي يهددنا، ما رأيك؟».

همهم شريدان: «إذا تسنى لرئيس البلدية، نيفيل، أن يعود من العاصمة، فمن يدري... أنا أعرفه. ولكن إن لم يسمح له الوقت، فسيصدر أعضاء المجلس، ومنهم طبعًا منخار الغار والمرابي، سيصدرون الحكم. وهذا يعني...».

رسم الإلفي إشارة قصيرة حول رقبته. وعلى الرغم من العتمة المخيمة على القبو، فقد تركت هذه الإيماءة مساحة صغيرة للتخمينات. لم ينبس الويتشر بكلمة. غمغم اللصوص بعضهم إلى بعض خلسة. بدا الجُدَيْد، المحبوس البريء، نائمًا.

وأخيرًا قال جيرالت، شاتمًا دون حرج: «رائع... لا يكفي أنني سأُشنَق، بل سيكون في ذهني أنني كنت السبب في موتك، يا شريدان. وربما ياسكير أيضًا. لا، لا تتوقف. أعلم أن ذلك من عمل ينيفر، لكنَّ الذنب ذنبي. بسبب حمقي. لقد خدعَتْني، وجعلَتْني، كما يقول الأقزام، مغفَّلًا».

همهم الإلفي: «هممم... لا أكثر، ولا أقل. لقد حذرتكُ منها. تبًّا لدم الكلب، قد حذرتكَ، وتبين لي أنني أيضًا أبله، عفوًا على التعبير، عظيم. أنت مهموم أنني قابع هنا بسببك، والأمر عكس ذلك تمامًا. أنت تقبع هنا بسببي. كان في إمكاني إيقافك في الشارع، وشل حركتك، ومنعك... لم أفعل ذلك. لأنني كنت خائفًا من أنك، عندما تنفك عنك التعويذة التي سحرتك بها، ستعود وتؤذيها. سامحني».

- أسامحك برحابة صدر. لأنك ليست لديك فكرة عن مدى قوة هذا السحر. أنا، عزيزي الإلفي، أكسر السحر العادي في بضع دقائق، ولا يُغمى عليَّ

وقتذاك. لم يكن بمقدوركم كسر سحر ينيفر، ومسألة شل حركتي، كان يمكن لها أن تسبب المتاعب لكم. تذكر ماذا حلَّ بالحرس.

- لم أكن أفكر فيك، أكرر الكلام. كنت أفكر فيها.

- شريدان؟

- نعم؟

- أنت... هل أنت...

قاطعه الإلفي، مبتسمًا بحزن: «أنا لا أحب الكلمات العظيمة. أنا بها، فلنقل، مفتون كثيرًا. لعلك تستغرب كيف يمكن للمرء أن يكون مفتونًا بمن مثلها؟».

أغمضِ جيرالت عينيه ليستحضر الصورة في ذاكرته. الصورة التي لسبب غير مفهوم، دعنا نُسمِّيها، متحاشين الكلمات العظيمة، فتنته.

قال: «لا، يا شريدان. أنا لا أستغرب».

انبعث من الممر خبط خطوات ثقيلة، وخشخشة معدن. ملأتِ الزنزانةَ ظلالُ أربعة حراس. طقطق المفتاح، ارتدَّ الشيخ البريء قافزًا من عند الشبيكة مثل وشق، واختبأ بين المجرمين.

دُهِشَ الإلفي: «أبهذه السرعة؟ ظننتُ أن إنشاء منصة المشنقة سيستغرق وقتًا أطول...».

أشار إلى الويتشر أحد الحراس، وهو مجند مشاة، أصلع كالركبة، وعلى وجهه لبدة حقيقة سميكة، من شعر خنزير بري.

قال باختصار: «هذا».

أمسك اثنان آخران بجيرالت، وشدَّاه بوحشية، وضغطاه على الجدار. انحشر اللصوص في ركنهم، ودسَّ الجُديْد، ذو الأنف الطويل، نفسه بين القش. أراد شريدان القيام، لكنه سقط على الأرضية، وهو يتراجع أمام حد الحسام المقترب من صدره.

وقف الحارس الأصلع أمام الويتشر، شمر عن أكمامه، ودلك قبضته.

قال: «قد أوصى السيد عضو المجلس، منخار الغار، أن نسألك أكانت أحوالك جيدة، عندنا في الزنزانة. ربما ينقصك شيء ما؟ ربما يضايقك البرد؟ ها؟».

لم يرَ جيرالت أن الإجابة عن الأسئلة أمر هادف. لم يكن في إمكانه أيضًا أن يركل الأصلع، لأن الحارسين اللذين أمسكا به كانا يدوسان قدميه ببسطاريهما الثقيلين.

تمايل الأصلع بحركة قصيرة، ولكمه على بطنه. لم يساعد شدُّ العضلات الدفاعي جيرالتَ. جيرالت الذي التقط أنفاسه بمشقة، راح يراقب إبزيم حزامه بعض الوقت، وبعد ذلك اندفع الحراس لشده مجددًا.

تابع الأصلع، نافثًا رائحة بصل، وأسنان فاسدة: «ألا تحتاج إلى شيء؟ سيسر السيد عضو المجلس، أنك لا تشكو شيئًا».

الضربة التالية، على المكان ذاته. اختنق الويتشر، وكاد يتقيأ، لكن لم يكن ما يمكن قذفه من فمه. استدار الأصلع جانبًا. غير يده.

طاخ! نظر جيرالت مجددًا إلى إبزيم حزامه. مع أن الأمر قد بدا غريبًا، فلم يكن في الأعلى ثقب، يمكن أن يضاء من خلاله الجدار.

تراجع الرجل الأصلع بعض الشيء، طبعًا من أجل أن ينفذ حركة كبرى: «وإذن؟ ليست لديك أي أمنيات؟ أوصى السيد منخار الغار أن نسألك أكان لديك شيء منها. لكن، لمَ لا تنطق بشيء؟ هل لسانك عُقِدَ بعقدة؟ سأحلها في الحال!».

طاخ!

لم يفقد جيرالت وعيه هذه المرة أيضًا. وكان يجب أن يفقد وعيه، لأنه كان يعوِّل على أعضائه الداخلية قليلًا. ولكي يفقد وعيه، كان عليه أن يجبر الأصلع على...

بصق الحارس، مبرزًا أسنانه، ودلَّك قبضته مجددًا.

- وإذن؟ لا أمنيات؟

تأوه الويتشر، رافعًا رأسه بصعوبة: «أمنية واحدة... أن تنفجر يا ابن العاهرة».

صرَّ الأصلع أسنانه، تراجع إلى الوراء وتمايل، هذه المرة، بما يوافق خطة جيرالت، قاصدًا ضربه على الرأس. لكن الضربة لم تتم. فجأة، قرقر الحارس مثل ديك رومي، واحمرَّ، ثم أمسك بطنه بكلتا يديه، وعوى، وزعق من الألم... وانفجر.

7

- وماذا سأفعل بكما؟

قطع شريط البرق، بسطوعه الباهر، السماء التي كانت قد أظلمت خلف النافذة، وانبعث قصف رعد حاد ومديد، بعد لحظة قصيرة. وازداد الوابل قوة، إذ كانت السحابة الرعدية تجري فوق ريندي.

أُجلِسَ جيرالت وشريدان على أريكة تحت سجادة جدارية كبيرة، تصور المتنبئ ليبيودا وهو يرعى الغنم، وكانا صامتين، منكِّسَي الرأس بتواضع. كان رئيس البلدية، نيفيل، يذرع بخطاه الغرفة، وهو يهدر، ويلهث، بغضب.

صرخ فجأة، وقد توقف: «أنتما، أيها اللعينان، يا ساحرَي الخراء! وضعتما نصب أعينكما مدينتي هدفًا، أم ماذا؟ ألا توجد مدن أخرى في العالم، أم ماذا؟».

ظل الإلفي والويتشر صامتين.

اختنق رئيس البلدية بحنقه: «أن يُفعل شيء من هذا القبيل... أن يصير الخفير، حامل المفتاح... كالطماطم! يُمعس معسًا! ليكون عجينة حمراء! إنه عمل غير إنساني!».

كرر الكاهن كريب، الذي كان حاضرًا في القاعة الرسمية بمبنى البلدية: «فعل غير إنساني، وغير تقيٍّ. غير إنساني إلى درجة أن أي أحمق سيخمن من يقف خلفه. نعم، حضرة رئيس البلدية. كلانا يعرف شريدان، وهذا الشخص، الذي يدَّعي أنه ويتشر، لم يكن لديه ما يكفي من **القوة** للتعامل مع الخفير، حامل المفاتيح، بهذه الطريقة. كل هذا من عمل ينيفر، تلك المشعوذة التي عليها لعنة الآلهة!».

زمجر الرعد خلف النافذة، وكأنه يؤكد كلام الكاهن.

تابع كريب: «إنها هي، لا أحد غيرها. هذا ما لا يمكن دحضه. فمن، إن لم تكن ينيفر، يريد أن ينتقم من عضو المجلس منخار الغار؟».



قهقه رئيس البلدية فجأة: «ها، ها، ها. هذا تحديدًا هو أقل ما يغضبني. لقد حفر لي منخار الغار حفرة، وكان ينوي انتزاع منصبي. أما الآن، فلن يجد من يسمعه ويحترمه من الناس. وسيظلون يتذكرون ما تلقته مؤخرته...».

عبس كريب: «كل ما ينقصكم، هو أن تبدؤوا في التصفيق لهذه الجريمة، يا سيد نيفيل. أذكركم أنه لو لم ألقِ تعويذة طرد الأرواح الشريرة على الويتشر، لكان رفع يده عليَّ، وعلى هيبة المعبد الجليلة...».

- وهذا لأنكم كنتم أيضًا تتكلمون عنها في خطبكم، يا كريب. حتى بيرانت اشتكاكم. والحقيقة، حقيقة. هل سمعتما، أيها الوغدان؟ -استدار رئيس البلدية نحو جيرالت وشريدان- لا شيء يسوِّغ لكما فعلتكما! لن أتسامح مع مثل هذه الفضائح هنا! هيا، انطقا، قولا كل شيء هنا، تكلما، ما لديكما للدفاع عن نفسيكما، وإن لم تفعلا، فأقسم بكل ذخائر القديسين، أن أرقص معكما رقصًا لن تنسياه حتى الموت! قولا لي كل شيء هنا، حالًا، كما لو كنتما على كرسي الاعتراف!

تنهد شريدان بمشقة، ونظر إلى الويتشر نظرة ذات معنى، وبتوسل. وتنهد جيرالت أيضًا، وتنحنح.

وأجاب قائلًا كل شيء. يعني، كل شيء تقريبًا.

قال الكاهن بعد لحظة صمت: «هكذا إذن، انكشف المستور. قصة جميلة. العبقر الذي أُطلِق من محبسه. والساحرة التي تكالبت على هذا العبقر. هما يشكلان تركيبة ليست سيئة. ويمكن أن ينتهي الأمر بطريقة شديدة السوء».

سأل نيفيل: «ما يكون هذا العبقر؟ وما الذي تسعى إليه ينيفر هذه؟».

أوضح كريب: «يستمد السحرة بأسهم من قوى الطبيعة، وبتعبير أدق، مما يسمى **العناصر**، أو **المكونات الأربعة** المعروفة، على نطاق واسع، **بعناصر الطبيعة. الهواء، والماء، والنار، والتراب**. كل عنصر منها له **بُعده** الخاص به، والذي يسمى في لغة السحرة **بالمستوى**. ويوجد **مستوى** الماء، و**مستوى** النار، وما إلى ذلك. هذه الأبعاد، التي ليست متاحة لنا، تسكنها كائنات تدعى العباقرة...».

قاطعه الويتشر: «كانت تدعى في الأساطير. فعلى حد علمي...».

أوقفه كريب: «لا تقاطع. حقيقة أنك لا تعرف الكثير، قد كانت واضحة في أثناء سردك حكايتك، أيها الويتشر. لذا، فاصمت الآن، واستمع لمن هم

أكثر حكمة منك. وعودة إلى العباقرة، فهم أربعة أنواع، تمامًا كما هي الأربعة مستويات. يوجد الجن، وهم الكائنات الهوائية، والمردة، وهم مرتبطون بعنصر **الماء**، والعفاريت، وهم عباقرة **النار**، والدعاو، وهم عباقرة **التراب**...».

تدخل نيفيل: «لقد أوغلت بعيدًا، يا كريب. لسنا هنا في مدرسة بمعبد، لا تعلِّمْنا. أوجزْ: ماذا تريد ينيفر من هذا العبقر؟».

- مثل هذا العبقر، حضرة رئيس البلدية، هو خزان حي للطاقة السحرية. وإن الساحر، الذي يكون عبقر تحت أمره، يمكنه توجيه هذه الطاقة لتتحول إلى تعاويذ. ولن يكون عسيرًا عليه استجلاب **القوة** من الطبيعة، فعبقر يفعل عنه ذلك. وعندئذ تصير قوة ذاك الساحر هائلة، قريبة من القدرة الكلية المطلقة...

قال نيفيل: «لم أسمع قطُّ عن سحرة قادرين على كل شيء. بعكس ذلك، فالقوة التي يتمتع بها معظمهم، مبالغ فيها بوضوح. فمرَّة لا يمكنهم فعل هذا، ومرة لا يمكنهم فعل ذاك...».

قاطعه الكاهن، مسبغًا على نفسه، من جديد، ملامح المحاضر الأكاديمي، ونغمة صوته، ومظهره: «الساحر ستامِلفورد، حرك ذات مرة جبلًا، لأنه كان يحجب عن القلعة المنظر. ولم ينجح أحد قط في فعل ما يشبه ذلك الفعل، لا من قبل ولا من بعد، فقد كان في خدمة ستاملفورد، كما تنقل الأخبار، أحد الدعاو، من عباقرة التراب. وثمة تدوينات لمآثر متشابهة في درجتها لسحرة آخرين. الأمواج الضخمة، والأمطار الكارثية، هي بالتأكيد من عمل المردة. أعمدة النار، والحرائق، والانفجارات، من صنع العفاريت النارية...».

تمتم جيرالت: «الزوابع، والأعاصير، والطيران فوق الأرض. جيفري مونك».

نظر كريب إليه بتودد: «صحيح. يبدو أنك تعرف شيئًا، كما أرى. يقال، إن مونك الشيخ وجد طريقة لإرغام الجنِّي، عبقر الهواء، على خدمته. وقد سرت شائعات كثيرة، أنه لم يكن جنيًّا واحدًا. كان يحتفظ بها في قوارير، ويستخدمها حسب الحاجة، ثلاث أمنيات من كل عبقر. لأن العبقر، يا سادتي، يحقق ثلاث أمنيات فقط، وبعد ذلك يكون حرًّا، ويهرب إلى البُعد الخاص به».

قال جيرالت بحزم: «ذلك الذي كان على ضفة النهر لم يحقق أي أمنية. هجم من فوره على حلق ياسكير».

رفع كريب أنفه إلى الأعلى: «العباقرة مخلوقات خبيثة، ومزيفة، مخادعة. لا تحب من يحبسها في القوارير، ويأمرها بتحريك الجبال. تفعل أي شيء كي لا يتمكن مُطلِقها من الإفصاح عن أمنياته، ثم إنها تحققها بطريقة يصعب التحكم فيها، والتنبؤ بها. وتنفذها في بعض الأحيان حرفيًّا، لذلك يجب الحذر في اختيار الكلمات. ولترويض العبقر، يحتاج المرء إلى إرادة حديدية، وأعصاب فولاذية، وقوة شديدة، ومهارات كبيرة. ويستنتج مما قلته، أيها الويتشر، أن مهاراتك كانت ضئيلة جدًّا».

وافق جيرالت على ذلك: «ضئيلة جدًّا لترويض ذاك السافل. لكنني طردته، ففرَّ مندفعًا حتى إن الهواء صار يعوي. وهذا شيء يحتسب أيضًا. والحقيقة، أن ينيفر سخرت مما فعلته لطرد الأرواح الشريرة...».

- كيف كان طرد الأرواح الشريرة هذا؟ كرروا ما قلتم.

كرر الويتشر كلمة، كلمة.

شحب وجه الكاهن أول الأمر، ثم احمرَّ، إلى أن ازرقَّ في النهاية: «ماذا؟! كيف تجرؤ! أتسخر مني؟».

تلعثم جيرالت: «فلتعذروني. أقول بصراحة، أنا لا أعرف... معنى هذه الكلمات».

- إذن، لا تكرروا ما لا تعرفون! ليست لديَّ فكرة أين أمكنكم سماع مثل هذا القرف!

لوَّح رئيس البلدية بيده: «هذا يكفي. إنا نضيع الوقت. حسنًا. صرنا نعلم الآن لأي شيء تريد الساحرة هذا العبقر. لكنكم قلتم، يا كريب، إن ذلك سيئ. فما السيئ؟ فلتمسكه، ثم لتذهب إلى الجحيم، فماذا يهمني هذا. أظن...».

لم يتسنَّ لأحد قطُّ معرفة ما كان يفكر فيه نيفيل لحظتَئذٍ، حتى لو لم تكن تلك كلمات يتفاخر بها. ظهرت فجأة على الحائط إلى جوار السجادة المرسوم عليها المتنبئ ليبيودا، رباعي أضلاع ضوئي، ومض شيء ما، ثم هبط في منتصف قاعة مبنى البلدية... ياسكير.

صرخ الشاعر بنبرة نظيفة، صادحة من طبقة صوت التينور، جالسًا على الأرضية، ومتلفتًا حوله بنظرة مشوشة: «بريء! بريء! الويتشر بريء! أتمنى أن تصدقوا ما أقول!».

صرخ جيرالت، موقفًا كريبَ الذي كان من الواضح أنه أخذ يستعد لعملية طرد الأرواح الشريرة التي، ومن يدري، قد تكون لعنة: «ياسكير! من أين... أنت... هنا... ياسكير!».

هبَّ الشاعر المغني من الأرضية واقفًا: «جيرالت!».

- ياسكير!

هدر نيفيل: «مَن يكون هذا الفرد؟ بحق الوباء الساطع، إن لم تكفوا عن أسحاركم، فلن أضمن رباطة جأشي. قلتُ إن السحر ممنوع في ريندي! يجب تقديم طلب مكتوب أولًا، ثم دفع الضرائب، ورسوم بيت المال... لكن، مهلًا؟ أليس هذا هو المغني، رهينة المشعوذة؟».

كرر جيرالت، وهو يمسك الشاعر من كتفيه: «ياسكير، كيف وصلت إلى هنا؟».

اعترف الشاعر المغني بتعابير غبية وقلقة، ارتسمت على وجهه: «لا أعرف. بصراحة، أنا بالأحرى لم أعِ ما كان يحدث لي. أتذكر القليل، وليأخذني الوباء إن كنت أعرف ما كان حقيقيًّا، وما كان كابوسًا. لكني أتذكر فتاة سمراء، ليست قبيحة، ونارية العينين...».

قاطعه نيفيل بغضب: «ماذا دهاكم هنا، تتحدثون عن السمراوات؟ إلى الموضوع، يا سيد، ادخل إلى الموضوع. صرختم أن الويتشر بريء. كيف أفهم ذلك؟ يعني أن منخار الغار، هو نفسه، بيديه خبط استه؟ فإذا كان الويتشر بريئًا، فما كان للأمر أن يتم بطريقة أخرى. إلا إذا كان كل ذلك هلوسة جماعية».

قال ياسكير باعتزاز: «لست أعلم شيئًا عن الاستات أو الهلوسة. أو عن مناخير الغار. أكرر، آخر شيء أتذكره كان امرأة أنيقة، ترتدي لباسًا أسود وأبيض، محبوكًا بذوق رفيع. ألقت بي المذكورة آنفًا، بوحشية في حفرة مشعة، وهي بوابة سحرية، بالتأكيد. وقبل ذلك، أعطتني أمرًا واضحًا، لا شبهة فيه. بعد وصولي إلى المكان، كان عليَّ أن أعلن دونما إبطاء، ما أقتبسه الآن: 'أمنيتي أن تصدقوني أن الويتشر لا يتحمل جريرة ما جرى. هذه أمنيتي، ولا شيء غيرها'. هكذا حرفيًّا. أجل، لقد سألتُ، ما الأمر، وماذا يجري، ولأي غرض يحدث كل هذا. لم تتح لي السمراء قول كلمة واحدة. وبَّختني بفظاظة، أمسكت بي من عنقي، ورمتني في البوابة السحرية. هذا كل شيء. والآن...».

قوَّم ياسكير وقفته، ونفض رداءه، وعدل الياقة والجابوط الفاخر، رغم اتساخه.

- ...ألا تقولون لي، أيها السادة، لو تكرمتم، ماذا يُسمَّى أفضل نزل في هذه المدينة، وأين يقع.

قال نيفيل ببطء: «لا توجد فنادق سيئة في مدينتي. ولكن قبل أن تتمكن من الاقتناع بذلك، ستشاهد بإمعان أفضل زنزانة في المدينة. أنت ورفيقاك. فحتى الآن لستم طلقاء، أيها الأوغاد، إني أذكركم! هل ترونهم! أحدهم يروي قصصًا مختلقة، والآخر ينشق من الحائط، ويصرخ أنه بريء، يتمنى، ويزعق أن صدقوني. يتجرأ بوقاحة على التمني...».

أمسك الكاهن فجأة بصلعته: «أيتها الآلهة! أنا أفهم الآن! الأمنية! الأمنية الأخيرة!».

عقَّد رئيس البلدية جبهته: «ماذا حدث لكم، يا كريب؟ أمريضون أنتم؟».

كرر الكاهن: «الأمنية الأخيرة! لقد أجبرتِ الشاعر المغني أن يقول أمنيته الثالثة الأخيرة. لم يكن ممكنًا السيطرة على العبقر، ما دام لم يحقق هذه الأمنية. لقد نصبتْ ينيفر فخًّا سحريًّا، ولا بدَّ أنها قبضت على العبقر قبل أن يتمكن من أن يلوذ بالبعد الخاص به! يا سيد نيفيل، يجب حتمًا...».

قصف الرعد خلف النافذة. حتى إن الحيطان اهتزت.

تمتم رئيس البلدية، مقتربًا من النافذة: «تبًّا. لقد دوى قريبًا من هنا. عساه أن لا يصيب أيًّا من المنازل، فلا ينقصني الآن هنا شيء سوى حريق آخر... أيتها الآلهة! انظروا فقط! فقط انظروا إلى هذا! كريب! ما هذا؟».

اندفع الجميع كرجل واحد إلى النافذة.

صرخ ياسكير ممسكًا بحلقه: «يا أمنا! إنه هو! هذا ابن العاهرة الذي خنقني!».

زعق كريب: «جني! عبقر الهواء!».

صاح شريدان: «فوق حانة إرديل، فوق السطح!».

انحنى الكاهن بشدة، حتى كاد يسقط: «لقد أمسكتْ به! أترون الضوء السحري؟ لقد أسرت الساحرة العبقر!».

تطلع جيرالت بصمت.

ذات مرة، منذ سنوات عدَّة، وهو صغير تمامًا، ومخاطه تحتِ أنفه، إذ كان يتلقَّى علومه في كاير مورهِن، في موطن الويتشريين، أمسك هو وصديقه إسكيل بزنبور طنان غابي كبير، ثم ربطاه على إبريق موضوع على الطاولة، بخيط طويل، نُسِلَ عن قميص. وحين كانا يشاهدان ما يفعله الزنبور الطنان المربوط، ينفجران من الضحك، إلى أن دهمهما معلمهما، فيسمير، وهما يفعلان هذا الفعل، فساطهما بالقشاط.

كان سلوك الجني، الذي راح يحوم فوق سطح حانة إرديل، متطابقًا تمامًا مع سلوك ذلك الزنبور الطنان. كان يحلق ثم يسقط، يندفع ويهبط إلى الأسفل، ويدور حول دائرة، مُصدرًا أزيزًا هائجًا. فالجني، مثل زنبور كاير مورهن الطنان، كان مربوطًا بخيوط ملتوية من ضوء يخطف الأبصار، ساطع، متعدد الألوان، خيوط تلفه بإحكام، وتنتهي على السطح. بيد أن الجني كان يتمتع بإمكانات أكبر من قدرات الزنبور الطنان المربوط على الإبريق. لم يقدر الزنبور الطنان أن يخرب الأسطح المجاورة، أو أن يبعثر عيدان أسطح القش، أو أن يهدم المداخن، أو أن يدمر قبب المباني أو الأسقف السندية. الجني كان قادرًا على ذلك. وفعله.

ناح نيفيل: «إنه يدمر المدينة! هذا الوحش يدمر مدينتي!».

أخذ الكاهن يضحك: «هاه، هاه. إن كانت ريحًا، فقد لاقت إعصارًا، كما يبدو لي! هذا جني فريد في قوته! حقًّا، أنا لا أعرف من أمسك بمن، أهي الساحرة من أمسكت به، أم هو من أمسك بها! ها، سينتهي الأمر بأن يجعل منها هباء منثورًا، وهذا رائع جدًّا! العدالة ستنتصر».

زعق رئيس البلدية، غير مكترث بأن الناخبين ربما قد يكونون واقفين تحت النوافذ: «سأبول على العدالة!». انظر، يا كريب، ما يحدث هناك! الذعر، الخراب! أنت لم تخبرني بذلك، أيها الأحمق الأصلع! كنت تتذاكى، وتثرثر، دون أن تنطق حتى بكلمة عن أهم شيء! لِمَ لمْ تخبرني أن هذا الشيطان... أيها الويتشر! افعل شيئًا! هل تسمع أيها الساحر البريء؟ اعمل ما يلزم مع هذا الشيطان الشرير! أغفر لك كل ذنوبك، لكن..».

نفث كريب كلماته: «لا يمكن عمل شيء هنا، يا سيد نيفيل. لم تنتبهوا عندما قلت ذلك، وهذا كل شيء. أنتم لا تعيرونني انتباهًا قطُّ حينما أتكلم. أكرر، هذا جني قوي قوة غير معهودة، ولو لم يكن كذلك لصار في يد الساحرة

فعلًا. أقول لكم، تعويذتها على وشك أن تضعف، وحينئذ سيسحقها الجني ويهرب. وسيحل الهدوء».

- وستصبح المدينة حينذاك ركامًا؟

كرر الكاهن: «علينا الانتظار. لكن، دون أن تكون أيدينا مقيدة. أعطوا أوامركم، يا رئيس البلدية. كي يخلي الناس منازلهم المجاورة، ويستعدوا لإخماد الحرائق. ما يحدث هناك الآن، لا يقارن بالجحيم التي ستبدأ عندما ينتهي العبقر من الساحرة».

رفع جيرالت رأسه، فوقع نظره على نظر شريدان، وأفلت منه.

وقرر فجأة: «يا سيد كريب. أنا في حاجة إلى مساعدتكم. الأمر يتعلق بالبوابة التي أتى عبرها ياسكير إلى هنا. لا تزال البوابة تربط مبنى البلدية بـ...».

قال الكاهن ببرود، مشيرًا إلى الحائط: «لم يتبقَّ حتى أثر للبوابة. ألا ترى؟».

- حتى لو كانت البوابة غير مرئية، فهي تترك أثرًا. يمكن تثبيت مثل هذا الأثر بتعويذة. سأتبع هذا الأثر.

- أظن أن عقلكم ناقص. حتى لو لم يمزقكم هذا التتبع إلى أشلاء، فما الذي تريدون بلوغه؟ أتريدون أن تكونوا في وسط الإعصار؟

- سألتُ، إذا كان يمكنكم إلقاء تعويذة مثبتة للأثر.

رفع الكاهن رأسه بكبرياء: «تعويذة؟ أنا لست ساحرًا ملحدًا! أنا لا ألقي التعاويذ! قوتي تتدفق من الإيمان والصلاة!».

- أتستطيعون، أم لا؟

- أستطيع.

- إذن، هيا ابدؤوا العمل، فالوقت يجري.

نطق ياسكير: «جيرالت. إنك جُننتَ حقًّا! كن بعيدًا كل البعد عن ذلك الخنَّاق اللعين!».

قال كريب: «من فضلكم، الهدوء. والجدية. إني أصلِّي».

- انفجر نيفيل مصوتًا: «إلى الشيطان أنت وصلاتك! سأمضي لأجمع الناس! يجب أن نفعل شيئًا، لا أن نقف ونثرثر! أيتها الآلهة، يا له من يوم! يا له من يوم لعين!».

أحس الويتشر أن شريدان يلمس كتفه. استدار. حدق الإلفي إلى عينيه، ثم خفض نظره.

- ستذهب إلى هناك... لأنك يجب أن تذهب، أليس كذلك؟

تردد جيرالت. خُيِّلَ إليه أنه يشمُّ رائحة الليلك وعنب الثعلب.

قال بإبطاء: «لعله كذلك. يجب عليَّ. اعذرني، يا شريدان...».

- لا تعتذر. أعرف ما تشعر به.

- أشك في ذلك. لأنني نفسي لا أعرف ذلك.

ابتسم الإلفي. لم يكن لهذه الابتسامة سوى رابطٍ يسيرٍ، يربطها بالفرح.

- هذا ما يقوم الأمر عليه بالتحديد، يا جيرالت. عليه بالتحديد.

اعتدل كريب، وأخذ نفسًا عميقًا.

قال، مشيرًا باعتزاز إلى المخطط الذي يكاد لا يرى على الحائط: «جاهز. لكن البوابة تهتز، ولن تثبت طويلًا. ولسنا على يقين أيضًا من أنها قد لا تكون مقطوعة. قبل أن تدخلوها، يا سيد ويتشر، راجعوا ضميركم. يمكنني أن أبارككم، ولكن لغسل الذنوب...».

أكمل جيرالت: «...ليس ثمة ما يكفي من الوقت. أعرف، يا سيد كريب. لا وقت كافٍ لذلك أبدًا. اخرجوا جميعًا من الحجرة. إذا انفجرت البوابة، انثقبت طبلات آذانكم».

قال كريب، حينما أُغلِق الباب خلف ياسكير والإلفي: «سأبقى».

حرك كفيه في الهواء، صانعًا هالة نابضة من حوله: «سأقدم الحماية، في حال حدوث أي طارئ. وإذا انفجرت البوابة... سأحاول إخراجكم يا سيد ويتشر. طبلة الأذن قضية كبيرة بالنسبة إليَّ. ونمو طلبة الأذن يتجدد».

نظر جيرالت إليه بلطف. فابتسم الكاهن.

قال: «إنكم إنسان شجاع. تريدون إنقاذها، أليس كذلك؟ لكن الرجولة لا تفيد كثيرًا في أمركم. الجن مخلوقات تحب الانتقام. الساحرة في ضلال. أنتم، إذا ذهبتم إلى هناك، فستضلون أيضًا. راجعوا ضميركم».

وقف جيرالت أمام البوابة المتوهجة توهجًا ضعيفًا: «لقد فعلتُ ذلك. سيد كريب؟».

- نعم، إني أستمع إليكم.
- نص طرد الأرواح الشريرة، الذي وتَّركم كثيرًا... ماذا كانت تعني كلماته تلك؟
- حقًّا، الوقت مناسب للنكات والممازحات...
- أرجوكم، يا سيد كريب.

قال الكاهن، وهو يختبئ خلف منضدة رئيس البلدية، الثقيلة، المصنوعة من خشب البلوط: «حسنًا. هذه أمنيتكم الأخيرة، لذا سأخبركم. كانت تعني... هممم... هممم... «ابتعد من هنا وَطَأْ نفسك وحدك»».

اندس جيرالت في العدم، وقد خنق البردُ الضحكَ الذي كان يهزه.

8

قذفته البوابة التي كانت تهدر وتتماوج مثل إعصار، قذفته بزخم هائل، فبصق بقوة شقت رئتيه. هوى الويتشر على الأرضية دون حَراك، لاهثًا بمشقة، وهو يلتقط الهواء بفمه المفتوح.

ارتجت الأرضية. ظن في أول الأمر أنه، هو نفسه، من كان يرتعد إثر سفره عبر جحيم البوابة المنفجرة، لكنه سرعان ما أدرك خطأه. كان المنزل كله يهتز، ويرتجف، ويصدر صريرًا.

تلفت ناظرًا حوله. لم يجد نفسه في الحُجيرة، التي شاهد فيها ينيفر وياسكير آخر مرة، بل في القاعة العامة الكبيرة في حانة إرديل، التي جُددت بالتصليحات.

رآها. كانت راكعة بين الطاولات، منحنية على الكرة السحرية. كانت الكرة تشتعل بوهج حليبي قوي، مضيئة أصابع الساحرة بلون أحمر. شكَّل التوهج المنبعث من الكرة صورة وامضة. متمايلة، لكنها واضحة. رأى جيرالت غرفة

https://t.me/fantazynov

صغيرة فيها نجمة عادية، ونجمة خماسية، كانتا معلمتين على الأرضية، ساطعتين الآن إلى حد البياض. رأى خطوطًا نارية متعددة الألوان تنطلق بصرير من النجمة الخماسية، وتتلاشى في الأعلى فوق السطح، من حيث كان يأتي الزئير الهائج للجني، الذي وقع في الفخ. رأته ينيفر، فهبَّت واقفة ورفعت راحة يدها.

صرخ: «لا! لا تفعلي هذا! أريد مساعدتك!».

نفثت كلامها: «مساعدتي؟ أنت؟».

- أنا.

- على الرغم مما فعلته بك؟

- على الرغم من ذلك.

- هذا مثير للاهتمام. لكن هذا، في واقع الأمر، لا يهم. لست أحتاج إلى مساعدتك. انقلع من هنا فورًا.

- لا.

صرخت، عابسة بطريقة تنذر بالشؤم: «انقلع! الأمر يزداد خطورة هنا! الأمر يخرج عن نطاق سيطرتي، هل تفهم؟ لا أستطيع التحكم به، أنا لا أفهم ذلك، لكن السافل لا يضعف. أمسكت به عندما حقق أمنية التروبادور الثالثة، كان يجب أن يكون لديَّ في الكرة الآن. ولكنه لا يضعف على الإطلاق! اللعنة، يبدو أنه يزداد قوة مع مرور الوقت! لكنني، مع ذلك، سأكسر...».

- لن تكسريه، يا ينيفر. سوف يقتلك.

- ليس بهذه السهولة يمكن قتلي...

توقفت. سطع سقف الحانة أكمله، وبرق فجأة. ذابت الرؤية التي بثتها الكرة في سطوع صاف. ارتسم شكل رباعي، ذو أربعة أضلاع، ناري، وكبير، على السقف الخشبي. ألقت الساحرة تعويذتها، رافعة يديها، وقد تطاير الشرر من أصابعها.

- اهرب، يا جيرالت!

- ما الذي يحدث، يا ينيفر؟

تأوهت، وقد احمرَّ وجهها من شدة الجهد: «لقد حدد موقعي... يريد أن يصل إليَّ. إنه ينشئ بوابته الخاصة ليصل إلى الداخل. لا يمكنه فك وثاقه، لكنه عن طريق البوابة سيصل إلى هنا. لا أستطيع... لا أستطيع إيقافه!».

- ينيفر...
- لا تلهني! يجب أن أركز... جيرالت، يجب أن تهرب. سأفتح بوابتي طريقًا لهروبك. كن حذرًا، ستكون هذه بوابة تطرح عشوائيًّا، ليس لدي الوقت، أو القوة لفتح غيرها... لا أعرف أين ستهبط... لكنك ستكون آمنًا... استعد...

فجأة برقت البوابة العظيمة على السقف باهرة الأبصار، ثم اتسعت وتشوهت، وانبثق من العدم الفم عديم الشكل، الذي يعرفه الويتشر، وهو يطقطق بشفتيه المتدليتين، ويعوي عواء يخرق الآذان. قفزت ينيفر، لوَّحت بيديها، وصرخت مطلقة تعويذة. قذفت حزمة ضوئية متشابكة من كفيها، سقطت على الجني مثل شبكة. زأر الجني وأبرز مخالب يديه الطويلتين، اللتين اندفعتا نحو حلق الساحرة، كأنهما كوبرا مهاجمة. لم تتراجع ينيفر.

هُرِعَ جيرالت نحوها، دفعها بعيدًا، وحماها. نطَّ الجني، المحاط بالضوء السحري، من خلال البوابة كفلينة تلفظها قارورة، واندفع نحوهما، فاتحًا فمه. ضغط الويتشر على أسنانه، ورشقه **بالعلامة**، دون أي تأثير يُرى. لكن العبقر لم يهاجم. كان معلقًا في الهواء تحت السقف مباشرة، منتفخًا إلى حجم مثير جدًّا، حملق إلى جيرالت بعينين شاحبتين وزأر. كان شيء ما في هذا الزئير، شيء يشبه الأمر، التوصية. لم يفهم ما هو.

صاحت ينيفر، مشيرة إلى البوابة، التي استحضرتها بالسحر على الحائط عند الدرج. بدت بوابة الساحرة، مقارنة بالبوابة التي أنشأها العبقر، فقيرة، لا تلفت الانتباه، ومزعزعة جدًّا: «من هنا! من هنا، جيرالت! اهرب!».

- أذهب معكِ، أنا وأنت!

صرختْ ينيفر ناطقة بتعويذاتها، وهي تحرك يديها في الهواء، وكانت حبال الوثاق المتعددة الألوان تقذف شررًا، وتصدر صريرًا. كان الجني يحوم ملتفًّا مثل الزنبور، وهو يشد الوثاق ويمطه. اقترب من الساحرة ببطء، ولكن بثبات. لم تتراجع ينيفر.

وثب الساحر، وضع ساقه تحت قدمها برفق، وأمسك خصرها بيد واحدة، وغرز الأخرى في شعر قفاها. شتمت ينيفر ببشاعة، ولكزته بكوعها في رقبته.

لكنه لم يفلتها. لم تقتل رائحةُ الأوزون الخارقة التي خلقتها التعاويذ، رائحةَ الليلك وعنب الثعلب. التقط جيرالت ساقي الساحرة، اللتين كانتا ترفسان، وقفز، حاملًا إياها مباشرة إلى العدم البارق بالوميض في البوابة الصغرى.

البوابة التي تقود إلى المجهول.

طارا متعانقين، ثم سقطا على أرضية رخامية، منزلقين عليها، وقد قلبا شمعدانًا ضخمًا، وبعده مباشرة قلبا طاولة، تساقطت منها كؤوس كريستالية، وصوانٍ من الفواكه، ووعاء ضخم، مملوء بقطع الجليد المكسرة، والأعشاب البحريةً، والمحار. صرخ أحد ما، وأنَّ آخر.

كانا ملقييْن في وسط قاعة الباليه، المشرقة بالشمعدانات. حدق السادة الذين يرتدون ملابس فاخرة، والسيدات المتلألئات بالجواهر، اللائي توقفن عن الرقص، حدقوا إليهما في صمت من ذهول. أنهى موسيقيو الرواق اللعب بنشاز يخرم الأذن.

صرخت ينيفر، محاولة خدش عينيه: «أيها الغبي! أيها المعتوه اللعين! لقد أعقتني! كدتُ أمتلكه!».

رد على صراخها غاضبًا، لا مازحًا: «امتلكتِ الخراء! لقد أنقذت حياتك، أيتها المشعوذة الحمقاء!».

كانت تشخر كقطة هائجة، ومن يديها يتساقط الشرر. أمسك جيرالت بمعصميها، مشيحًا عنها وجهه، ثم راحا يتدحرجان بين المحار، والفواكه المُسكَّرة، وقطع الجليد المكسرة.

سأل رجل ضخم البنية، كان على صدره سلسال ذهبي، خاص بكبير الحُجَّاب، ناظرًا إليهما من الأعلى بتعابير على وجهه متعالية: «هل لدى حضرتكم دعوة؟».

صاحت ينيفر، وهي لا تزال تحاول خدش عيني جيرالت: «فلتعبث باستك، أيها الأبله!».

قال كبير الحُجَّاب بنبرة قاطعة: «هذه فضيحة. حقًّا، أنتما تبالغان في عملية النقل الآني هذه. سأشكوكما إلى مجلس السحرة. أطالب...».

لم يعلم أحد قطُّ ما الذي كان سيطالب به كبير الحجَّاب. أفلتت ينيفر، ولطمت بكفها المفتوحة الويتشر على أذنه، وركلته بقوة على ربلة الساق، ثم وثبت إلى البوابة الآخذة في الانطفاء على الحائط. هبَّ جيرالت مندفعًا وراءها،

أمسك بها من شعرها، وحزامها، بحركة مكتسبة بالممارسة. وينيفر المكتسبة أيضًا الخبرات من التدريب، خبطته بمرفقها بقوة. من شدة الحركة العنيفة انفتق ثوبها تحت إبطها، وانكشف ثديها، ثدي صبية غض. ومرت محارة طائرة من خلف تقويرة العنق الممزقة.

اندسَّ كلاهما في العدم داخل البوابة. كان جيرالت لا يزال يسمع كلام كبير الحجَّاب.

- موسيقا! استمروا بالعزف! لم يحدث شيء. أرجوكم، لا تقلقوا بشأن هذا الحادث المؤسف!

كان الويتشر مقتنعًا بأن المخاطرة بحدوث مصيبة، تزداد مع كل رحلة تالية عبر البوابة، ولم يكن مخطئًا. فقد أصابا الهدف تمامًا، حانة إرديل، لكنهما تجسدا تحت السقف مباشرة. سقطا، مسببيْن تحطم درابزين الدرج، وهبطا على الطاولة بِدويٍّ اصطدام يصم الآذان. لم يكن للطاولة الحق أن تتحمل ذلك، ولم تتحمل.

وجدت ينيفر نفسها تحت الطاولة، في لحظة السقوط. كان على يقين من أنها فقدت الوعي. ولكنه أخطأ.

لكمته على عينه بجُمع يدها، وانهالت على وجهه مباشرة بالسباب والإهانات التي في بذاءتها يمكن أن تضاهي، دون خجل، حتى حفار قبور من معشر الأقزام، وقد كان الأقزام لا يُجَارون في قذارتهم وسفالتهم. صحبت اللعنات ضربات هائجة، هوجاء، وقعت خبط عشواء، حيثما شاءت. أمسكها جيرالت من يديها، وإذ أراد تجنب ضربة من جبهتها، ضغط وجهه على تقويرة عنق الساحرة، التي فاحت منها رائحة الليلك، وعنب الثعلب، والمحار.

صرخت، وهي ترفس كفرس قزم: «دعني! أيها المعتوه، الأحمق، المأفون! أقول لك، دعني! الوثاق على وشك أن ينفك، يجب أن أقويه، وإلا سيهرب الجني!».

لم يرد، مع أنه رغب في ذلك. أمسك بها بعزم أكبر، محاولًا أن يطرحها أرضًا. راحت ينيفر تلعن بقبحٍ، وتصارع، ثم ركلته بركبتها على عِجانه، بكل ما أوتيت من قوة. وقبل أن يتمكن من التقاط أنفاسه، فلتت منه، وصرخت ملقية تعويذة. أحس بقوة رهيبة ترفعه عن الأرضية، وتقذفه على مدى طول القاعة، إلى أن اصطدم، بزخم هائل يكتم الأنفاس، بخزانة صِوان منحوتة، ذات بابين، وهشَّمها كليًّا.

9

أخرج ياسكير، المتشبث بالجدار، رقبته محاولًا اختراق وابل المطر بنظره: «ماذا يحدث هناك؟! قولوا ماذا يحدث هناك، تبًّا!».

زعق أحد الفضوليين، من أبناء الشوارع، وهو يقفز مرتدًّا عن نافذة الحانة، كالملسوع. وقد لاذ، أيضًا، رفاقه ذوو الأسمال الممزقة بالفرار، وهم يخبطون بأعقابهم الحافية في الوحل: «إنهما يتقاتلان! الساحر والويتشر يتقاتلان!».

استغرب نيفيل: «يتقاتلان؟ إنهما يتقاتلان، وهذا الشيطان القذر يدمر مدينتي! انظروا، لقد أسقط مدخنة من جديد! وخرب معمل الطوب! أيها الناس! إلى هناك، جريًا! أيتها الآلهة، من حسن الحظ أن المطر يتساقط، لولا ذلك لكان الحريق لا مثيل له!».

قال الكاهن كريب بكآبة: «لن يستمر ذلك طويلًا. الضوء السحري يضعف، الوثاق على وشك الانقطاع. يا سيد نيفيل! مُر الناس أن يتراجعوا! بعد لحظات قليلة، ستنفتح أبواب الجحيم على مصاريعها هناك! لن يبقى من هذا المنزل إلا بقايا ركام! ما الذي يضحككم، يا سيد إرديل؟ في كل الأحوال، هذا منزلكم! ما الذي يسليكم هكذا؟».

- لقد أمَّنتُ على هذا الكوخ المتهالك مقابل كومة من المال!
- هل تتضمن بوليصة التأمين تغطية الحوادث الناتجة عن السحر، وتلك الخارقة للطبيعة؟
- طبعًا.
- عاقل، يا سيد إلفي. عاقل جدًّا. أهنئكم. يا أيها الناس، احتموا! من يحب الحياة، عليه أن لا يقترب!

انبعث من داخل دار إرديل دوي يصم الآذان، وومض برق. وتراجع الجَمْع، واختبأوا وراء الأعمدة.

تأوه ياسكير: «لماذا انزلق جيرالت إلى هناك؟ لأي جحيم؟ لماذا أصر على إنقاذ هذه الساحرة؟ تبًّا، لماذا؟ شريدان، هل تفهم ذلك؟».

ابتسم الإلفي بحزن.

أكد ذلك: «أفهم، يا ياسكير. أفهم».

10

قفز جيرالت متجنبًا نصلًا برتقاليًّا آخر مشتعلًا بالنار، أُطلق من بين أصابع الساحرة. بدا عليها التعب واضحًا، فقد كانت النصال ضعيفة وبطيئة، تفاداها دون بذل جهد عظيم.

صرخ: «ينيفر! اهدئي! افهمي أخيرًا ما أريد قوله لك! لا يمكنكِ...».

لم يكمل. انطلقت من يدي الساحرة بروق حمر رفيعة، بلغت أماكن عدَّة منه، والتفَّت عليه تمامًا. هسهست الملابس، وراح الدخان ينبعث منها.

قالت بنفور، وهي تقف فوقه: «لا يمكنني؟ سترى في الحال ماذا في وسعي أن أفعل. يكفي أن تستلقي أنت، ولن تعوقني بعد ذلك».

زأر، وهو يكاد ينفجر غضبًا، ويصارع داخل الشبكة النارية: «أزيحي هذه عني! أنا أشتعل، اللعنة!».

نصحته، وهي تلهث بمشقة: «لن تحرقك إلا عندما تتحرك وحسب... لا أستطيع أن أخصص مزيدًا من الوقت لك، أيها الويتشر. لقد لهونا قليلًا، لكن ما هو أكثر من اللازم، ليس صحيًّا. يجب أن أهتم بالجني، فهو متهيئ لأن يهرب مني...».

صرخ: «يهرب؟ أنت من عليك الهروب! هذا الجني... يا ينيفر، استمعي إليَّ بانتباه. يجب أن أعترف بشيء... يجب أن أقول لك الحقيقة. ستُدهَشين».

11

سحب الجني الوثاق بعنف، وخطَّ دائرة، ومطَّ الحبال التي تثبته، وكنس البُريج من واجهة منزل بيو بيرانت.

قطَّب ياسكير، ممسكًا بحلقه تلقائيًّا: «يا له، كيف يزأر! يا له، كيف يزأر بتوحش! يبدو أنه هائج هيجانًا فظيعًا!».

قال الكاهن كريب: «لأنه».

نظر إليه شريدان بسرعة.

- ماذا؟

كرر كريب: «إنه هائج. ولست أستغرب ذلك. أنا أيضًا كنت سأهيج لو اضطررت إلى تلبية الأمنية الأولى بحذافيرها، الأمنية التي أفصح عنها الويتشر بطريق المصادفة...».

صرخ ياسكير: «كيف هذا؟ جيرالت؟ أمنية؟».

- هو من كان في قبضته الختم الذي حبس العبقر. العبقر يلبي أمنياته. لذا لا تستطيع الساحرة السيطرة على الجني. لكن على الويتشر أن لا يخبرها بالأمر، حتى لو كان قد خمَّن ذلك. عليه أن لا يخبرها بذلك.

تمتم شريدان: «اللعنة. بدأت أفهم. الخفير، حامل المفاتيح في الزنزانة... انفجر...».

- هذه كانت أمنية الويتشر الثانية. بقيت لديه أمنية واحدة. أخيرة. لكن، بحق الآلهة، يجب أن لا يبوح لينيفر بهذا!

12

وقفت دون حراك، منحنية فوقه، لا تعير الجني الذي كان يصارع الوثاق فوق سطح الحانة، أي انتباه. اهتز المبنى، وتساقطت من السقف قطع الجير والخشب، وزحف الأثاث على الأرضية، مهتزًّا بتوتر.

قالت، ضاغطة أسنانها: «هكذا إذن. أهنئك. لقد نجحت في خداعي. ليس ياسكير، بل أنت. لهذا السبب، يقاوم الجني بهذه الطريقة! لكنني لم أخسر بعد، يا جيرالت. أنت لا تقدرني حق تقدير، ولا تقدر قوتي كما يجب. في الوقت الراهن، لا يزال الجني، وكذلك أنت في قبضتي. ولا تزال لديك أمنية واحدة، أخيرة؟ إذن، قلها. فتحرر الجني، وأنا حينئذ أحشره في القارورة».

- لن تكفيك قواكِ، يا ينيفر.

- أنت لا تقدِّر قواي. الأمنية، يا جيرالت!

- لا، يا ينيفر. لا أستطيع... الجني قد يحققها، لكنه لن يغفر لكِ. عندما يغدو حرًّا، سيقتلك، سينتقم منكِ... لن تفلحي في القبض عليه، ولن تتمكني من الدفاع عن نفسك أمامه. أنت منهكة القوى، ولا تكادين تقفين على قدميك. ستُقتلين، يا ينيفر.

صرخت هائجة: «إنها مخاطرتي! ماذا يهمك ما سيحدث لي؟ الأفضل أن تفكر فيما يمكن أن يعطيك الجني! لا تزال لديك أمنية واحدة! يمكنك طلب ما تريد! اغتنم الفرصة! اغتنمها، أيها الويتشر! يمكنك امتلاك كل شيء! كل شيء!».

13

صاح ياسكير: «كلاهما سيلقى مصرعه؟ كيف هذا؟ سيد كريب، وأظن أن اسمكم هكذا... لماذا؟ الويتشر... لماذا لا يهرب، يا للوباء المستفحل وغير المتوقع؟ لماذا؟ ما الذي يبقيه هناك؟ لماذا لا يترك الساحرة اللعينة إلى مصيرها، ولا يهرب؟ إن ذلك لا معنى له!».

كرر شريدان بمرارة: «لا معنى له بتاتًا. لا معنى بتاتًا».

- إنه انتحار! وحماقة جليَّة!

تدخل نيفيل: «هذا الكار كارُهُ، أساسًا. الويتشر ينقذ مدينتي. إني أُشهِدُ الآلهة على ما أقول، إن غلب الساحرة، وطرد الشيطان، فسأكافئه بسخاء...».

خلع ياسكير عن رأسه القبعة المزينة بريشة البلشون، بصق عليها، وألقى بها على الوحل وداسها، مرددًا كلمات مختلفة بلغات مختلفة.

تأوه فجأة: «لكنه... لا يزال يحتفظ بأمنية واحدة احتياطًا! يمكنه أن ينقذها، وينقذ نفسه! يا سيد كريب!».

فكر الكاهن: «ليس الأمر بهذه السهولة. لكنه إذا... إذا كان قد فعل الأمنية الصحيحة... إذا كان قد ربط مصيره بطريقة ما... لا، لا أظن أنه اهتدى إلى ذلك. وربما من الأفضل أن لا يكون قد اهتدى إلى ذلك».

14

- الأمنية، يا جيرالت! عَجِّل! ماذا تشتهي؟ الخلود؟ الثراء؟ الشهرة؟ السلطة؟ القوة؟ المراتب السامية؟ عَجِّل، لا وقت لدينا!

ظل صامتًا.

قالت فجأة، وهي تبتسم ابتسامة قميئة: «الإنسانية. لقد حزرتُ، أليس كذلك؟ إنك تريدها، وتحلم بها! بالتحرر، بالحرية في أن تكون ما تريد أن تكونه، وليس ما عليك أن تكونه. الجني سيلبي هذه الأمنية، يا جيرالت. فقلها».

ظل صامتًا.

وقفت فوقه في الوميض البرَّاق للكرة السحرية، في وهج السحر الخافت، في انعكاس الومضات التي كانت تحبس الجني، وكان شعرها يتماوج، وعيناها تلتهبان بالبنفسجي، وقد استقامت، وبدت نحيلة الجسد، سمراء، رهيبة...

وجميلة.

انحنت بحدة إلى الأمام، ونظرت إلى عينيه من كثب. أحسَّ برائحة الليلك وعنب الثعلب.

قالت بصوت هامس: «لا تزال صامتًا. إذن، ماذا تشتهي، يا ويتشر؟ ما حلمك الأكثر كتمًا؟ لا تعرف، أم لا تستطيع أن تقرر؟ ابحث داخل نفسك، ابحث عميقًا وبدقة، لأنني أقسم **بالقوة**، إنك لن تحوز فرصة ثانية كهذه!».

أما هو، فقد عرف فجأة الحقيقة. صار يعلم. صار يعلم مَن كانت في الماضي. ماذا كانت تتذكر، ما لم تستطع نسيانه، ومع من كانت تعيش. من كانت حقًّا، قبل أن تصبح ساحرة.

فعينا تلك الحدباء الباردتان، الثاقبتان، الشريرتان، والحكيمتان، كانتا تنظران إليه.

أصابه الفزع. لا، ليس من الحقيقة. فزع من أن تقرأ أفكاره فتعرف ما قد خمَّن. وأنها لن تغفر له ذلك أبدًا. قمع هذه الفكرة في داخله، قتلها، وقلعها من ذاكرته إلى الأبد، دون أن يترك أثرًا، وقد شعر بالارتياح البالغ. شعر بأن...

تصدع السقف. وهوى الجني، المشبوك بشبكة من الأشعة الآخذة في الانطفاء، هوى عليهما مباشرة، وهو يزأر. كان في زئيره هذا صوت الانتصار وشهوة القتل. اندفعت ينيفر لملاقاته، وكان الضوء ينبض من بين يديها. ضوء خافت جدًّا.

فتح الجني فمه، ومد كفيه نحوها. وفجأة أدرك الويتشر أنه يعرف ما يشتهي. ونطق بالأمنية.

15

انفجر المنزل، وتطايرت إلى الأعلى قطع الآجر، والعوارض والألواح الخشبية، وسط سحابة من الدخان والشرر. وحين بزغ الجني من بين غيمة الغبار ضخمًا كإصطبل، وزأر وقهقه بضحكة الانتصار، وهو عبقر الهواء، الجني الذي صار الآن حرًّا، محررًا، غير ملزم بأي التزامات، وغير خاضع لإرادة أحد، خطَّ ثلاث دوائر فوق المدينة، واقتلع السهم من برج دار البلدية، ثم ارتفع في السماء وطار بعيدًا، إلى أن غاب واختفى.

صاح الكاهن كريب: «لقد هرب! هرب! نال الويتشر مراده! لقد طار العبقر بعيدًا! لن يهدد أحدًا بعد الآن!».

قال إرديل بانبهار غير كاذب: «آه. يا له من خراب فاتن!».

صرخ ياسكير، متكورًا خلف الجدار: «اللعنة، اللعنة! لقد دمَّر المنزل بأكمله! لا أحد تمكن من النجاة من هذا! لا أحد، أقول لكم».

قال رئيس البلدية، نيفيل، بطريقة احتفالية رسمية: «لقد ضحَّى الويتشر جيرالت من ريفيا بنفسه من أجل المدينة. لن ننسى، سنمنحه التشريف. سنفكر في نصب تمثال له...».

نفض ياسكير عن كتفه قطعة من حصير القصب الملتصقة بالوحل، وأزال عن ردائه كتلة من ملاط مبلل بالمطر، ونظر إلى رئيس البلدية، وفي بضع كلمات مختارة بدقة، عبَّر عن رأيه في التضحية، والتبجيل، والذكرى، وكل تماثيل العالم.

16

تلفَّت جيرالت حوله. تساقطت قطرات ماء ببطء، من ثقب في السطح. ارتفعت طبقات من الركام، وأكوام من الخشب، في كل أرجاء المكان. بمصادفة غريبة كان المكان الذي كانا مستلقييْن فيه نظيفًا تمامًا. لم يسقط عليهما ولا أي لوح، ولا طوبة واحدة حتى. بدا الأمر كما لو أن درعًا غير مرئية قد حمتهما.

جثت ينيفر، وكانت محمرَّة الوجه قليلًا، واستندت بكفيها إلى ركبتيها.

تنحنحت: «ويتشر. أنت حي؟».

مسح جيرالت الغبار، والتراب من وجهه، وقال هامسًا: «أنا حي».

لمست ينيفر معصمه بحركة بطيئة، ومررت أصابعها برقة على راحة يده.

- لقد عاينتك...

- الأمر تافه. بضع فقاعات جلدية...

- عفوًا. كما تعلم، قد هرب الجني. نهائيًّا.

- أنتِ نادمة؟

- ليس كثيرًا.

- هذا جيد. ساعديني في النهوض، من فضلك.

همستْ: «انتظر. أمنيتك تلك... لقد سمعتُ ما تمنيتَ. ذهلتُ، ببساطة ذُهلت. كان في إمكاني توقع أي شيء، لكن أن... ما الذي جعلك تفعل ذلك، يا جيرالت؟ لماذا... لماذا أنا؟».

- ألا تعرفين؟

انحنت عليه، ولمسته، فأحس بلمسات ناعمة على وجهه من شعرها، تفوح برائحة الليلك وعنب الثعلب، وعرف فجأة أنه لن ينسى أبدًا هذه الرائحة، وتلك اللمسة الناعمة، وعرف أنه لن يكون قادرًا أبدًا على مقارنتهما بأي رائحة أخرى، أو أي لمسة أخرى. قبلته ينيفر، فأدرك أنه لن يرغب أبدًا في شفاه غير شفتيها، اللينتين، الرطبتين، الحلوتين حلاوة أحمر الشفاه. عرف فجأة أنها منذ هذه اللحظة ستكون حاضرة هي وحدها فقط، جيدها، وكتفاها، ونهداها المتحرران

من تحت الثوب الأسود، وبشرتها الرقيقة البضة، التي لا تضاهيها أي بشرة لمسها من قبل. حدق من كثب إلى عينيها البنفسجيتين، أجمل عينين في العالم كله، عينيها اللتين كان يخشى أن تصبحا له... كل شيء. كان يعلم ذلك.

همست، وقد دنت شفتاها من أذنه تمامًا: «أمنيتك، لا أعرف أكانت هذه الأمنية يمكن أن تتحقق. لا أعرف أكانت ثمة **قوة** في الطبيعة قادرة على تحقيق هذه الأمنية. ولكن إذا كان الأمر كذلك، فقد حكمتَ على نفسك. حكمتَ على نفسك بي».

قاطعها بقبلة، بحضنة، بلمسة، بمداعبة، بمداعبات، ثم بكل شيء، بكامل نفسيهما، بكل فكرة، بفكرة وحيدة، بكل شيء، كل شيء، كل شيء. كسرا الصمت بالتنهيدات، وحفيف ملابسهما المبعثرة على الأرضية، كسرا الصمت بلطف شديد، وكانا متكاسلين، كانا دقيقين، كانا حريصين أحدهما على الآخر، وكانا رقيقي الشعور، مع أنهما لم يعرفا كثيرًا ما الحرص على الآخر، وما الحنان، أفلحا فيهما، لأنهما أرادا ذلك. ولم يكونا في عجلة من أمرهما بتاتًا، وتوقف العالم كله بغتة عن الاستمرار في الوجود، توقف لحظة صغيرة وجيزة، وبدت لهما هذه اللحظة أنها كانت الأبدية بأكملها، فهي كانت حقًّا الأبدية بأكملها.

ثم بدأ العالم وجوده من جديد، لكنه وجود مختلف كليًّا.

- جيرالت؟

- امهمم؟

- وماذا بعد؟

- لا أعلم.

- وأنا كذلك. فكما ترى، أنا... لست متيقنة، أكان الأمر يستحق أن تربط مصيرك بمصيري. لا أقدر... انتظر، ماذا تفعل... أردت أن أخبرك...

- ينيفر... ين.

كررت، وقد استسلمت له كليًّا: «ين، لم يناديني أحد قط، من قبل هكذا. قلها، مرة أخرى من فضلك».

- ين.

- جيرالت.

17

توقف المطر. ظهر قوس قزح فوق ريندي، وقد قطع السماء بقوس ملون مبتور. وبدا أنه ينمو ممتدًّا رأسًا من سقف الحان المهدم.

تمتم ياسكير: «بحق كل الآلهة. يا له من صمت... لقد ماتا، أقول لكم. إما أنهما قتلا بعضهما بعضًا، وإما أن جنيِّي قضى عليهما».

قال فراتمير، وهو يمسح جبينه بقبعته المجعدة: «يجب أن نرى. ربما أصيبا بجراح. يمكن استدعاء الطبيب؟».

أكد كريب: «الأوْلى أن يُستدعَى حفار القبور. إني أعرف هذه الساحرة، أما الويتشر، فالشيطان أيضًا كان يطل من عينيه. ما من شيء نفعله، يجب البدء في حفر حفرتين في الجبَّانة. أود أن أنصحكم أن تدق ينيفر هذه، بدسار من خشب الحور قبل الدفن».

كرر ياسكير: «يا له من صمت. منذ لحظة فقط، كانت العوارض الخشبية تتطاير، والآن الصمت ضارب أطنابه».

اقتربا من أنقاض النزل، بحذر شديد وببطء.

قال كريب: «فليصنع النجار التابوتين. قولوا للنجار...».

قاطعه إرديل: «صمتًا. لقد سمعتُ شيئًا. ماذا كان ذلك، يا شريدان؟».

أزاح الإلفي شعره من طرف أذنه الحادة، ثم أمال رأسه.

- لستُ متأكدًا... فلنقترب أكثر.

قال ياسكير فجأة، وهو يجهد سمعه الموسيقي: «ينيفر حية. سمعت أنينها. ها، هي تئن من جديد!».

أكد إرديل: «آها. أنا سمعت أيضًا. لقد تأوهتْ. لا بدَّ أنها تعاني معاناة مرعبة، أقول لكم. شريدان، إلى أين؟ احترس!».

انكفأ الإلفي عن النافذة المهشمة، التي تطلع من خلالها بحذر.

قال بإيجاز: «لنذهب من هنا. لن نزعجهما».

- وهل هما، كلاهما، حيان؟ شريدان؟ ماذا يفعلان هناك؟



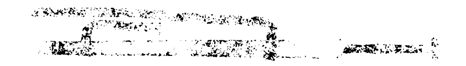
كرر الإلفي: «فلنذهب من هنا. لنتركهما هناك وحدهما، بعض الوقت. فليبقيا هناك، هي، وهو، وأمنيته الأخيرة. لننتظر في إحدى الحانات، ولن يمر وقت طويل، لينضما إلينا. كلاهما».

أبدى ياسكير فضوله: «ماذا يفعلان هناك؟ ألا فقل، اللعنة!».

ابتسم الإلفي. بحزن كبير، كبير جدًّا.

قال: «أنا لا أحب الكلمات العظيمة. ودون استخدام كلمات عظيمة، لا يمكن تسمية ذلك».

صوت العقل 7



1

وقف فالويك في الفسحة الغابية، مدرعًا بدرع كاملة، دون خوذة، وكان معطف الرهبنة القرمزي ملقى على كتفه. بجانبه، صالبَ قزم ذراعيه، وكان ملتحيًا، وممتلئ الجسم، ويرتدي سترة من فرو الثعلب، وزردًا، ودُسُرًا من الحديد. كان تايليس يتمشى وئيدًا، غير متدرع، يرتدي قفطانًا قصيرًا مُبطَّنًا، ويلوح بسيفه المسلول، بين حين وآخر.

تلفَّت الويتشر حوله، وهو يوقف فرسه. لمعت من كل الاتجاهات، دروع نصفية، وخوذ مفتوحة، يرتديها عسكر مأجورون، مسلحون بالرماح، كانوا يُحدِّقون بالفسحة الغابية.

تمتم جيرالت: «تبًّا. كان يمكنني توقع ذلك».

أدار ياسكير الفرس، وشتم بصوت خافت، أمام مشهد حاملي الرماح الذين كانوا يقطعون الجهة المقابلة لهم.

- جيرالت، ما الأمر؟

- لا شيء. أبقِ فمك مقفلًا، ولا تتدخل. سأحاول الإفلات منهم بطريقة ما.



- ما الأمر، أسألك؟ مشاكسة أخرى، مجددًا؟

- اخرس.

تأوه التروبادور، وهو يصوب بصره باتجاه أبراج المعبد القريبة التي كانت تلوح أعلى الغابة: «لقد كانت فكرة الذهاب إلى المدينة فكرة غبية. كان يجب البقاء عند نينِّيكي، وعدم دس أنفك خلف الأسوار...».

- اخرس، قلت لك. سترى، سيتضح كل شيء.

- لا يبدو الأمر كذلك.

كان ياسكير على حق. لم يكن الأمر كذلك. واصل تايليس مشيه الوئيد، ملوحًا بسيفه المسلول، وغير ناظر صوبهم. كان العسكر المأجورون يرقبون بكآبة، ودون مبالاة، مستندين إلى رماحهم، وقد ارتسمت تعابير على وجوههم كتعابير المحترفين الذين لا يسبب القتل إفرازًا مفرطًا من الأدرينالين لديهم.

نزلا من على فرسيهما. اقترب فالويك والقزم بخطو بطيء.

قال الكونت دون مقدمات، أو تأدب معتاد: «قد أسأتم إلى المُشرَّف تايليس، أيها الويتشر. وتايليس، لعلكم تتذكرون، ألقى قفاز التحدي أمامكم. ولم يكن من المناسب أن نتعرض لكم على أرض المعبد، لذا فقد انتظرنا حتى تخرجوا من وراء تنورة الكاهنة. تايليس ينتظر. عليكم أن تخرجوا للنزال».

- يجب علينا؟

- يجب عليكم.

ابتسم جيرالت وقد اعوجت شفتاه: «ألا ترى، يا سيد فالويك، أن تايليس المشرَّف يشرفني كثيرًا؟ لم أشرف قطُّ بنيل لقب فارس، أما فيما يتعلق بالتشريف، فمن الأفضل عدم ذكر الظروف المحيطة به. أخشى أنني لست كفؤًا خليقًا بما يكفي أن... كيف يمكن التعبير عن ذلك، يا ياسكير؟»

تلا الشاعر، نافخًا شفتيه: «غير قادر على منح القبول، والقتال بالسلاح في المبارزات. ينص قانون الفروسية على...»

قاطعه فالويك: «إن محفل التشريف يسير على هدي نصوص قانونه الخاص. لو كنتم أنتم تحديتم فارس المحفل، فيمكنه هو أن يرفض منحكم القبول، أو أن يمنحكم إياه، وفقًا لمشيئته. ولكن الأمر عكس ذلك: الفارس هو من يتحداكم، وبهذا يرفعكم إلى مرتبة شرفه، طبعًا، خلال الوقت اللازم لمحو الإهانة حصرًا. لا يمكنكم الرفض. رفض قبول الشرف سيجعلكم غير خليقين».

قال ياسكير، وعلى وجهه تعابير استهزاء: «يا له من كلام منطقي. أرى أنكم درستم الفلسفة، أيها السيد الفارس».

- لا تتدخل.

رفع جيرالت رأسه، ونظر إلى عيني فالويك: «أكملوا، أيها الفارس. أود أن أعرف ما الذي تسعون إليه. ماذا سيحدث إذا تبين أنني... لست كفؤًا خليقًا».

اعوجَّت شفتا فالويك لتتحولا إلى ابتسامة شريرة: «ماذا سيحدث؟ عندئذ، آمُرُ أن تعلق على فرع شجرة، أيها السافل».

نطق القزم فجأة بصوت أجش: «بهدوء. دون توتر أعصاب، حضرة الكونت. ودون كلمات جارحة، حسنًا؟».

قال الفارس بامتعاض: «لا تعلمني الأخلاق، يا كرانِمر. وتذكر أن الأمير قد أعطاك أوامرَ عليك تنفيذها بحذافيرها».

أسند القزم قبضته إلى الفأس ذي النصلين، المدسوسة خلف حزامه: «أنتم، كفوا عن تعليمي، أيها الكونت. أعرف كيف أنفذ الأوامر، ستسير الأمور دون دروس تعليمية. يا سيد جيرالت، لو سمحتم. أنا دينيس كرانمر، نقيب حرس الأمير هيريوارد».

انحنى الويتشر بجمود، ناظرًا إلى عيني القزم، الرماديتين بلون ناصع، الزرقاوين الرماديتين، تحت حاجبين كثَّين، بلون رمادي مصفَرٍّ.

تابع دينيس كرانمر بهدوء: «نازِلوا تايليس، يا سيد ويتشر. وهذا سيكون أفضل. لن يكون نزالًا حتى الموت، بل سيكون إلى نقطة جعْل الخصم لا يقوى على القتال. لذا قفوا في الميدان، وأتيحوا له أن يغلبكم».

- عفوًا، ماذا؟

قال فالويك، مبتسمًا بخبث: «الفارس تايليس من المفضلين عند الأمير. فإن لمسته في مبارزة بالسيف، أيها الممسوخ، ستعاقب. سيعتقلك الكابتن كرانمر، ويلقي بك أمام حضرة صاحب السمو. لتعاقب. تلك هي الأوامر التي تلقاها».

ولم يلقِ القزم نظرة حتى على الفارس، ولم ينزل عينيه الزرقاوين الرماديتين، الباردتين، عن جيرالت. ابتسم الويتشر ابتسامة خفيفة، لكنها شديدة القبح.

قال: «إن فهمتُ الأمر على نحو صحيح، فعليَّ الوقوف في الميدان للمبارزة، وإن رفضتُ، فسأشنق. وإذا قاتلتُ، كان عليَّ أن أتيح لخصمي أن يلحق بي الضرر، لأنني إن جرحته، فتُهشَّم عظامي بعجلة التعذيب. إنها خيارات فريدة ومفرحة. ولعلي سأوفر عليكم المتاعب؟ سأصدم رأسي بجذع صنوبرة، وبذلك أصبح مغلوبًا لا حول لي ولا قوة. هل يرضيكم هذا؟».

صأى فالويك: «لا تستهزئ، ولا تجعل وضعك أسوأ مما هو عليه. لقد أسأت إلى نظام القانون، أيها الصعلوك، ويجب أن تعاقب على ذلك، لعلك فهمتَ؟ وتايليس الشاب في حاجة إلى أن يشتهر بأنه قاهر الويتشر، لذا يريد النقيب أن يمنحه هذه الشهرة. وإلا، لكنت قد شُنِقْتَ. اسمح بأن تهزم، تنقذ حياتك البائسة. لا تهمنا جثتك، نريد أن يشق تايليس جلدك. وجلدك، جلدُ متحولٍ طافر، سريع النمو. إذن، هيا. قرر. لا خيار لك».

ابتسم جيرالت بابتسامة أكثر قبحًا من التي قبلها، ونظر حوله، وقاس العسكرَ كلهم بنظرة متفحصة: «هل تظنون ذلك، يا حضرة الكونت؟ وأنا أعتقد، أن لديَّ خيارات».

أقرَّ دينيس كرانمر: «نعم، هذا صحيح. لديكم. ولكن حينئذ ستُسفَح الدماء، دماء كثيرة. تمامًا كما حدث في بلافيكين. هل تريدون ذلك؟ هل تريدون إثقال ضميركم بالدماء والموت؟ فالخيار الذي تفكرون فيه، يا سيد جيرالت، هو الدم والموت».

سخر ياسكير: «تُحاجُّون بطريقة خلابة، بل فاتنة، أيها النقيب. تناشدون الشعور العالي لرجل قُطِعَ عليه الطريق في الغابة، محاولين أخذه باسم الإنسانية. تطلبون، كما أفهم، أن يتخلى قصرًا عن إراقة دماء قطاع الطرق، الذين هاجموه. عليه أن يشفق على القتلة، لأن هؤلاء القتلة فقراء، ولديهم زوجات وأطفال، ومن يدري، وربما حتى أمهات. ألا يبدو لكم، أيها النقيب كرانمر، أنكم تقلقون باكرًا جدًّا؟ فأنا أنظر إلى رمَّاحيكم هؤلاء، وأرى كيف ترتعد فرائصهم عند مجرد التفكير في منازلة جيرالت من ريفيا، الويتشر الذي تمكن من التعامل مع استريجا بيديه العاريتين. لن تراق الدماء هنا، ولن يتأذى هنا أحد. ما عدا الذين سيكسرون أرجلهم وهم يفرون إلى المدينة».

قال القزم بهدوء، وقبَّص ذقنه بنزق: «ليست لدي أي شكوى ضد فرائصي. ولم أفرَّ من أمام أي شخص حتى الآن، ولن أغير ما اعتدت فعله. لستُ متزوجًا، ولا أعلم شيئًا عن وجود أطفال لي، وأيضًا أمُّ المرأة التي لا أعلم الكثير عنها، أفضِّل عدم إشراكها في هذا. لكنَّ الأوامر التي تُعطى لي، تُنفذ. بحذافيرها، على الدوام. دون مناشدة أي شعور، أطلب من السيد جيرالت من ريفيا اتخاذ القرار. سأقبل أي قرار، وأتصرف وفق ما يقتضيه».

نظر القزم والويتشر، أحدهما إلى عينيِ الآخر.

وأخيرًا قال جيرالت: «حسنًا إذن. لنحسم الأمر. خسارة أن نضيع اليوم».

رفع فالويك رأسه، وقد برقت عيناه: «أنتم توافقون إذن. تقبلون مبارزة تايليس المشرَّف من دورندال؟».

- نعم.

- حسنًا. استعدوا.

سحب جيرالت قفازاته: «أنا جاهز. هيا، كي لا نضيع الوقت. إن علمت نينِّيكي بهذه المشاجرة، فستحل الجحيم علينا. فلننهِ الأمر بسرعة. ياسكير، حافظ على هدوئك. لا علاقة لك بهذا الأمر بتاتًا. حقًّا، يا سيد كرانمر؟».

صرح القزم بحزم، ثم نظر إلى فالويك: «بكل تأكيد، سيد جيرالت. مهما كان الأمر، فهو يتعلق بكم فقط».

استلَّ الويتشر سيفه من على ظهره.

قال فالويك، وهو يشهر سيفه: «لا. لن تقاتل بسكينك هذه. خذ سيفي».

هزَّ جيرالت كتفيه. وأخذ شفرة الكونت، ولوح بها على سبيل التجريب.

أكد ببرود: «ثقيلة. كان من الممكن أن نتقاتل بالمسحاة وستكون الحظوظ متساوية».

- السيف الذي في حوزة تايليس مماثل تمامًا. الفرص متكافئة.

- سيد فالويك، أنتم صاحب نكتة، لا مثيل لكم. لا مثيل لكم، على نحو لا يصدق.

أحاط العسكر المأجورون الفسحة على شكل جنزير متباعد الحلقات، وقف تايليس والويتشر وجهًا لوَجه.

- سيد تايليس؟ ماذا تقولون عن الاعتذار؟

زمَّ الفارس شفتيه، ووضع يده اليسرى خلف ظهره، وسكن دون حَراك في وضعية المبارزة.

ابتسم جيرالت: «لا. لن تسمع صوت العقل؟ يا للخسارة».

جثا تايليس، ثم وثب، وهجم بسرعة البرق، دون سابق إنذار. لم يبذل الويتشر جهده، حتى لصد ضربة خصمه، وتفادى طعنة سطحية بنصف دورة سريعة. انحنى الفارس الصغير موسعًا مدى يديه، ومزق النصل الهواء مجددًا، وخرج جيرالت من تحت الشفرة بلفة رشيقة على أصابع قدميه، ثم قفز مرتدًّا، وبخدعة قصيرة، وخفيفة، وناعمة، أخرج تايليس عن إيقاع حركته. أخذ تايليس يشتم، وضرب ضربة عريضة، من اليمين، وفقد توازنه لحظة، حاول استعادته تلقائيًّا، وبجلافة، حاميًا نفسه بسيفه عاليًا. وسدد الويتشر ضربة بسرعة، وقوة صاعقة، هاويًا بسيفه رأسًا، مطلقًا ذراعه إلى أقصى حد. اصطدمت الشفرة الثقيلة بصليل نصل تايليس الذي ارتد على نحو جعله يصيبه مباشرة في وجهه بقوة. زعق الفارس، وسقط على ركبتيه،

فلامس جبينه العشب. هُـرِعَ فالويك إليه. غـرز جيرالت السيف في الأرض، واستدار.

صرخ فالويك، وهو ينهض: «أيها الحرس! خذوه!».

شخر دينيس كرانمر، متلمسًا الفأس: «قفوا! إلى أماكنكم!».

جمد العسكر، وكأن على رؤوسهم الطير.

قال القزم ببطء: «لا، أيها الكونت. إني دائمًا أنفذ الأوامر بحذافيرها. الويتشر لم يلمس الفارس تايليس. إن الصغير انضرب بحديدته هو. من سوء حظه».

- لقد تهشَّم وجهه! سيكون مشوهًا مدى الحياة!

ثبَّت دينيس كرانمر عينيه الزرقاوين الرماديتين على الويتشر، وأبرز أسنانه: «إن الجلد يلتئم. أما النُّدَب؟ النُّدَب للفارس تذكار مشرِّف، وهي سبب للمجد والمديح، الذي طالما تمناه له المحفل. الفارس الذي لا ندب على جسده، هو قضيب، وليس فارسًا. اسألوه، أيها الكونت، وستقتنعون بأنه مسرور».

كان تايليس يتلوَّى على الأرض، ويبصق دمًا، ويئن ويتأوه، ولا يبدو مسرورًا البتة.

زأر فالويك، وهو ينتزع سيفه من الأرض: «كرانمر! أقسم إنك ستندم!».

استدار القزم، واستلَّ الفأس من وراء حزامه ببطء، ثم تنخم، وبصق بصاقًا كثيفًا على راحة يده اليمنى.

قرقع صائحًا: «أوه، يا حضرة الكونت. لا تقسموا يمينًا كاذبة. أنا لا أطيق من يحنث باليمين، وقد منحني الأمير هيريوارد الحق في معاقبة أمثال هؤلاء بجز أعناقهم. سأتظاهر بعدم سماع كلماتكم الحمقاء. لكن لا تكرروها، أرجوكم أشد الرجاء».

استدار فالويك إلى جيرالت، لاهثًا من الغضب: «يا ويتشر. اغرب من إيلاندر. فورًا. دون لحظة تأخير!».

تمتم دينيس، وهو يقترب من الويتشر، وأعاد له السيف: «نادرًا ما أتفق معه، لكنه في هذه الحالة على حق. ارحلوا من هنا في أسرع وقت ممكن».

علق جيرالت الحزام على ظهره: «سنفعل ذلك كما نصحتمونا. لكن قبله... لديَّ كلمة أخرى للسيد الكونت. يا سيد فالويك!».

رمش فارس **الوردة البيضاء** بتوتر، وفرك يديه بمعطفه.

تابع الويتشر، محاولًا أن لا يبتسم: «لنعد لحظة إلى قانون محفلكم. تثير اهتمامي مسألة واحدة. لنفترض، لو أنني شعرت بالنفور، والحنق، من موقفكم من هذا الخطْب برمته، ولو أني تحديتكم بالسيف، هنا، حالًا، في هذا المكان، فماذا كنتم ستفعلون؟ هل كنتم ستحسبونني كفؤًا خليقًا بما يكفي، لتشتبكوا معي بحد السيف؟ أو هل كنتم سترفضون أيضًا، حتى ولو كنتم تعلمون أنني في حال رفضكم، سأعدُّكم أنكم لستم أكفاء خليقين، حتى بالبصق عليكم، ولطمكم على وجوهكم، وركلكم على أردافكم أمام المشاة من الجند؟ أيها الكونت فالويك، لو تكرمتم بإبداء الرغبة لإرضاء فضولي».

شحب فالويك، تراجع خطوة إلى الوراء، ونظر حوله. تحاشى العسكر المأجورون نظراته. تجهم دينيس كرانمر، ثم أخرج لسانه، وبصق لعابه إلى مسافة بعيدة.

تابع جيرالت: «رغم سكوتكم، فإني أسمع صوت العقل في صمتكم، يا سيد فالويك. لقد أرضيتم فضولي، والآن أنا سأرضي فضولكم. إذا كنتم تهتمون بما سيحدث إذا شاء نظام القانون، بأي سبيل من السبيل، إلزام أم نينِّيكي أو سائر الكاهنات به، أو إذا كان سيفرض نفسه بقدر زائد على الحد على النقيب كرانمر، فلتعلموا، أيها الكونت، أنني عندئذ سأبحث عنكم، وأريق دمكم، غير مكترث بأي قانون، كما يراق دم خنزير صغير».

ازداد الفارس شحوبًا.

- لا تنسوا وعدي، يا سيد فالويك. هيا، يا ياسكير. حان وقت ذهابنا. وداعًا، يا دينيس.

ابتسم القزم ابتسامة عريضة: «حظًّا سعيدًا، يا جيرالت. رافقتكم السلامة. سعدت كثيرًا بلقائنا هذا، وأتطلع إلى لقاء لاحق».

- شعورنا واحد، يا دينيس. إلى اللقاء لاحقًا.

غادرا بتمهل استعراضي، دون الالتفات إلى الوراء. ولم يبدآ بالخبِّ إلا عندما اختفيا في الغابة.

نطق الشاعر فجأة: «جيرالت. أظن أننا لن نتجه إلى الجنوب رأسًا؟ أيتعين علينا الالتفاف، وتجاوز إيلاندر، وأراضي هيريوارد وممتلكاته؟ ماذا؟ أم إنك تبغي الاستمرار في هذا الاستعراض؟».

- لا، يا ياسكير. لا أبغي ذلك. سنمضي عبر الغابات، وبعد ذلك سننعطف إلى مسار التجار. تذكَّرْ، لا تنطق أمام نينِّيكي كلمة واحدة عن هذه المشاجرة. ولا كُليمة.

- آمل أن ننطلق مغادرين دون إبطاء؟

- حالًا.

2

انحنى جيرالت، وفحص ثنية الرِّكاب التي قد أصلحها من قبل. ورتب رباط الركاب الذي فاحت منه رائحة زكية لجلد جديد تمامًا، وكان لا يزال صلبًا وغير طيع للإبزيم. وعدل الولم[1]، والصرر، والبطانية الملفوفة خلف السرج، والسيف الفضي المربوط بها. وقفت نينِّيكي ساكنة إلى جانبه، وقد صالبت ذراعيها على صدرها.

اقترب ياسكير، وهو يقود حصانه الأدهم الخصي.

(1) الوَلْم: حزام الرحل والسرج.

وقال بجدية: «أشكركِ على حسن ضيافتك، أيتها الموقَّرة. ولا تغضبي مني بعد الآن. وأنا أعلم أنك تودينني على أي حال».

وافقت نينيكي دون أن تبتسم: «أجل. أنا أودك، أيها الطائش، مع أنني لا أعرف لماذا. رافقتك السلامة».

- إلى اللقاء، يا نينيكي.

- إلى اللقاء، يا جيرالت. واحذر.

ابتسم الويتشر بمرارة.

- أفضِّل الحذر مع الآخرين. ذلك أمر يتأكد على نحو أفضل، على المدى الطويل.

من المعبد، ومن بين الأعمدة المغطاة باللبلاب، خرجت إيولا رفقة عرافتين متدربتين شابتين. كانت تحمل صندوق الويتشر. تجنبت نظراته محرجة، واختلطت ابتسامة مرتبكة بحمرة الخدين على وجهها المنتفخ المنمش، خالقة تركيبة فاتنة. لم تخفِ المتدربتان المرافقتان نظراتهما ذات المغزى، وكان صعبًا عليهما الإمساك عن الضحك، أو حتى عن القهقهة.

تنهدت نينِّيكي: «يا مليتيلي العظيمة. إنه موكب وداع بأكمله. خذ الصندوق، يا جيرالت. لقد أعدتُ مَلْء جرعاتك من الإكسير، لديك الآن كل ما كان ينقصك. وهذا الدواء، أنت تعرف أي واحد هو. خذه بانتظام خلال أسبوعين. لا تنسَ. هذا مهم».

- لن أنسى. شكرًا، يا إيولا.

نكست الفتاة رأسها، وسلمته الصندوق. راودتها رغبة عارمة لتقول شيئًا ما. ولم تكن لديها أي فكرة عما ينبغي أن تقول، وما الكلمات التي يجب استخدامها. لم تكن تعرف ماذا كانت ستقول، لو استطاعت. لم تكن تعرف. لكنها رغبت في القول.

تلامست أيديهما.

دم. دم. دم. العظام مثل أعواد بيض مهشمة. الأوتار كحبال سِماك تميل إلى البياض، تنفجر من تحت جلد متشقق، سلخته كفَّان عظيمتان، مسننتان بأشواك، ومزقته أسنان حادة. الصوت الكريه من الجسد الممزق، والصراخ - الوقح والمفزع في وقاحته. في وقاحة النهاية. الموت. الدم والصراخ. الصراخ. الدم. الصراخ...

- إيولا!

هُرِعَتْ نينِّيكي، بسرعة غير معهودة بالنسبة إلى جسمها السمين، إلى الفتاة المستلقية على الأرض، متصلبة، ومرتعدة في تشنجاتها، وأمسكت بها من ذراعها وشعرها. وقفت إحدى المتدربات، كأنها قد شُلَّتْ، وجثت أخرى، أكثر فطنة، على ساقي إيولا. وقد احدودبت إيولا، حتى تقوس ظهرها، فاتحة فمها في صراخ صامت أخرس.

صرخت نينيكي: «إيولا! إيولا! تكلمي! تكلمي يا صغيرتي! تكلمي!».

تصلَّبت الفتاة بقوة أكبر، وعضَّت مطبقة فكيها، فسالت على خدها قطرات في خيط رفيع من الدم. احمرَّ وجه نينيكي من الجهد المبذول، وصرخت بشيء لم يفهمه الويتشر، لكنَّ ميداليته حركت رقبته إلى حد أنه انحنى تلقائيًّا، منثنيًا تحت وطأة ثقل لا يرى.

جمدت إيولا في مكانها.

تنهد ياسكير بصوت مرتفع، وقد شحب وجهه كقطعة قماش. قامت نينِّيكي على ركبتيها، ونهضت بمشقة.

قالت للعرافات المتدربات: «خذنها».

قد أصبح عددهنَّ أكبر الآن، تجمعن، وكنَّ جادات، ومذعورات، وصامتات.

كررت الكاهنة: «خذنها. بحرص. ولا تتركنها وحدها. سآتي حالًا».

التفتت إلى جيرالت. وقف الويتشر ساكنًا، يغضِّن الزمام في راحة يده المتعرِّقة.

- جيرالت... إيولا...

- لا تقولي شيئًا، يا نينِّيكي.

- أنا رأيت ذلك أيضًا... خلال لحظة. جيرالت، لا تذهب.

- لا بد أن أذهب.

- أنتَ رأيتَ... رأيتَ ذلك؟

- نعم. وهذه ليست أول مرة.

- وماذا؟

- لا فائدة من النظر إلى الوراء.

- لا تذهب، أرجوك.

- لا بدَّ من الذهاب. اهتمي بإيولا. إلى اللقاء، يا نينِّيكي.

هزت الكاهنة رأسها ببطء، أخذت نفسًا، ومسحت دمعتها بمعصمها، بحركة حادة متشنجة.

همست، دون أن تنظر إلى عينيه: «وداعًا».